الصّادِق النيهُوم

إسْلام ضدّ الإسْلام

شريعَة مِن وَرق



رياض الريس للكتب والنشر
RIAD EL-RAYYES
BOOKS

الصادق النيهوم

□ وُلد في بنغازي بليبيا في العام ١٩٣٧.

□ درس علومه الجامعية في جامعة القاهرة وأعدّ أطروحة الدكتوراه في «الأديان المقارنة» بإشراف الدكتورة بنت الشاطىء. ثم انتقل بعدها إلى ألمانيا، حيث أتمّ الدكتوراه في جامعة ميونيخ بإشراف مجموعة من المستشرقين الألمان، وكان يجيد إلى جانب العربية، الألمانية، والإنكليزية والفرنسية والفينلندية، إلى جانب معرفته بالعبرية والآرامية.

□ بعد ألمانيا، تابع دراسته في جامعة أريزونا في الولايات المتحدة الأميركية، لمدة سنتين. درّس بعدها مادة الأديان المقارنة في جامعة هلسنكي كأستاذ محاضر في فينلندا لعدة سنوات.

□ إنتقل إلى الإقامة في جنيف في العام ١٩٧٦ حيث أسس «دار التراث» ثم «دار المختار» وأصدر سلسلة من الموسوعات العربية أهمها **«تاريخنا»** و**«بهجة المعرفة»** و**«موسوعة الشباب»** و**«أطلس الرحلات»** و**«موسوعة السلاح»**. وكان أستاذاً محاضراً في الأديان المقارنة، في جامعة جنيف، حتى وفاته في تشرين الثاني ١٩٩٤.

□ صدر له مجموعة كتب على امتداد السنوات العشرين الأخيرة منها:

■ فرسان بلا معركة ■ نقاش ■ من هنا إلى مكة ■ تحيت طية وبعد ■ القرود ■ الحيوانات ـ الحيوانات.

وصدر له عن شركة **«رياض الريّس للكتب والنشر»** أشهر وأهم كتبه عن الإسلام والديموقراطية، وهي ثلاثة:

■ **صوت الناس**: أزمة ثقافة مزوّرة (١٩٨٧)

■ **إسلام ضد الإسلام**: شريعة من ورق (١٩٩٤)

■ **محنة ثقافة مزورة**: صوت الناس أم صوت الفقهاء (١٩٩٥)

■ **الإسلام في الأسر**: من سرق الجامع وأين ذهب يوم الجمعة؟ (١٩٩٣)

سلسلة كتاب الناقد

الصادق النيهوم

إسلام ضد الإسلام

RIAD EL-RAYYES
BOOKS
رياض الريس للكتب والنشر

ISLAM VERSUS ISLAM

By:

AL-SADEK AL-NAYHOUM

First Published 1991
Second Edition 1995
Third Edition 2000

British Library Cataloguing in Publication Data available

ISBN 1 85513 228 1

الإيداع في مكتبة الأسد الوطنية
رقم ١٧٨/٢/١٩٩٥

تصميم الغلاف: محمد حماده

الطبعة الأولى: ١٩٩١

الطبعة الثانية: ١٩٩٥

الطبعة الثالثة: ٢٠٠٠

المحتويات

الفصل الثاني

الرد على الفصل الثاني

الفصل الثالث

الردود على الفصل الثالث

تعقيب المؤلف على الفصل الثالث

الفصل الرابع

الردود على الفصل الرابع

تعقيب المؤلف على الفصل الرابع

مقدمة

للمرة الثانية تعاد التجربة لتبادل الحوار حول دور [الجامع] في نظام الشورى. وللمرة الثانية يجرنا الحوار إلى تفاصيل جانبية خارجة جداً عن أصل الموضوع، في شهادة واضحة على أننا ـ رغم لساننا الواحد ـ لا نتكلم دائماً لغة واحدة. فدعونا نجرب أن نفحص المشكلة بالعين المجردة:

كيف يأمر الله بالعدل، من دون أن يأمر بسلطة الأغلبية؟

كيف تصبح الدعوة إلى [حكم الله] فريضة، ما دام الحكم نفسه في يد شخص أو عائلة أو طائفة أو حزب؟

كيف يكلف الله الإنسان بأن يكون [مسؤولاً عما كسبت يداه]، من دون أن يوفر له الوسيلة الشرعية لحمل هذه المسؤولية؟

كيف يكون الله عادلاً، إذا لم يضمن للناس شرعاً وعملياً؟

الإجابة الأولى، إن الأمر لا يحتاج أصلاً إلى إجابة، لأن الله لا يبالي بأهل الدنيا، ولا يهمه منهم سوى أن يؤدوا له الفرائض شاكرين وساجدين وصائمين وساكتين إلى أن يموتوا ويدخلوا الجنة. وخلال هذه الرحلة الطويلة إلى العالم الآخر، لا يملك المواطن ثمة ما يفعله لضمان مصيره ومصير عياله، سوى أن يظل تحت رحمة [أهل الحل والعقد] من محترفي السياسة ورجال الدين ورؤساء القبائل. فإذا نجح هؤلاء السادة في إقرار بعض العدل، يضمن المواطن لنفسه كسرة الخبز وجرعة الماء. وإذا قادتهم الظروف إلى كارثة محققة، يدفع المواطن ثمن فشلهم من

كسرة الخبز وجرعة الماء. غير ذلك ليس ثمة خيار. غير ذلك ليس ثمة شريعة.

مشكلة هذه الإجابة، أنها مجرد محاولة قاسية لتبرير واقع أكثر قسوة. فمنذ قيام نظام الدولة، كان الحكم في يد [أهل الحل والعقد]. ومنذ قيام نظام الدولة، كان المواطن مجرد بيدق على رقعة الشطرنج، يعيش ويموت بإرادة اللاعبين، ويشيّعه الكهنة إلى العالم السفلي، داعين له بحسن الختام. ولو كان هذا الواقع هو الشريعة، لما كان ثمة حاجة إلى شريعة أصلاً. فقانون الغابة وحده كفيل بحفظ أي نظام قائم على منطق القوة، من دون معونة من الآلهة.

الإجابة الثانية ـ والصحيحة ـ أن الدين نفسه قد جاء أساساً لفك الحصار المفروض على صوت المواطن، وضرب نظرية (أهل الحل والعقد) بالذات. فمبدأ مسؤولية الإنسان عما كسبت يداه، لا يمكن إقراره إلاّ في مجتمع قائم على الاقتراع الحر، يملك فيه كل مواطن ـ وكل مواطنة ـ صوتاً شرعياً ومسموعاً في شؤون الإدارة وصياغة القوانين. ومن دون هذا المبدأ، لا أحد يحتاج إلى [شريعة من السماء]، لأن كل قضايا أهل الأرض الأخرى، قابلة للحل على الأرض.

إن الدين الذي لا يضمن العدل للأغلبية في نظام إداري محدد ببنود الدستور، لا يستحق اسم الدين، ولا يستطيع أن يجمع الناس حوله إلاّ بوسائل الوعد والوعيد وغسيل المخ التي يتولى الفقهاء تطويرها لحساب الإقطاع في حلف شيطاني، ينتحل لنفسه صفة القداسة بالذات. وهي المشكلة التي عانى منها الإسلام منذ الانقلاب الأموي على الأقل.

فالإسلام ـ من دون سلطة الأغلبية ـ ليس ديناً، بل جثة دين. إنه مجرد توليفة من الوصايا التي تدعو إلى العدل والخير والصلاح. لكنها وصايا من ورق ـ مدفونة بين الورق ـ لا تملك قوة القانون، ولا تستطيع أن تفرض نفسها إلاّ بقدر ما يسخرها الحاكم في خدمة أغراضه الخاصة. وقد أفرط الحكام المسلمون في استغلال هذه الظاهرة إعلامياً، من تأسيس جماعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذين يتولون إجبار المارة على أداء الصلاة، إلى قطع أيدي صغار اللصوص في الميادين العامة من باب الحرص على تطبيق الشريعة. لكن أحداً من هؤلاء الحكام لم يؤسس أبداً جماعة لمراقبة بنود الميزانية، أو ضمان حرية

الصحافة، أو رفع الحصار عن صوت المواطن شبه الأخرس، في شهادة واضحة على أن الدين الذي لا يكفل العدل للأغلبية، يصبح وسيلة لقهر الأغلبية بالذات.

فأين نذهب من هنا؟

الثابت هنا أن القرآن نفسه لا يتردد في القول بأن ركن الإسلام الأول، ليس هو الصلاة والزكاة وأداء الشعائر ـ كما تزعم نظرية القواعد الخمس ـ بل هو مبدأ [الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر] الذي لا يمكن تطبيقه إلاّ في مجتمع قائم على سلطة الأغلبية. فقد جاء في سورة التوبة: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويطيعون الله ورسوله﴾(١). وتقديم الأمر بالمعروف على بقية الالتزامات، لا يستقيم تبريره لغوياً، إلاّ باعتباره تقديماً للمرتبة والأهمية في القيام بشؤون الولاية.

أكثر من ذلك، جاء في سورة النساء: ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم، قالوا فيمَ كنتم؟ قالوا كنا مستضعفين في الأرض، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا﴾(٢). وهو تقرير صريح بأن الخوف والضعف وقلة الحيلة، لا تعفي المواطن من مسؤوليته عما يقع عليه من الظلم، ولا تعفيه من واجبه في تأمين حقه ـ وحق عياله على الأقل ـ في حياة عادلة كريمة، ولو اضطر إلى الهرب على وجهه في أرض الله الواسعة.

ويلفت النظر في الخطاب القرآني، أنه ليس موجهاً إلى شخص الحاكم أو أعضاء مجلس الشورى أو نواب الأمة أو أهل الحل والعقد، بل إلى جميع المواطنين من دون استثناء، بغض النظر عن موقع المواطن أو لونه أو طائفته. فالشورى في شرع الإسلام، ليست «فرض كفاءة» فقط، بمعنى أن يتولاها النواب كفاية عن بقية الأمة، بل هي «فرض عين»، أي فريضة يلتزم بأدائها كل مواطن شخصياً. أو كما قال ابن تيمية: [إذا كان جماع الدين هو أمر ونهي. فالأمر الذي بعث الله به رسوله هو

(١) القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية ٧١.
(٢) المصدر نفسه، سورة النساء، الآية ٩٧.

الأمر بالمعروف. والنهي الذي بعثه به، هو النهي عن المنكر، وهذا نعت النبي والمؤمنين. وهذا واجب على كل مسلم قادر].

فأين نذهب من هنا؟

ثمة طريقتان: الأولى، أن ننكر واقعنا الحرج، ونكتم صوت العقل، مصرّين على القول بأن الإسلام [هو ما وجدنا عليه آباءنا. وإنّا على آثارهم لمقتدون]. وهي وصفة عملية جداً، من شأنها أن تغلق باب النقاش من أوله، وتضمن لنا أربعة عشر قرناً أخرى من تقليد السلف الصالح، نقضيها في حماية رعاتنا من الملوك والرؤساء والسلاطين الذين نجحوا حتى الآن في أن يكفلوا لنا موقع الصدارة بين أكثر شعوب العالم تخلفاً وفقراً. فنحن حالياً أمة تتسول لقمة عيشها اليومي من دول الشرق والغرب، وتعيش على الصدقات والهبات، وتعاني مآسي الحروب الأهلية على طول المنطقة الممتدة من الصحراء الغربية إلى قرى الأكراد في العراق، وتتلقى الهزائم على جميع الجبهات الصغيرة والكبيرة، وترزح تحت أسوأ نظم الحكم التي عرفها التاريخ، وتبدو مضحكة ـ ومبكية أيضاً ـ مثل مهرج مات في منتصف العرض.

في ضوء هذا الواقع، يلزمنا أن نتذكر قول القرآن: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء، والله يعدكم مغفرة منه وفضلا﴾[٣]. فهذا قول يعلن صراحة أن الإسلام الذي نعايشه الآن هو إسلام الفقر والفحشاء، وأننا متورطون في وعود الشيطان جهاراً، ومن دون أمل في رحمة الله.

الطريق الأخرى ـ والأكثر مشقة ـ هي أن ننظر إلى الواقع في عينه، وننصت ملياً إلى صوت الحق. فالإسلام الذي ورثناه عن أسلافنا، ليس هو الإسلام الذي بشّر به القرآن، بل نسخة ناقصة عنه، ومشوهة إلى ما لا نهاية. إنه مجرد بديل فقهي، صنعه الإقطاع على مقاسه، بأن سلبه قلبه وصوته معاً، وأحاله إلى صنم أجوف، قد يشبه الإسلام في شكله ولغته، لكنه يختلف عنه عملياً، بقدر ما يختلف الميت عن الحي. وإذا كنا حريصين على جوهر الدين حقاً، ويهمنا أن نلتزم بروح النص ومحتواه، فإن علينا أن نراعي أن جميع نصوص القرآن، وفتاوى أصحاب المذاهب[٤] وخبراء التشريع الإسلامي، قد التقت على القول،

(٣) المصدر نفسه، سورة البقرة، الآية ٢٦٨.

بأن الإسلام لا يقوم من دون سلطة الأغلبية، وأن كل محاولة لتطبيق الشريعة من دون إشراف المواطن على سير الإدارة وإصدار القوانين، فكرة موجهة عمداً لضرب الإسلام باسم الإسلام.

من هذه النقطة، يبدو الهدف واضحاً وغير قابل للتمويه:

فما دام كل مواطن مسؤولاً شخصياً، عما يحدث له، وعما يحدث من حوله، بموجب مبدأ شرعي صريح، هو قوله تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾(٥).

وما دام الإسلام لا يقوم من دون مسؤولية الأغلبية عن سير الإدارة وضمان العدل، بموجب فريضة [الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر].

وما دام أداء الفرائض المقدسة، لا يتم في الشارع، بل يحتاج إلى اجتماع رسمي منظم ـ ومعترف به شرعاً ـ يضمن لكل مواطن على حدة، صوتاً مسموعاً في شؤون الإدارة والحكم.

وما دمنا ملتزمين بجدية الحوار، حول القضايا الجادة على الأقل، فلا بد أن نرى، أن الإسلام لا يملك وسيلة إدارية لأداء أهم فرائضه سوى لقاء يوم الجمعة وحده، فقط، لا غير.

هذا اللقاء سرقه الفقه لحساب الإقطاع، وأحاله من اجتماع إداري موجه للإشراف على أداة الحكم، إلى قداس للصلاة والوعظ، يجتمع فيه المواطنون لكي لا يتكلموا. وهو انقلاب متعمد ومعلن ومستمر، تسانده قوى منظمة جبارة، قد لا يستقيم لنا سبيل الخروج منه، إلاّ بجهد جماعي طويل النفس، له القدرة على تحقيق المعجزات.

الخطوة العملية لتحقيق هذا الجهد، لا بد أن تتمثل في تأسيس [حزب الجامع] الذي سيتوجه لتطوير لقاء يوم الجمعة من مناسبة للصلاة والوعظ، إلى مؤتمر للديمقراطية المباشرة على مستوى القاعدة، ويمتلك

---

(٤) ذهب ابن تيمية في [الحسبة] إلى القول: إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة. وإن الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام.

(٥) **القرآن الكريم**، سورة الشورى، الآية ٣٠.

بذلك أوسع ـ وأفضل ـ برنامج سياسي عرفه العرب طوال تاريخهم بأسره.

الصفة الأولى لهذا الحزب، أن جميع خلاياه قد تأسست فعلاً، واكتمل تعدادها بالملايين في كل حارة وشارع على امتداد الوطن العربي. وهي خلايا حية، ومستعدة للعمل فوراً، ولا تحتاج إلى استدعاء، لأنها في حالة انعقاد دائم كل أسبوع من كل شهر من كل سنة.

الصفة الثانية، أنه حزب لا يحكم، بل يدعو إلى تحكيم الأمة. فهو لا يمثل مصالح العمال أو أصحاب رأس المال، ولا يهدف إلى أن يكون بديلاً من بقية الأحزاب، بل يهدف إلى حفظ التوازن بين جميع المصالح، بإخضاع القرار النهائي لمصلحة الأغلبية.

الصفة الثالثة، أنه حزب غير فقهي بل إسلامي. وهي فكرة قد تبدو متناقضة، لكنها في الواقع خالية من التناقض. فالإسلام شريعة لا تعترف بسلطة الكهنة أو الأحبار أو الفقهاء، ولا تميز بين عقيدة وأخرى، ولا تتقيد بحرفية النص بل بمصلحة الناس على اختلاف طوائفهم وألوانهم. وإذا كانت هذه الشريعة قد خسرت طابعها العالمي الآن، فذلك أمر مرده إلى تغييب صوت الناس وراء فتاوى الفقه بالذات.

إن [حزب الجامع] يستطيع أن يعيد للإسلام وجهه الجميل، وينقذه من عبودية التاريخ والفلسفة، ويكسب المعركة الصعبة ضد الإقطاع والأصولية، ويمنح أمتنا أول تنظيم سياسي قادر على ضمان صوت المواطن شرعاً وعملياً. وهي منجزات قد تبدو أشبه بالمعجزة في ضوء واقعنا الحرج، لكن الإسلام حقق هذه المعجزة ذات مرة بين قبائل من العرب المعزولين في عتمة القرن السابع، وليس ثمة ما يعوقه عن تحقيقها مرة أخرى بين شعوب عربية متطورة، تتخاطب عبر الأقمار الصناعية على عتبة القرن الواحد والعشرين.

الصادق النيهوم

جنيف ـ صيف ١٩٩٤

الفصل الأول

إقامة العدل

أم إقامة الشعائر؟!

تطلب من الرسول أن يقرأ، بل تكلفه بإعلان الدعوة التي تمثلت في تصحيح مفهوم كلمة [الرب] بالذات. ولهذا السبب تكررت هذه الكلمة نفسها في الآية التالية، مقرونة باسم التفضيل، في قوله تعالى: ﴿اقرأ وربك الأكرم﴾[٢] وليس الكريم فقط.

فكلمة [رب] في لغتنا العربية مشتقة من [ܪܒ] [رب] في القاموس الكلداني التي لا تعني الله فقط، بل تعني أيضاً [السيد]. وهي صيغة ما تزال حية في قولنا [ربة البيت] أي سيدة البيت. وقد دأبت الكنيسة العربية على تسمية المسيح باسم [الرب] بمعنى السيد والمعلم، وأدى هذا الخلط اللغوي إلى ارتباك ظاهر في نص الإنجيل. فأصبحت كلمة [الرب] تعني أحياناً يسوع المسيح، كما في قول بطرس: [..مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح]، وتعني أحياناً [الله]، كما في قول متى [..إذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف قائلاً: قم وخذ الصبي وأمه]. وقد تعمد القرآن أن يصححه في أول سورة وأول آية، بتحديد صفة [الرب] التي لا يشاركه فيها رب سواه. فكلمة [المسيح الرب]، تم تصحيحها بقوله ﴿ربك الذي خلق﴾[٣] وكلمة [المسيح المعلم] تمّ تصحيحها بقوله ﴿ربك الأكرم الذي علم بالقلم﴾[٤].

إن القرآن لا يفتتح نزوله بدعوة الرسول إلي القراءة، كما يزعم رواة القصة المزورة، بل بدعوته إلى إصلاح خطأ جوهري في مفهوم الإله الواحد، وتطهير اسم [الرب] من التحريف الناجم عن سوء النقل والترجمة. وهي دعوة تكررت بوضوح في السورة الثانية بقوله: ﴿يا أيها المدثر. قم فأنذر. وربك فكبر﴾[٥].

(٢) المصدر نفسه، سورة العلق، الآية ٣.
(٣) المصدر نفسه، سورة العلق، الآية ١.
(٤) المصدر نفسه، سورة العلق، الآيتان ٣ و٤.
(٥) المصدر نفسه، سورة المدثر، الآيات ١ ـ ٣.

والثابت أن القصة المتداولة في كتب التفسير، هي مجرد محاولة جاءت في وقت لاحق، لتمرير الفكرة القائلة بأن الرسول محمداً كان [أمياً] بمعنى أنه لم يكن يعرف القراءة. وهي فكرة ولدت أساساً لتفسير قوله تعالى في سورة الأعراف ﴿.. الذين يتبعون الرسول النبي الأمي﴾(٦). لكن هذا التفسير نفسه هو مجرد خطأ ناجم عن سوء التفسير. فكلمة [أمي] لا تعني [غير متعلم] إلاّ في قاموس رجل جاهل حقاً.

إنها مصطلح توراتي مشتق من كلمة [ܐܘܡܬܝܐ] [ا و م ت ي ا] بمعنى [أممي] أي غير تابع لأهل الكتاب من اليهود بالذات. وهو المعنى الذي يتبناه القرآن حرفياً، في آيات منها قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿.. وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين﴾(٧).

فالأمي، في لغة التوراة، ليس هو [غير المتعلم] بل هو [غير اليهودي] الذي استبعده الرب من الشعب المختار، واعتبره نجساً، لأنه غير مختتن، وحرم عليه أن يطلع على الناموس، أو يقرأ الكتاب المقدس. ورغم أن رسل المسيح، رفضوا هذا الموقف اللاديني، وخرجوا للتبشير بالمسيحية بين [الأمم]، فإن الكلمة نفسها ظلت تعني [غير الكتابي]، وظلت صفة لازمة لجميع الشعوب التي لم تتلق شريعة سماوية. لهذا السبب يقول القرآن في سورة الجمعة: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾(٨). فالعرب لم يكونوا في ضلال مبين، لأنهم كانوا لا يعرفون القراءة، بل لأنهم كانوا لا يملكون شريعة.

والملاحظ أن قوله: ﴿يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب

(٦) المصدر نفسه، سورة الأعراف، الآية ١٥٧.
(٧) المصدر نفسه، سورة آل عمران، الآية ٢٠.
(٨) المصدر نفسه، سورة الجمعة، الآية ٢.

والحكمة﴾[٩] هو شهادة صريحة بأن الرسول لم يكن يحسن القراءة فحسب، بل كان معلماً ومحاضراً. فالمصدر [ܬܠܐ] [ت ل ا] يعني حرفياً [قرأ بصوت عال]، ومنه [ܬܠܝܬܐ] [ت ل ي ت ا] أي صلاة ترتل بصوت مسموع. وقد اتفق القريشيون على اتهام الرسول بأنه [يؤلف] القرآن. وهي تهمة، كان من شأنها أن تبدو مستحيلة ـ ومضحكة ـ لو أن الرسول كان حقاً لا يحسن القراءة والكتابة.

إن أحداً لا يعرف من أين استمد المفسرون قولهم بأن كلمة [أمي] تعني [غير متعلم]. فليس ثمة مبرر ممكن واحد لهذا التفسير الغريب، سوى انحراف المنهج الذي ميّز علم التفسير منذ مولده، بسبب إصراره على تجاهل مصادر لهجتنا العربية في القاموس الكلداني. ولو اختار الشراح أن يعودوا إلى أصل المصطلح في هذا القاموس، لما فاتهم أن يلاحظوا أنه مجرد مرادف لكلمة [حنيف] التي أصبحت صفة قرآنية لمفهوم الإسلام نفسه.

فالحنيف في لغة الكنيسة الآرامية هو [الوثني] الذي لا ينتمي إلى اليهودية أو النصرانية، ومصدرها [ܚܢܦ] [ح ن ف] بمعنى كفر وصبأ وارتد إلى الوثنية. وهو مفهوم تلقائي في قاموس القرن السابع، لأن العالم لم يكن يعرف ديانة سماوية ثالثة غير هاتين الديانتين. ولم يكن بالتالي ثمة تعريف آخر لمن لا يدين بإحداهما، سوى لقب [الوثني] أو [الحنيف] الذي اشتقت منه كلمة ܚܢܦܘܬܐ [ح ن ف و ت] بمعنى عبادة الأوثان.

بعد ظهور الإسلام، حدث ارتباك متوقع في مفهوم هذا التعريف، فلم يعد غير اليهودي وغير النصراني ـ بالضرورة ـ رجلاً وثنياً، بل ظهر المسلم الجديد الذي لا يدين باليهودية أو النصرانية، لكنه أيضاً

(٩) المصدر نفسه.

ليس وثنياً من عبدة الأصنام. وهي الفكرة المحيرة التي أربكت مفهوم الإيمان لدى اليهود والنصارى معاً، ودعت إلى تصحيح جذري في معنى الدين من أساسه، بالعودة إلى [ملة إبراهيم].

فالمعروف أن النبي إبراهيم الذي ينتمي إليه اليهود والنصارى، لم يكن يهودياً ولا نصرانياً، لأنه عاش قبل ظهور هاتين الديانتين بزمن طويل. لكن ذلك لم يجعله وثنياً، بل جعله مؤمناً مقرباً يكلمه الله، بشهادة من اليهود والنصارى أنفسهم. وهي حجة ساقها القرآن في نقاش مفصل، لإقرار أربعة مبادىء جوهرية في مفهوم الدين منذ نشأته:

المبدأ الأول: إن الدين سابق على قيام المؤسسة الفقهية ونزول الكتب المقدسة نفسها، كما في قوله: ﴿يا أهل الكتاب لِمَ تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده﴾[10]. وفي سورة البقرة: ﴿أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى﴾[11]. وهو سؤال استنكاري مهمته أن يعلن أن الإنسان عرف الله، قبل أن يعرفه الفقهاء.

المبدأ الثاني: إن الدين ليس فقهاً، بل شريعة تحرم الخلاف الفقهي من أساسه، كما في قوله: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾[12] وإذا كانت التفرقة قد وقعت، فذلك أمر مرده إلى تغييب هذه الوصية بالذات.

المبدأ الثالث: إن الهداية لا تتحقق بالانتماء إلى مؤسسة فقهية،

(١٠) **القرآن الكريم**، سورة آل عمران، الآية ٦٥.
(١١) المصدر نفسه، سورة البقرة، الآية ١٤٠.
(١٢) المصدر نفسه، سورة الشورى، الآية ١٣.

بل تتحقق ـ فقط ـ برفض الانتماء، كما في قوله: ﴿وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾(١٣). وهو رد مهمته أن يقرر، أن وصاية الفقه على الدين، ليست من الدين في شيء.

المبدأ الرابع: إن [الحنيف] أي [اللامنتمي] الذي يعتبره الفقهاء وثنياً، ويأملون أن يحترق في نار جهنم، هو بالذات، المؤمن الصالح صاحب الدين القيّم والصراط المستقيم. كما في قوله: ﴿قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيّماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾(١٤). وهي شهادة ربما لا تطابق مواصفات المؤمن عند أهل الفقه، لكنها تأتي من الذي بيده مفاتيح الجنة والنار معاً.

هذه العقيدة يدعوها القرآن باسم [صبغة الله وسنّة الله وفطرة الله] المشتقة من [فطر] بمعنى: بريء من الصنعة، وعذري لم تخالطه خميرة. وهو المفهوم الذي نتداوله في قاموسنا المعاصر تحت اسم [غريزة]. فالدين ليس فقهاً يتلقاه المرء من معلم، بل استجابة لغريزة في طبيعة الإنسان نفسه. إنه دستور يقوم على الاعتراف بأن الإنسان الحي مفطور على حب الحياة، وأن الحياة لا يضمنها قيام مؤسسة فقهية، بل يضمنها قيام مجتمع ديموقراطي قادر على الدفاع عنها ضد الظلم والفقر والخوف. وإذا كانت هذه الفكرة الحية، قد لقيت حتفها على يد الفقه، وتحولت إلى جثة محنطة في متحف التاريخ، فذلك هو الدليل على أن الدين ليس شعائر دينية، بل دستور سياسي لا يستطيع أن يتعايش مع أي نظام سياسي مختلف.

إن الله لم يفطر الناس على الصلاة والصوم وتقبيل الصلبان

(١٣) المصدر نفسه، سورة البقرة، الآية ١٣٥.
(١٤) المصدر نفسه، سورة الأنعام، الآية ١٦١.

وحجاب المرأة، بل فطرهم على حب الحياة الآمنة التي لا تستطيع أن تكون حياة، أو تكون آمنة، إلاّ في مجتمع إنساني قادر على ردع منطق القوة، بضمان حق الأغلبية في صياغة القوانين. وهي الرسالة التي عمل الأنبياء على تبليغها بالدعوة إلى إقامة العدل. وعمل الفقهاء على تغييبها بالدعوة إلى إقامة الشعائر، في معركة لا مبرر لها، سوى حاجة الفقه إلى تطويع الدين في خدمة الإقطاع.

فنقطة الضعف ـ والقوة أيضاً ـ في رسالة الدين، أنها دعوة سياسية تتوجه علناً لهدم كل نظام سياسي آخر، وتعمل بمثابة منشور مقدس، ينادي صراحة بإسقاط جميع أنواع الحكم التي لا تقوم على مسؤولية الإنسان عما كسبت يداه. وهي دعوة لا يستطيع الإقطاع أن يتعايش معها أو يبطلها أو يرفضها أو يهادنها، أو يحتويها. ولا يملك ثمة ما يفعله تجاهها، سوى أن يحيل لغتها إلى شيفرة سرية في قاموس سري، يتداوله رجال محاطون بالأسرار في مظهرهم وسلوكهم معاً. لهذا السبب ولد الفقه في أحضان الحكومة، وأصبح بديلاً حكومياً عن الدين.

إن [ملة إبراهيم] التي دعا إليها القرآن لتحرير المجتمع من هيمنة الإقطاع، تتحول على يد فقهاء الإسلام إلى مؤسسة فقهية، لها خمسة أركان، ليس بينها ركن واحد له علاقة بإبراهيم.

فقد عمد الفقه الإسلامي إلى تحديد أركان الدين في أداء خمس شعائر، لا يستقيم إسلام المرء من دونها هي: شهادة أن لا إله إلاّ الله، وأن محمداً رسول الله، وأداء الصلوات الخمس، وصوم رمضان، وإيتاء عُشر المال في الزكاة، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا. لكن مشكلة هذا التحديد، أنه لا ينطبق على النبي إبراهيم المسلم الأول، ولا ينطبق أصلاً على أحد من الأنبياء الذين يسميهم القرآن [مسلمين] في نصوص صريحة غير قابلة للتأويل، منها قوله

في شأن إبراهيم: ﴿ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً﴾(١٥).

وفي شأن ولديه إسماعيل وإسحاق: ﴿ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلاّ وأنتم مسلمون﴾(١٦).

وفي شأن يعقوب: ﴿إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون﴾(١٧).

وفي شأن يونس: ﴿إنْ أجري إلاّ على الله وأمرتُ أن أكون من المسلمين﴾(١٨).

وفي شأن موسى: ﴿إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين﴾(١٩).

وفي شأن عيسى: ﴿وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون﴾(٢٠).

وعلى لسان فرعون شخصياً: ﴿لا إله إلاّ الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين﴾(٢١).

فالإسلام في قاموس القرآن ليس كلمة طارئة تبحث عن مفسر، بل كلمة قديمة ذات أصل كلداني مصدرها [ܫܠܡ] [ش ل م]بمعنى [وافق وأصلح وآلف وأكمل وبلغ رشده وأصبح سليماً

(١٥) المصدر نفسه، سورة آل عمران، الآية ٦٧.
(١٦) المصدر نفسه، سورة البقرة، الآية ١٣٢.
(١٧) المصدر نفسه، سورة البقرة، الآية ١٣٣.
(١٨) المصدر نفسه، سورة يونس، الآية ٧٢.
(١٩) المصدر نفسه، سورة يونس، الآية ٨٤.
(٢٠) المصدر نفسه، سورة المائدة، الآية ١١١.
(٢١) المصدر نفسه، سورة يونس، الآية ٩٠.

وبريئاً من العوج]. إنه رسالة تقوم على الألفة بين جميع الرسالات، وتتوجه لاحتواء الشقاق الفقهي، بإعلان وحدة العقيدة وتقديم العمل على شكل الشعائر واعتماد مبدأ مسؤولية الناس عما كسبت أيديهم. وإذا كان الفقه قد أصرّ على القول، بأن الإسلام لا يستقيم إلاّ بأداء الشعائر الخمس، فلا بد أنه قد استمد هذا الحكم من قرآن لا يعرفه أحد.

إن الأمر مقلوب رأساً على عقب. فالواقع أن الفقه هو الذي لا يستقيم إلاّ بأداء الشعائر، لأنه مجرد وسيلة شكلية يسخرها الإقطاع لاحتواء الدعوة إلى الوفاق، وتغييب الأمل الإنساني في السلام والعدل، وراء حلم مؤجل إلى يوم القيامة. أما [العبادات] التي يزعم الفقهاء أنها تعني [الشعائر]، فهي كلمة قديمة أخرى مشتقة من [[illegible]] [ع ب د] بمعنى [عمل وخلق]، ومنها [[illegible]] [ع ب و د ا] أي عامل وخالق، واسم مفعولها [[illegible]] [ع ب ي د ا] التي يوردها القرآن بمعنى [عبيد الله] أي مخلوقاته.

فالعبادة في اللغة، ليست هي أداء الشعائر التي يفتي بها الفقهاء، بل هي أداء العمل الذي تقرره نتائجه الفعلية في أرض الواقع. وإذا لم يتمثل هذا العمل في السعي إلى توطيد السلام والعدل، بضمان حق الأغلبية في الحكم، فإنه يصبح مجرد بديل شكلي عن السلام والعدل بالذات.

* * *

في إطار هذه القضية، كنت أحاول هنا أن أطرح موقع الجامع في الإسلام، آملاً أن يقودنا الحوار إلى اكتشاف الفرق الخفي - والصاعق - بين رسالة الفقه، وبين رسالة الدين. وكنت أتوجه لتسليط الضوء من عدة زوايا على خمس نقاط محددة:

الأولى: إن الإسلام ليس فقهاً بل سياسة تهدف إلى بناء مجتمع

قادر على احتواء الخلاف الفقهي، باعتماد مبدأ (مسؤولية المواطن عما كسبت يداه).

الثانية: إن هذا المبدأ، غير قابل للتطبيق إلاّ في مجتمع قائم على الاقتراع الحر الذي يضمن لكل مواطن حق المشاركة في اتخاذ القرار السياسي.

الثالثة: إن كلمة (مواطن) في الإسلام، لا تعني المسلم وحده، بل تعني النصراني واليهودي وكل (مؤمن) آخر مهما كانت عقيدته. فالخليفة لا يدعى (أمير المسلمين) بل (أمير المؤمنين).

الرابعة: إن [المسجد] كلمة مشتقة من سجد، لأنه خلوة للصلاة. أما (الجامع) فهو من كلمة جمع، لأنه مؤتمر سياسي مهمته أن يضمن لكل مواطن حق المشاركة شخصياً في اتخاذ القرار السياسي. وإذا كانت ثقافتنا الإسلامية لا تميز الآن بين المسجد وبين الجامع؛ فذلك أمر مرده إلى أنها ثقافة فقهية مسخرة أساساً لتغييب نظام الجامع بالذات(٢٢).

---

(٢٢) رغم هذا التنبيه المتكرر، فإن جميع المشاركين في الردود هنا، وقعوا في فخ الخلط بين [الجامع] وبين [المسجد]، في شهادة واضحة على أن الخلل قد أصبح جزءاً من تركيبة عقل المسلم نفسه، بحيث لم يعد بوسعه أن يرى موضع المكيدة في هذه الحيلة السياسية القديمة.

أسوى من ذلك، فإن معظم أصحاب الردود، قد أنكروا دور الجامع نهائياً، زاعمين أن الإسلام لم يعرف أبداً سوى المسجد المخصص للصلاة والوعظ. وهي فكرة موجهة عمداً لضرب الدين باسم الدين بالذات. فالواقع أن الإسلام، من دون نظام الجامع، لا يضمن للمواطن حق الإشراف على أداة الحكم، ولا يضمن له بالتالي أن يكون مسؤولاً عما كسبت يداه، مما يلغي قاعدة الجزاء طبقاً لنوع العمل، ويحيل الدين إلى طقوس رهبانية بحتة.

إنني لا بد أن أعترف هنا، بأنني فشلت في شرح هذه النقطة، لأنها تشكل خللاً أزلياً في ثقافتنا، أكثر تعقيداً وعمقاً وشمولاً مما يمكن علاجه بوسائل الحوار.

الخامسة: إن اللقاء الأُسبوعي في يوم الجمعة، لقاء سياسي مخصص للمساءلة والحوار، بحضور المسؤولين الإداريين، وإن تغييب هذا الحوار، وراء مواعظ الفقهاء في خطب الجمعة، مجرد دليل على أن الفقه هو البديل السياسي عن الدين.

الحصيلة الأولى لعرض هذه القضايا خلال السنوات الماضية، كانت مجرد ردة فعل عدائية جداً، وشبه متوقعة. فقد كان من الطبيعي أن يعلن الفقه عداءه لنظام الجامع، ما دام الفقه هو [دين الحكومة الإقطاعية] التي يتوجه الجامع لهدمها بمعول الله نفسه. ورغم أن الردود لم تصدر كلها من فقهاء محترفين، فإنها ظلت تعكس منهجهم في النقد، وتخلط علناً بين رسالة الدين وبين رسالة الفقه، متعمدة أن تتجاهل سبب المشكلة من أساسها(٢٣).

إننا في حاجة لكشف هذه المغالطة المستمرة. فالإسلام الذي يبدأ بمثابة عودة إلى [ملة إبراهيم]، هو رسالة مشروطة شرعاً بالعودة إلى عصر ما قبل المؤسسات الفقهية. إنه دعوة لا تستقيم، إلاّ بإنهاء الخلاف الفقهي بين العقائد والأجناس، وتقديم نوع العمل على نوع الشعائر، وتحرير الواقع من الخيال، والاعتراف ـ دستورياً ـ بمسؤولية الناس عما يحدث لهم، وعما يحدث من حولهم. وهي رسالة لا ترتبط بما يقوله هذا الفقيه، أو هذا الكاهن، بل بما يفعله هذا المواطن الذي فقد حقه في القول والفعل معاً.

---

(٢٣) في هذه المرة أيضاً، كانت الحصيلة ردة فعل عدائية أخرى، تنم عن كره دفين في جذور ثقافتنا نفسها، لكل محاولة تهدف إلى إعادة اكتشاف الإسلام السياسي الذي دفنه الفقه لحساب معاوية وراء شعائر الصلاة وخطب الوعظ.

الردود
على الفصل الأول

الرد الأول

الدليل العجيب(*)

عبد الرحمن علي فلاح
كاتب من البحرين

في مقالة «إقامة العدل أم إقامة الشعائر؟!»[1]
أثار الأستاذ الصادق النيهوم قضية على جانب كبير من الأهمية والخطورة، وقد ظننا أن البحث فيها قد وصل إلى نهايته، وأنه لا زيادة لمستزيد، ولا تعقيب لمعقب، هذه القضية هي «أمّية الرسول» صلى الله عليه وسلم، وأنه صلى الله عليه وسلم لم يكن عالماً بالقراءة والكتابة وأن من بين معجزاته الكثيرة أنه كان أمياً، ولو كان غير ذلك لسهل اتهامه بأن ما جاء به من قرآن ما هو

القضية كما يقول عنها الصادق النهيوم:

«مشكلة هذه القصة المريبة، أنها قصة يصعب إثبات زيفها بوسائل المنطق. فلا أحد يستطيع أن يؤكد أن الحادثة لم تقع، ولا أحد يستطيع أن ينكر أن الله على كل شيء قدير»[٣].

الصادق النيهوم يؤكد بهذا أن محاولته محكوم عليها بالفشل، وأنها في حكم المستحيلة إن لم تكن مستحيلة فعلاً. فإن إجماع المفسرين في جميع العصور على أن فعل «اقرأ» يعني فعل القراءة ولا يعني شيئاً آخر، يجعل مهمة الكاتب مستحيلة، بل إنه يعترف أنه ليس في قدرة المنطق بوسائله المتعددة أن يدحض هذه القصة ويثبت عكسها، ويزيد في التأكيد بقوله:

«فلا أحد يستطيع أن يؤكد أن الحادثة لم تقع، ولا أحد يستطيع أن ينكر أن الله على كل شيء قدير»[٤].

كل هذا اليقين والثبوت يحاول أن يدحضه الصادق النيهوم بتفسير كلمة «اقرأ» على أنها تعني الإعلام والبلاغ والمجاهرة بينما تأتي كلمة «يتلو» لتؤكد على أن الرسول كان عالماً بالقراءة والكتابة، ونحن إذا سلمنا معه بهذا المعنى لكلمة «يتلو» حيث يقول:

«إن «من» للنص على عموم نفي ما بعدها»[٨].

فعبارة «من كتاب» تعني أن الرسول لم يكن يعرف القراءة فهو لم يقرأ أي كتاب بل أي شيء مكتوب، ولو كان كذلك «لارتاب المبطلون» أي المعاندون لرسول الله، أي لو كان يعرف القراءة والكتابة لما وجد الكفار أية صعوبة في اتهامه بأنه ينقل ما يأتيهم به من كلام من الأمم صاحبة الرسالات.

وإذا فسرنا فعل «يتلو» كما فسّره الأستاذ النيهوم لقلنا إن الحق سبحانه وتعالى ينفي عن رسوله معرفته للقراءة والكتابة، وأن هذه الأمية هي إحدى معجزات الرسول فهو رغم أنه أمّي لا يعرف القراءة ولا الكتابة إلاّ أنه جاءهم بكتاب معجز لا يستطيع البشر أن يأتوا بشيء يسير من مثله ولو كان الجن لهم ظهيراً.

ولقد جاء في القرآن أيضاً قوله تعالى: ﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا. قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفوراً رحيماً﴾[٩].

ومجيء فعل الكتابة على هذا الشكل «اكتتبها» أي كلّف من يقوم

له. ولم يذكر التاريخ الصادق أنه صلى الله عليه وسلم قام بكتابة الوحي بنفسه، ولو كان عالماً بالقراءة والكتابة لفعل ذلك ولو لمرة واحدة، ولكن لم يؤثر عنه ذلك. وأيضاً فإنه لما عقد الصلح مع قريش في «صلح الحديبية» وجاء في بداية العقد: «هذا ما صالح عليه محمد رسول الله»، احتج مندوب قريش، وقال: لو علمنا أنك رسول الله ما قاتلناك، فقال رسول الله للإمام علي رضي الله عنه ـ وكان يقوم بالكتابة ـ أمح كلمة رسول الله. فأبى علي ذلك، فطلب رسول الله من علي أن يريه الكلمة، فدلّه عليها، فقام رسول الله بإزالتها. ولو كان رسول الله يعرف القراءة لما طلب من الإمام علي أن يدلّه على الكلمة.

إن الجهد الذي بذله الأستاذ الصادق النيهوم جهد مشكور ولكنه تهاوى أمام النصوص الصريحة التي تؤكد على عدم معرفة الرسول بالقراءة والكتابة.

كلمة أخيرة، وهي أن الأستاذ النيهوم اتّخذ من اتهام قريش لرسول

الرد الثاني

مجادل بغير علم(*)

الصادق إبراهيم البصير
المغرب

طالعتنا مجلتنا المفضلة «الناقد» ذات الجانب الإبداعي الثقافي المعرفي بموضوع للأستاذ الصادق النيهوم بعنوان «إقامة العدل أم إقامة الشعائر»[1] واسمحوا لي أن أبدي بعض الملاحظات حول ما ورد في الموضوع المذكور.

أورد الأستاذ النيهوم أن الأمر بالقراءة في بداية سورة «العلق» في قوله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾[2] لا يقصد به قراءة نص، لأن الرسول لم يكن أمياً لكنه كان يقرأ ويكتب ويعلم

فيوجب أن يأتي من: أقرأ ـ يُقرىء ـ أقرىء وذلك بإيراد همزة التعدية، أو التجاوز لكون السلام منقولاً، ونقول أقرأ فلان السلام، وأقرأه إياه، أي بلّغه، ويقال: أقرىء فلاناً السلام أي بلغه. ونجد الزمخشري في أساس البلاغة يقول: ولا يقال اقرأ سلامي على فلان بل أقرئه. ونستدل من ذلك أن قوله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك﴾ يراد منه الأمر بالقراءة ولا يراد منه التبليغ لأنه لو كان ذلك لوجب أن يقول أقرىء ويكون المحذوف هو مفعول الفعل طلباً للاختصار، وعندما ورد في كتب السيرة والتاريخ قول الرسول صلى الله عليه وسلم: ما أنا بقارىء أي لا أعرف القراءة فإننا نجد هذه الصيغة في اللغة الآرامية تستخدم دلالة على الشخص الذي قبل في إحدى الدرجات الشماسية الصغرى ليقرأ الكتاب المقدس على المؤمنين (ܩܪܘܝܐ*).

وقد ورد في لسان العرب أقرأ غيره يقرئه إقراء. ومنه قوله تعالى: ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾[3] وإذا كان الإقراء يدل على تعليم القراءة والرسول صلى الله عليه وسلم عالماً وقارئاً ومعلماً ومحاضراً، كما

أهلكناها أفهم يؤمنون﴾[٦] وقوله: ﴿وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين﴾[٧] وقوله: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلاّ نوحي إليه أنه لا إله إلاّ أنا فاعبدون﴾[٨].

وأحب أن أشير إلى أن القرآن قد نزل بلغة العرب وبأسلوبهم وإذا كان هنالك اتفاق دلالي أو تركيبي أو حتى صوتي بين العربية وغيرها من أخواتها الساميات فهذا لا يرجع إلى أن القرآن قد جاء بتلك اللغات وإذا وردت ألفاظ سامية فهذا دليل على أن القرآن الكريم قد جاء بهذه الألفاظ دلالة على أن العرب استخدموها وصارت من المتعارف عليه في سنن العربية وقوانينها. ويورد السيوطي ألفاظاً كثيرة نزلت في القرآن بلغات الروم، والحبشة والهند، والسريان وغيرها. وهذا ليس بدليل على أن القرآن قد نزل بالكلدانية، أو الآرامية، أو غيرهما لقوله تعالى: ﴿وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً لينذر الذين ظلموا﴾[٩]، وقوله: ﴿وما أرسلنا من رسول إلاّ بلسان قومه ليبين لهم﴾[١٠]، وقوله: ﴿فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لداً﴾[١١]، وقوله: ﴿فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون﴾[١٢]

ولم يتعلم القراءة ولا الكتابة كما في قوله تعالى: ﴿ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني﴾(١٤). ومنه قوله عليه الصلاة والسلام:

«إنّا أمة أمية لا تكتب»(١٥).

وأخالف الأستاذ النيهوم فيما ذهب إليه من أن المقصود من العبادة ليس القيام بأركان الإسلام التي اعتبرها نوعاً من الابتداع الذي ابتدعته المؤسسة الفقهية، وماذا يقصد بهذه المؤسسة التي جعلتنا نقوم بأعمال ليست من الدين؟!! بل الدين كما قال الأستاذ النيهوم إقامة العدل وليس إقامة الشعائر، إقامة السلام والمحبة وليس الصلاة والزكاة والشهادتين والصوم والحج، وأي عبادة هي التي يدعو إليها أستاذنا النيهوم التي نفصل فيها العمل عن الأخلاق أي الجانب النظري عن التطبيقي؟

فلو كانت العبادة لا تعني الطاعة بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة والشهادتين وصوم رمضان وحج البيت، فمتى ينتشر العدل والسلام اللذان تريدهما؟ إذا لم نسع للعدل التوافقي بين ما يريده

ونجد أن دلالة (ع، ب، د) على الانقياد خاصية تتصف بها اللغات السامية ونذكر على سبيل المثال أن العبودية في الآرامية تدل على الطاعة والانقياد ومنه استخدام الكلمة استخداماً مجازياً للمملوك، أو الخادم « ܥܒܕܐ » وعبودية « ܥܒܕܘܬܐ ».

إن الإنسان لا يستطيع أن يحقق العدل والسلام والمحبة ما دام بعيداً عن المولى وما دام يفسر المفاهيم حسب أهوائه. وصدق الله مولانا العظيم في قوله: ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد﴾[١٧].

الرد الثالث

ما يجحظ العينين(*)

علي الخزاعي
العراق

إن ما حدث في نزول الوحي على محمد ليس قصة متداولة في كتب التفسير على سبيل الريب كما تظنه، ولكنها حقيقة واقعة وتاريخ صحيح يدحضان ريب المُرتاب، فأمية رسول الله كانت سدّاً لثغور الشك على أن القرآن من عنده، أي لم تكن نقصاً في شخصيته كنبي رسول، بل كانت دليلاً على أهليته للرسالة الإلهية المقدسة، ومحتوى لمعجزته الكبرى المتمثلة بالفرقان العظيم.

يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون. والذين يؤمنون بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون﴾[١].

إن ما جاء في المقالة من ـ تحديد مبادىء أربعة يُستدل على أنها حجة ساقها القرآن في نقاش مفصل ـ يستوجب إعادة النظر فيه، وما جاء في القرآن الكريم على أنه إثبات لها، فهو ليس كذلك، لأن الآيات في وادٍ والمبادىء المزعومة في وادٍ آخر ولا يمكن استمالتها عن معناها الذي جاءت به، إذْ إن لها معنى وتأويلاً لا يعلمه إلاّ الله والراسخون في العلم، وليس هذا موضعها كما هو واضح منَ مرمى المقالة. وقد عبّر القرآن الكريم عن مثل هذه الحال في سورة آل عمران بقوله: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هُنَّ أُمُّ الكتاب وأخر متشابهات فأمّا الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كلٌ من عند ربنا وما يذكر إلاّ أُولو الألباب﴾[٢] أعاذنا الله من الزيغ والفتنة.

قد يتضح واقعاً أن الدين فقه خالص وطقوس ذات معانٍ فلسفية

الغريزة في طبيعة الإنسان نفسه يُقر بها لخالقه، هذا فضلاً عن أنها اجتماع ووقفة بين المصلين تهدف إلى تطبيع روح الأخوة بين الناس، وإلى توثيق أواصر المحبة والألفة في المجتمع كما أن لها معاني أخرى كثيرة جداً لا تسعها سطور هذه المقالة.

هذا عن الصلاة، وللصوم والزكاة والحج والخُمس والعُمرة وباقي فروع الدين الحنيف، وجوه لا تدفع أمام الخائض في بحور معانيها، فكيف يمكن للتلميذ معرفتها دون الرجوع إلى الفقيه المعلم أو المؤسسة الفقهية؟ فالدين فقه لا يمكن أخذه بالإلهام كما يفعل البعض، ولكن يؤخذ بالإعلام من معلم فقيه يعمل به ذلك التلميذ ويجعله كالقلادة في عنق العالم لا أن يتبعه كالأعمى المسيّر إلى حيث لا يدري، فهو بحاجة إلى الفقيه كعالم وعارف، فعالم يقتدى به، وعارف يُهتدى به ومشير وموجّه له إلى سنّة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ولا سيما سُنَّةِ سيد الخلق أجمعين محمد، فالفقهاء إذاً ليسوا ضد الأنبياء ولكنهم ورثتهم وتراجمتهم.

إنَّ طرح فكرة أن الإسلام لا يستقيم إلاّ بأداء شعائر خمس ولا بد

﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض﴾(٧). كما أنه هدَّد وتوعَّد المخالف لأحكامه وأوامره ونواهيه، فهو سبحانه تعبدنا من حيث يريد هو لا من حيث نريد نحن ونرغب، فإن عبدناه من حيث يريد هو وفانا أجورنا وإن عبدناه من حيث نريد نحن (كما يفعل البعض) فإنه يرفض تلك العبادة ويردها على صاحبها ولا يقبلها وتكون بالتالي عملاً شخصياً بحتاً لا علاقة له به وسيكون مأوى فاعله جهنم وبئس المصير.

أما ما جاء في أواخر سطور مقالتكم عن موقع الجامع في الإسلام وعن معنى المواطنة وضمان حق المشاركة في اتخاذ القرار السياسي من قبل الناس بمختلف عقائدهم، فهذا أمر مخاضُهُ ذو غورٍ سحيق المهوى ملخصه بأن ليس لكل من هبَّ ودبَّ حقُّ المشاركة السياسية في مجتمعنا الحالي وفي هذه المرحلة الراهنة بالذات، ولكن ينبغي أولاً الرجوع إلى حكم الله سبحانه واتباع ما يقول هو أولاً، لا استشارة الناس في أخذ القرار السياسي فمن الناس، عزيزي الكاتب، من هو كالأنعام، بل هو أضل سبيلاً، فكيف يمكن الرجوع إلى رأي، من هُم من هذه الشريحة؟ هذا إن طبقت

فيه مدد الآجال، وتمتلىء منه ركاب العيس الرواقص، والخوص القلائص، لا أن تنتشلها بمرور الكرام كي تُلبس الحق بالباطل، فما بين الحق والباطل باطل، وصدق الله العظيم إذ قال: ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون﴾(٨).

وسلام على من اتبع الهدى.

الرد الرابع

التفسير الأحمق(*)

محمد علي كيوه
تونس

أوردت مجلة «الناقد» مقالة في أربع صفحات لكاتبه المدعو الصادق النيهوم تحت عنوان رئيسي كتب على صفحة الغلاف الخارجي بشكل مغر وخط بارز «الفقهاء ضد الأنبياء»، وعنوان رئيسي داخلي كتب في أعلى الصفحة الرابعة من المجلة بخط غليظ أيضاً «إقامة العدل أم إقامة الشعائر»[١]، وتحت هذا العنوان الأخير عناوين فرعية لا تقل خطورة عن العنوانين الرئيسيين الداخلي والخارجي.

قرأت الموضوع فلم أصدق ما قرأت واتهمت نفسي بعدم الفهم

ظن أنه جاء فيها بتفسير أعمق فازدادت اللغة منه ابتلاء بالمكروه الذي لا صبر عليه.

لقد ولع بعض الكتّاب المندسين في الأمة والمحسوبين عليها وما هم منها مثل هذا النيهوم، باتهام التاريخ الإسلامي. وسلوك طرق سفسطائية في تعليل اتهاماتهم ارتياداً لوجوه جديدة وأسباب للحوادث لم تكن معروفة، حتى يقال عنهم أنهم كشفوا حقائق تاريخية لم يعرفها غيرهم، أو يقال عنهم أنهم عرفوا أسراراً أعماها وأغفلها التاريخ الديني. ويسمون ذلك تمحيصاً وتحقيقاً وتدقيقاً ظناً منهم أن التحقيق والتمحيص إنما هما بالمخالفة والخروج على ما استقر عليه الرأي العام وأجمع عليه جمهور علماء الأمة ليشككوا الناس في دينهم. ولا ريب أن هذا هو ما يطعن به المشركون والملاحدة على نبوة محمد(ص)، وعلى التاريخ الإسلامي لينفروا المسلمين من دينهم ويجردوهم من أصالتهم ويخرجوهم من أمتهم. وخلاصة رأيه في محمد في تفسير مفتتح سورة العلق:

«وأن هذه القصة مريبة ومزورة وأن محمداً لم يكن أمياً بل كان

«إن القرآن لم يفتتح نزوله بدعوة الرسول إلى القراءة كما يزعم رواة القصة المزوَّرة»[٣].

وجاء في قوله في تفسير لفظة حنيف:

«فالحنيف في لغة الكنيسة الآرامية هو الوثني ومصدرها (ح.ن.ف) بمعنى كفر»[٤].

ويستمر الكاتب في مثل هذا الخلط والتخبط فيقول:

«إن الدين لا فقه فيه بل هو مجرد شريعة تحرم الخلافات الفقهية من أساسها»[٥].

ثم يعود للفظة حنيف فيفسرها تفسيراً آخر غير الذي ذكره أولاً فيقول:

«إنما تعني عدم الانتماء إلى مذهب فقهي»[٦].

ثم يفسر الفقه بأنه:

«استجابة لغريزة في طبيعة الإنسان نفسه المحب للحياة، والحياة لا يضمنها قيام مؤسسة فقهية لأن الله فطر الناس على محبة الحياة ولم يفطرهم على الصلاة والصوم والحج والزكاة والشهادة كما أوهم الفقهاء الناس فعملوا على طمس وتغييب دعوة الأنبياء في

حكى عنه قوله: ﴿لا إله إلاّ الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين﴾[٨]. ويزعم أن الإسلام كلمة ذات أصل كلداني مصدرها (ش ـ ل ـ م) ثم يقول:

«وإذا كان الفقه والفقهاء قد أصروا على القول بأن الإسلام لا يستقيم إلاّ بأداء الشعائر والقواعد الخمس فلا بد أنهم استمدوا هذا الحكم من قرآن آخر لا يعرفه أحد غيرهم»[٩].

هذا بغاية الاختصار مجمل آراء النيهوم، والمتأمل فيها يرى خلفها دعوى خطيرة جداً وبدعة جديدة وفريدة في بابها من حيث الشكل والطرح وإن كانت قديمة من حيث الأصل. فإن ما رمى إليه الكاتب إنما هو بعث جديد بأسلوب جديد لدعوى الجاهلية الأولى من أن رسول الله لم يكن أمياً بل كان متعلماً يعرف القراءة والكتابة، ليتسلل من ذلك إلى الطعن في رسالته ونبوته بالتشكيك فيهما. وأن الفقه ليس من الدين بل هو حرب عليه. وأن الفقهاء ضد الأنبياء، وأنهم هم الذين فرقوا الدين وجعلوا الناس شيعاً فيه. وخطر دعاويه هذه يتمثل في محاولته الفصل بين الإسلام وبين ما استنبطه الفقهاء والأئمة المجتهدون من المصادر الأساسية للإسلام.

لقد كان [شاخت] وهو الحاقد المتعصب ضد الإسلام والمسلمين أكثر اعتدالاً من النيهوم الذي حاول تغطية حقيقة أمره والظهور بمظهر المسلم المنفتح الذي يدافع عن الإسلام، ولكن أمره قد انكشف زيادة على أنه نقل آراء [شاخت] و[كانط] بحذافيرها ولم يراع حتى الأمانة في النقل لأنه بعد أن تبنى تلك الآراء نسبها إلى نفسه وأضفى عليها صبغة سوداء من الحقد الأكبر والتعصب الأمقت ضد الإسلام وعليه، فما رأينا أحداً قال مثل قول النيهوم في أمية محمد لا من أهل اللغة وعمالقتها ولا من الدخلاء عليها وما سمعنا أحداً قال مثل قوله في فقهاء الأمة وعلمائها وأئمتها لا من أهل الملة ولا من غيرهم.

لكن لما تعطل الزمن وقلّ فيه ناصر الدين، فأصبح هدفاً لمعاول الهدم والهدامين، وصارت اللغة صحافية وآلت العربية وآدابها إلى الدخلاء ممن تأصلت فيهم العُجمعة وفشت فيهم العصبية والتبعية الذليلة للأجنبي، وآن للجهل أن يبرز بإفرازاته «النيهومية» صار النبي محمد متعلماً مثقفاً من قبل بعثته وصار الفقهاء أعداء الأنبياء وسبب تخلف الأمة وتظهر في مقال الكاتب وطرحه روائح نتنة

مقالته بالصلاة عليه ولو مرة واحدة أو برمز الصلاة: (ص). فقد أظهر له جفاء لم نره من الكتّاب المسيحيين الذين يصلون عليه في كتاباتهم بالعربية مجاملة للمسلمين أو اعترافاً منهم له بالفضل. وأعجب من ذلك ما سلكه من طرق المغالطة وأساليبها حتى فيما عُرف من اللغة بالبداهة والضرورة عندما يقول:

> «وهناك خطأ لغوي فاضح ارتكبه الرواة الجهلة على عادة المزورين والواقع أن كلمة اقرأ لا تعني أصلاً فعل القراءة لأنها كلمة كلدانية الأصل تعني أعلن وجاهر وبلغ وناد»[11].

فما هو الأمر الذي سيعلن عنه ويبلغه ويجاهر به والحال أن اقرأ هي أول ما نزل به جبريل من الوحي عليه وهي أول عهد له بالوحي، بحيث إنه ما زال لم يعرف من الأمر شيئاً حتى أنه عاد مضطرباً وهو يقول: زملوني زملوني، فأخذته خديجة رضي الله عنها إلى ابن عمها ورقة بن نوفل الذي عنده علم من الكتاب فطمأنه بعد أن سمع منه بأن الذي رآه هو عينه الناموس الذي جاء لمن سبقه من الأنبياء وبشره بأنه سيكون نبي هذه الأمة بحيث إنه لم يتضح له الأمر باقرأ ولم يعرف المطلوب إذ ذاك إلاّ بعد أن نزل عليه الوحي

اسم تفضيل من قرأ أي أجود قراءة ـ واستقرأه طلب منه أن يقرأ ـ والقرّاء الحسن القراءة[١٤]. وحينئذٍ فإن اقرأ في أول سورة العلق لم يكن المراد بها الأمر بالتبليغ كما زعم النيهوم، وإنْ وردت بهذا المعنى في اللغة المسموعة خاصة كقولنا فلان يقرئك السلام. ودليل ذلك أن الله تعالى أمر نبيه بالجهر بالدعوة وإعلانها وتبليغ الوحي والرسالة في قوله تعالى: ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾[١٥]. وقوله تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾[١٦]. فاقرأ في مفتتح العلق لا تعني التبليغ والإعلان كما زعم النيهوم وادعى وإنما تعني القراءة والتعلم والاتباع لأن الأمر بإيجاد الفعل أمر به كما قرره علماء الأصول. ومن استدلالاته على أن الرسول كان قبل بعثته ونبوته يعرف القراءة والكتابة ما ذهب إليه من تحريف المعنى في قوله تعالى: ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي...﴾[١٧]، وقوله تعالى: ﴿رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة فيها كتب قيمة﴾[١٨]، وقوله تعالى: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب

«وهو المعنى الذي يتبناه القرآن نفسه حرفياً في آيات منها قوله تعالى: ﴿قل للذين أوتوا الكتاب والأميين﴾[٢٠]، ويستنتج أن الأمي ليس هو غير المتعلم بل هو غير اليهودي»[٢١].

ووقفة أخرى عند قوله (فالأمي في لغة التوراة ليس هو غير المتعلم)، لنقول له إن لغة القرآن لغة مكتفية بذاتها لا تحتاج إلى غيرها من اللغات القديمة البائدة، وأن ما دخل في العربية بوساطة القرآن من ألفاظ تلك اللغات صار له مدلول ومعنى عربيان، وإذا صح أن لفظ الأمي توراتي الأصل فقد صار لفظاً عربياً له عدة دلالات من بينها عدم معرفة القراءة والكتابة كما جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله قال: «نحن أمة أمية لا نقرأ ولا نكتب الشهر هكذا وهكذا وهكذا» وأشار بيديه إلى تسعة وعشرين يوماً، جاء في منجد اللغة والأعلام:

«أن الأمي هو من لا يعرف القراءة والكتابة. والأمية هي جهل القراءة والكتابة، كما جاء لفظ الأمي في العربية نسبة إلى الأمة ج. أممي وهي الجماعة والجيل من الناس. والأمة الطائفة من الزمن كقوله تعالى: ﴿وادّكر بعد أمة﴾[٢٢]، والأمي من جمع صفات الخير في الأمة كلها كما جاء في قوله تعالى عن إبراهيم عليه

أتْلت المرضع أي تلاها ولدها وتبعها وأتلاه الله أطفالاً أي أتبعه بأطفال. وتلاه تابعه وشاركه كقولنا تالي فلان المغني إذا غنى مثل غنائه وقال مثل قوله بصوت دون صوته. والتِّلْوُ التابع جمع أتلاء. والتِّلْوُ من لا يزال تابعاً غير مستقل بنفسه. ولهذا يكون معنى أمية الرسول عدم سابق معرفته بالقراءة والكتابة ويكون معنى التلاوة التي قام بها هو الاتباع والتزام أوامر الوحي الذي أنزله الله عليه بوساطة جبريل عليهما السلام.

ومعجزة رسول الله هو أنه مع أميته وعدم معرفته القراءة والكتابة فقد جاء بما أعجز الثقلين عن الإتيان بمثله أو ببعضه. فالأمية بالنسبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شرف له اختصه الله به. فقد أغناه الله تعالى عن الاحتياج لأحد من خلقه لأن المعلم أفضل من المتعلم أو بعبارة أدق له فضل على المتعلم دائماً والمتعلم مدين لمعلمه ورسول الله هو أشرف وأكرم وأفضل مخلوقات الله وجميع الخلق مدينون له بالفضل لذلك حفظ الله تلك المنزلة وتولى بنفسه تعليمه، ولم يعهد به إلى أحد من خلقه ليكون معلم الإنسانية ومرشدها ومخرجها من الظلمات إلى النور، وتكون مدينة له بالعلم

> مبرر واحد لهذا التفسير الغبي سوى انحراف المنهج الذي ميز علم التفسير منذ مولده بسبب إصراره على تجاهل مصادر لهجتنا العربية في القاموس الكلداني»[٢٤].

ونحن لا نستغرب من النيهوم هذا القول طالما أنه يستمد معلوماته وأدلته عليها من الكتب المنسوخة ومن الوثائق الكنائسية التي يبدو أنه يروج لها بطريقة أعترف أنها لا تخلو من ذكاء ماكر وخبيث. فهو يدعي أن ألفاظ القرآن في أغلبها مأخوذة من لغة الكنيسة الآرامية وكأنه يريد أن يقول من وراء ذلك إن القرآن ولغة القرآن مفتقران إلى غيرهما وعالة على غيرهما مستشهداً لذلك بلفظ حنيف المرادف عنده للفظ أمي فيقول:

> «إن كلمة حنيف ذات الدلالة على الإسلام تعني في لغة الكنيسة الآرامية ـ الوثني ـ ومصدرها (أ ـ ح ـ ن ـ ف) بمعنى كفر وصبأ وارتد»[٢٥].

إن المتعارف في كتب اللغة ومعاجمها أن الحنف هو الميلان والاعوجاج وأصل الوضع في كلمة حنف حنْفاً بمعنى مال ميلاً وحنَفَ حَنَافَةً اعوجت رجله ومالت إلى الداخل فهي حَنْفاءُ: بمعنى معوجة، ثم نقل معنى الكلمة إلى

الأنبياء ويكيل لهم التهم جزافاً دون سند يرجع إليه أو دليل يعتمد عليه سوى مجرد التشكيك في الدين وفتنة أهله عنه والنقد البذيء لعلماء الأمة. وأعتقد أن الجميع يعلم حتى النيهوم نفسه أن الفقه الإسلامي يرتكز أساساً على الكتاب والسنّة والاجتهاد المشروع فيما لم يقع التنصيص عليه فيهما. ويعلم الجميع أيضاً أن المسلمين توسعوا في الاجتهاد بعد تدوين الحديث فنشأت عن ذلك مذاهب ومدارس فقهية كثيرة لم يبق منها الآن إلاّ المذاهب السنية الأربعة بالإضافة إلى فقه الشيعة وأن الفقه الإسلامي قد غطى وسيظل يغطي كل ما تتطلبه حياة المسلمين من عبادات ومعاملات من حيث معرفة الأحكام الشرعية فيما يتصل بعلاقة العبد بربه وفيما يتصل بعلاقة المسلمين ببعضهم أفراداً وجماعات وعلاقتهم بغيرهم ممن يعايشونهم أو يجاورونهم أو يتعاملون معهم مجاملة ومشاحة في زمني السلم والحرب، وقد استمدت القوانين الوضعية قديماً وحديثاً محاور مادتها الكبرى من الخطوط الرئيسية للفقه الإسلامي، كنظام الأسرة المعروف في القوانين الوضعية بالأحوال الشخصية، والنظام العيني المعروف فيها بالقانون المدني، والحدود

وظل تفكير الفقهاء وجدلهم وحوارهم إسلامية صرفة لم يرجعوا فيها إلاّ إلى فهم نصوص القرآن والحديث وتأويلهما والتعمق في فهم أسبابهما ومقاصدهما زيادة على ما ثبت تاريخياً، مما لا يستطيع النيهوم إنكاره، من أن الفقهاء المسلمين لم يترجموا أي نص فقهي قديم على كثرة ما ترجم المسلمون من علوم الإغريق والهند والرومان والفرس. وبذلك يكون الفقه الإسلامي هو المادة الفكرية الإسلامية الأصيلة التي أبدع فيها المسلمون على غير سابق مثال.

إن علم فروع الفقه هو الذي شغل الفكر الإسلامي وكان مجال عمل المجتهدين من فقهاء الأمة طوال القرون الخمسة الأولى، وأنتج تراثاً فقهياً ضخماً ما زال محفوظاً في المدونات والأمهات من الكتب، يمثل مورداً معيناً تستمد منه كل الأمم قوانينها الوضعية، وإن توقف بعد ذلك بتوقف الاجتهاد، وبعد أن حاولت أوروبا أن تنفر منه أهله من المسلمين لتستغله هي في شكل قيَم اجتماعية تعاملية وتنكره كأحكام شرعية إسلامية. ورغم ذلك عاش المسلمون بمقتضى الشريعة الإسلامية، مكتفين بما فيها لم يحتاجوا

التي أباح الله فيها الرأي وأباح فيها الاجتهاد والاختلاف والترجيح أموراً مجزومة مبتوتاً فيها، وليت البت فيها كان من الله ولكنهم أرادوها مبتوتة منهم هم، ولو أرادها الله هكذا ما استطعنا أن نختلف أبداً.

وخلاصة كلامه أن الله تعالى كلفنا بالغاية فقط وهي الإيمان به وبوجوده أما الوسيلة لذلك فنحن الذين نختارها ونضعها، ونسي الكاتب أو تناسى أن الله تعالى لم يلزم عباده بالغايات إلاّ من حيث ألزمهم بوسائلها ولم يكلفهم بالأهداف إلاّ من حيث كلفهم بالسير في مناهجها. والعدالة التي يزعم الدفاع عنها ليس هي ما يخترعه الإنسان لنفسه من تشريع في منهج العبادة بما يتخذه من وسائل، ولكن العدالة أن يسعى للغاية عن طريق شريعة الله وحكمه. ويتصور الكاتب أن الجهل بالحكم الشرعي لا يأتي إلاّ من عدم وجود نص عليه فإذا وجد النص من الكتاب أو السنّة فإن أسباب الجهل تزول ويكون الناس سواء في إمكان فهم الحكم مما تسقط معه الحاجة إلى الفقهاء واجتهاداتهم وإلى العلماء وآرائهم. فماذا يحدث لو عمَّمنا دعوة الكاتب ودعونا الناس إلى عدم التقيد

الرسول: «من يرد الله به خيراً يفقّهه في الدين» متفق عليه، أي يفهمه الدين. والفقه علم الفروع ومعرفة الأحكام التي طريقها الاجتهاد، لأن الأحكام الشرعية التي لا يحتاج الإنسان في إدراكها إلى جهد واجتهاد لا تسمى فقهاً وإنما تسمى بديهيات وهو ما عُرف من الدين بالضرورة كالأحكام التي طريقها النص مثل وجوب الصوم ووجوب الحج والصلاة إلى غير ذلك. فضع مثلاً صحيحي البخاري ومسلم أمام عامة المسلمين اليوم وقل لهم أن يفهموا أحكام دينهم من النصوص، التي فيهما، ثم انظر كيف يكون التخبط والجهل والعبث بالدين والخصام فيه، فإن كان هذا الذي تريده من طرحك المريب لهذه القضايا فلا بد أن يكون وراء الأكمة ما وراءها مما يستوجب صرخة في أذنيك أن: ﴿يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم﴾[٣٠].

من أين لك هذا(*)

يوسف محمد عوض
ليبيا

قال الله تعالى في القرآن الذي أنزله على محمد(ﷺ):

﴿يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلاّ الله ولا نشرك به شيئا﴾[1] صدق الله العظيم وبداية إذا كان القرآن من تأليف محمد(ﷺ) فالأجدر به أن يدعو لنفسه ومعتقداته وأن يطعن في كتب غيره ويشكك فيها ولكنه الالتزام النبوي من رب العالمين حيث يقول: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً

والإسقاط عموماً حيلة لا شعورية تتلخص في أن ينسب الإنسان عيوبه ونقائصه ورغباته المستكرهة ومخاوفه المكبوتة التي لا يعترف بها إلى غيره من الناس. أو إلى الأشياء. أو إلى الأقدار أو إلى سوء الطالع وذلك تنزيهاً لنفسه. وتخففاً مما يشعر به من القلق أو الخجل أو النقص أو الذنب. وهو العملية النفسية التي نخلع بها تصوراتنا ورغباتنا وعواطفنا على الآخرين أو على موضوع من الموضوعات. وهذا ينطبق تماماً على الكنيسة والاستشراق والتبشير وحملة الأقلام الموظفة.

ومن هذا يتبين لنا أن الكاتب إما أنه مستشرق جديد يعلن عن نفسه. أو قلم موظف. وحملة النيهوم على القرآن الكريم وسيدنا محمد(ﷺ) وعلى الإسلام، ليست جديدة. حتى يمكننا دراسة ما كتبه دراسة وافية. لأن عدداً كبيراً من المستشرقين الذين تتلمذ على أيديهم قد سبقوه إلى هذه الحملة الكنسية المعروفة منذ القدم. وقد تبنت الكنيسة كلاً من نولدله وكارل بروكلمان وريسكه وقد حورب الأخير لإتقانه النحو العربي ولاطلاعه على الكتب العربية

الموضوع وأذكرك ببعض أقوال المستشرقين الكنسيين والموظفة أقلامهم:

١ ـ المستشرق هـ. ج. ويلز قال: «محمد هو الذي صنع القرآن».

٢ ـ ماكدونالد قال: «القرآن ليس من عند الله».

٣ ـ وليم موير: «إن سيف محمد والقرآن هما أكثر أعداء الحضارة والحرية والحقيقة الذين عرفهم العالم عناداً».

٤ ـ كارل بروكلمان: «اقتبس محمد معتقداته من مصادر سابقة».

٥ ـ ولهاوزن: «القرآن من عند محمد من تأليفه».

فأين أنت من هؤلاء!!؟! هداك الله.

وردي على الحاقدين والمفترين على القرآن والإسلام ومحمد يبدأ ببعض من المستشرقين الذين اتهموا النبي والقرآن والإسلام بالاتهامات نفسها ثم أدركوا الحقيقة واعتذروا ومنهم:

١ ـ جان دوانبورت ألف كتاباً عنوانه «اعتذار لمحمد والقرآن»

وإفريقيا وأوروبا» إنه رجل دين مسيحي يعترف بانتشار الإسلام ويطالب بدعم المبشرين. والسؤال هو لماذا الإقبال على الإسلام؟

وأود تذكيرك ببعض آيات القرآن الكريم علّها تهديك سواء السبيل.

١) سورة البقرة: ﴿الم. ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين. الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون. والذين يؤمنون بما أُنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون﴾(٥).

٢) سورة البقرة: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن... فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾(٦).

٣) سورتا آل عمران والشورى: ﴿وشاورهم في الأمر ـ وأمرهم شورى بينهم﴾(٧).

٤) سورة النساء: ﴿لكن الله يشهد بما أُنزل إليك أنزله بِعِلْمِهِ والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا﴾(٨).

٥) سورة المدثر: ﴿ما سلككم في سقر. قالوا لم نك من

الرد السادس

أين الدليل أين الحجة؟(*)

عبد الله أبو سيف البشاري
ليبيا

كتب الصادق النيهوم في مجلة «الناقد»[١] مقالة بعنوان «الفقهاء ضد الأنبياء». وقد تهجم صاحب المقالة على فقهاء الشريعة الإسلامية، بل لقد تطاول على الشريعة نفسها، فطعن في فرائض الإسلام من صلاة وصيام... إلخ.

وليست هذه أول مرة يهاجم فيها هذا الرجل علماء الشريعة ويسخر من الشريعة نفسها، ويطعن في أحكامها. ولقد سبق لي أن رددت عليه منذ ما يقرب من ربع قرن من الزمان حينما كنت طالباً بكلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر، وذلك عندما تكلم هذا

الدينية والجامعات الإسلامية مفتحة الأبواب لكل من أراد أن يدرس الشريعة الإسلامية ويتخصص بها. فهل جعل علماء الدين هذه المعاهد والجامعات قاصرة عليهم وعلى أبنائهم، أو أبناء طبقة معينة من الناس، ومنعوا الآخرين من الدراسة فيها؟

٢) لا يوجد في الإسلام رجال دين بالمعنى المعروف في بعض الأديان الأخرى، أي إن لهم الحق في أن يحللوا ويحرموا ويفعلوا ما يشاؤون باسم الدين، ولا يسألون عما يفعلون، ويعتبرون أنفسهم وكلاء عن الله، ويبيعون للناس صكوك الغفران. لا يوجد في الإسلام رجال دين بهذا المعنى، وإنما الذي يوجد في الإسلام علماء دين بمعنى أنهم تخصصوا بدراسة العلوم الشرعية وما يتعلق بها وقضوا جل شبابهم (وإن شئت فقل كل شبابهم) في هذه الدراسة حتى نالوا الإجازات العالية فما فوقها بالشريعة الإسلامية. فهم علماء الدين، أو رجال الدين، أو المتخصصون في دراسة علوم الشريعة أو أو.. إلخ. فنحن لا يهمنا الاسم ولكن يهمنا المسمى.

وهؤلاء العلماء هم المسؤولون عن إرشاد الناس إلى هذا الدين، وإيضاح ما خفي عليهم، والإجابة على استفساراتهم، وتوضيح معالم الرسالة المحمدية لهم، والتصدي لخصوم دينهم، المحاولين عبثاً إطفاء نور الله بأفواههم. وكل ذلك

الدامغة، والبراهين القاطعة، ولكننا تغاضينا عن كثير من مساوئهم أملاً منا في أن يعودوا إلي رشدهم، ويصبحوا أعضاء صالحين في المجتمع الإسلامي. ألا قد بلغ السيل الزبى وأصروا واستكبروا استكباراً»..

وبعد فإن هذا الرجل وأمثاله إنما يحاولون الطعن في علماء الإسلام، لأنهم يعرفون أن هؤلاء العلماء هم أول من يرد عليهم، ويكشف نواياهم، ويبين مغالطتهم، ولذلك يود هؤلاء الحاقدون على الإسلام أن تكمم أفواه العلماء، أو تشل أيديهم حتى يفسح المجال لإلحادهم وزيفهم.

كتب هذا الرجل يقول: الفقهاء ضد الأنبياء، ومعلوم أن الفقه معناه الفهم، ففقه الشريعة الإسلامية معناه فهم الشريعة، وفقهاء الشريعة هم الذين درسوا الشريعة وفهموها، وتخصصوا بها، فهل هؤلاء الفقهاء ضد الأنبياء؟ وإذا كان هؤلاء ضد الأنبياء فمن وليهم، وناشر شريعتهم؟ لعل هذا الرجل وأمثاله هم أتباع الأنبياء الحريصون على نشر دعوتهم!!! وأخذ هذا الرجل يطعن في الأحاديث الصحيحة ومنها حديث بدء الوحي، واستبعد أن يكون جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم: اقرأ فقال: ما أنا

> «وإذا كان الفقه قد أصر على القول: بأن الإسلام لا يستقيم إلاّ بأداء الشعائر الخمس، فلأنه قد استمد هذا الحكم من قرآن لا يعرفه أحد، إن الأمر مقلوب رأساً على عقب، فالواقع أن الفقه هو الذي لا يستقيم إلاّ بأداء الشعائر، لأنه مجرد وسيلة شكلية يسخرها الإقطاع لاحتواء الدعوة إلى الوفاق، وتغييب الأمل الإنساني في السلام والعدل وراء حكم مؤجل إلى يوم القيامة»[٤].

انظروا إلى أي حد بلغت جرأة هذا الرجل على دين الله!!! أداء العبادة التي فرضها الله على عباده تعتبر وسيلة شكلية يسخرها الإقطاع... إلخ. «سبحانك هذا بهتان عظيم» إن وجوب العبادات التي افترضها الله على عباده من صلاة وصيام.. إلخ أمر لم يستمده الفقهاء من قرآن لا يعرفه أحد، ولكن كاتب المقالة هو الذي استمد كلامه من قرآن لا يعرفه إلاّ هو، لأن القرآن الكريم الذي أنزله الله على خاتم النبيين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم صريح وقاطع في وجوب أداء الشعائر الخمس. قال الله تعالى: ﴿الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة، ومما رزقناهم ينفقون﴾[٥]. ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾[٦]، الآية الأخيرة من سورة المزمل وتكررت في سور أخرى. ﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً

ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾[١٠]. ﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾[١١]. ﴿الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج﴾[١٢]. ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون. أياماً معدودات، فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين، فمن تطوع خيراً فهو خير له، وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون، شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، فمن شهد منكم الشهر فليصمه، ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر، ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون﴾[١٣].

فهل هذه النصوص استقاها الفقهاء من قرآن لا يعرفه أحد، «سبحانك هذا بهتان عظيم» ونحن نسوق هذه الآيات للقراء الكرام وإن كانت معلومة للجميع أما كاتب المقالة فهو لا يعترف بشيء من ذلك، والإسلام عنده ليس إلاّ إقامة العدل والسلام. أما أن تصلي، تصوم أو تفطر، تشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً

للمسألة والحوار بحضور المسؤولين الإداريين، وإن تغييب هذا الحوار وراء مواعظ الفقهاء في خطبة الجمعة، مجرد دليل على أن الفقه هو البديل السياسي من الدين»[١٥].

ومعنى هذا أن كاتب المقالة ينكر وجوب خطبة الجمعة وصلاة الجمعة، ولا غرابة في هذا لأنه أنكر كل فرائض الإسلام. لكننا نقول له: من أين لك تحديد مهمة اللقاء الأسبوعي في يوم الجمعة على هذا النحو؟ ما دليلك؟ ما حجتك؟ لماذا تريد أن يسير كل شيء حسب ما تقترح، وحسب ما تتصور أنت؟ أم إنك تريد أن يتلقى علماء الإسلام أحكام الشريعة منك ومن مقترحاتك وأهوائك حتى لا تتهمهم بأنهم يقرؤون قرآناً لا يعرفه أحد؟ ثم من قال لك إن خطبة الجمعة للوعظ فقط وليس لها أي دور سياسي؟ فالقراء يعلمون أن هناك عروشاً اهتزت وربما سقطت بسبب صيحات الخطباء من فوق أعواد المنابر. إن الوعظ ليس معناه كما فهمت، أو كما تحاول أن تفهم، وإنما معناه تذكير المسلمين بما ينفعهم في دنياهم وأخراهم، وحثهم على القيام بواجبهم، في مختلف نواحي الحياة، ولكن على كل حال خطبة الجمعة ليست حواراً مع المسؤولين الإداريين كما تصورت من غير دليل أو حجة.

الرد السابع

لا للمهاترات[*]

عبد الرحمن قوبي
المغرب

إقامة العدل أم إقامة الشعائر؟ ذلك هو عنوان مقالة الأستاذ الصادق النيهوم[1]. وقد شدتني المقالة إليها شدًا ـ كدأبي مع جل مقالات الأستاذ النيهوم ـ لما حوته من أفكار جريئة تتطلب قدراً كبيراً من التعمق والأناة لفهمها واستيعابها ومناقشتها، غير أنني أجد نفسي ـ هذه المرة ـ لا أشاطر الأستاذ الرأي في بعض نقاط هذه المقالة، من هذه النقاط، ملاحظته أن لفظة قراءة لا تعنى القدرة على الاستيعاب والفهم الصحيح

قوله تعالى: ...﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾[٣]... «فالآية لا تطلب من الرسول أن يقرأ، بل يكلفه بإعلان الدعوة»[٤].

والواقع إنه لو كان هذا الطرح سليماً لاستوعبه الرسول لأول وهلة، ولم يحتج ـ وهو على صواب ـ بأنه غير قادر على القراءة عندما خاطبه جبريل لأول مرة: اقرأ فرد عليه: ما أنا بقارىء!!! لأنه في هذه الحالة سيكون قد عصى أمر ربه، ولم يصدع بما أمر به. أما وإنه كان عاجزاً عن القراءة التي بمعنى فعل القراءة فإنه كان ـ وكما قلت ـ مصيباً، ويبقى بعد ذلك هو الاحتمال الأرجح لا ما ذهب إليه الأستاذ، حتى وإن حاول جاهداً تخريج ذلك من بعض اللغات القديمة أو من النص القرآني نفسه كما في قوله:

«.. والملاحظ أن قوله تعالى: ...﴿يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة...﴾... هو شهادة صريحة بأن الرسول لم يكن يحسن القراءة فحسب، بل كان معلماً ومحاضراً»[٥].

أما النقطة الثانية، وهي امتداد للأولى. فمعنى وقفته عند لفظة (أمي) التي لا تعني عند الأستاذ الصادق النيهوم المعنى المعرفي، وإنما تتحول إلى معنى اجتماعي إذ يقول:

إن لفظة [أمي] عند الأستاذ الصادق النيهوم تتحول من حقل دلالي معرفي إلى حقل دلالي اجتماعي سياسي، ويغدو الرسول تبعاً لهذا التحول أممياً وليس أمياً!! وقد سبق أن نشر الدكتور عادل جاسم البياتي مقالة في الموضوع نفسه جاء فيها:

«وقد وجد من العلماء العرب من ذهب إلى القول بأن الأمّيّة اصطلاح جاهلي ورد في الإسلام، وذكره القرآن صفة للشخص الذي لا يقرأ ولا يكتب. وقد ذهب المستشرق ف. بول .Frantz Buhel مثل هذا المذهب..»[8]

ومن جهة أخرى، جاء في دائرة المعارف الإسلامية ما نصه:

«.. وقد ذهب (بول F. Buhel) إلى أن كلمة أمي معناها الذي لا يكتب ولا يقرأ، في اليونانية [لايكوس] وليس معناها الوثني. إن هذا الرأي مطابق لنص الآية ٧٨ من سورة البقرة. فإن ما عليه أكثر مما له»[9].

إن المعنى الذي يتبناه الأستاذ الصادق النيهوم لم يكن بدعاً فيه، بل كان هناك من سبقه إلى ذلك. كما جاء في دائرة المعارف حيث يقول صاحب المادة:

ترمي الأميين بالجهل بالقراءة والكتابة، بل ترميهم بعدم معرفتهم بالكتب المنزلة»[11].

ثم جاء في التعليق على قول صاحب المادة:

«إن كلمة الأمي التي وصف الله بها نبيه(ص) في آيتين من سورة الأعراف، وهي مكية أي إنها نزلت عندما كان بمكة قبل الهجرة، وهي السورة ٣٩. ولم يكن للنبي(ص) صلة باليهود عندما كان بمكة حتى يمكن للكاتب أن يزعم أن الكلمة أطلقها اليهود في ذلك الوقت على الوثنيين، وقد جاءت الكلمة في ست آيات من القرآن هي:

سورة الأعراف: ١٥٧ ـ ١٥٨، سورة آل عمران: ٢٠ ـ ٧٥، سورة الجمعة: ٢، سورة البقرة: ٧٨.

وسياقها كلها يدل على أن المراد بالأمي هو من لا يعرف القراءة والكتابة كما هو المعنى المعروف في لغة العرب... وبذلك فسرها أئمة اللغة العارفون بها..»[12].

وذلك فعلاً ما وجدناه في كتب المفسرين الفطاحل فقد جاء في تفسير الطبري قوله:

«قال أبو جعفر: يعني بالأميين الذين لا يكتبون، ولا يقرءون،

بكتاب على هذا القدر من الإعجاز البياني! والواقع إنه لو لم يكن محمد بن عبد الله أمياً بالمفهوم المعرفي، لبطلت علة من علل الدعم المعنوي لموقفه؛ أن يأتي خطاب معرفي على هذا المستوى من رجل أمي، أمر معجز حقاً. أما أن يأتي من رجل متعلم/ مثقف، فهذا طبيعي، وطبيعي جداً في تلك الفترة.

والأمر الثالث الذي أخالف الأستاذ في جزء منه وأوافقه في جزء. هو بيانه أن حدود الإسلام لا تقف عند أمة معينة في تاريخ معين. بل إنها تمتد بجذورها إلى كل الأديان السابقة للإسلام. وهذا أمر ثابت لا يجادل فيه أحد. لكن أن نقول ـ كما جاء في المقالة:

.. «وإذا كان الفقه قد أصر على القول بأن الإسلام لا يستقيم إلاّ بأداء الشعائر الخمس، فلا بد أنه قد استمد هذا الحكم من قرآن لا يعرفه أحد»(١٥).

هنا أقول. إن إصرار الفقه على ذلك يستمد مشروعيته من النص القرآني نفسه، ومن الحديث القدسي. وليس محض اجتهاد أو اختلاق. فالأركان الخمسة هي عماد الإسلام فعلاً ولكنها ليست

يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام. قال رسول الله: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلاّ الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إنْ استطعت إليه سبيلاً. فقال: صدقت، فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: أخبرني عن الإيمان. قال: أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت. ثم انطلق فلبثت ملياً، ثم قال: يا عمر أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم».

وأخيراً، إن هذه الوقفة التأملية إزاء مقالة الأستاذ الصادق النيهوم تتوخى أساساً خلق حوار علمي هادف ـ عبر صفحات المجلة ـ بعيد عن كل المهاترات والانفعالات المجانية. وأعتذر إلى الأستاذ الصادق النيهوم إنْ كنت لم أستوعب خطابه كما يجب...

الرد الثامن

قرآن عربي لا كلداني(*)

عماد سيف الدين
لبنان

إنه لأمر يدعو إلى الغبطة، أن نرى بعض الدراسات تحاول أن تتعمق في ممارستها الفكرية لإنتاج معرفة جديدة، وأن تضفي عليها بعداً معرفياً حديثاً، يحمل تحت إبطه جدلية علمية بين أنساق مختلفة في شكلها، متقاربة في مضمونها. ولكن يبقى وبالدرجة الأولى، أن نتوافق علمياً على الطريقة والمنهج الأكثر مناسبة، وفق نسق كلي، وضمن معطيات واضحة.

في كثير من هذه الدراسات، لم تتجاوز الممارسة بُعدها الجمالي،

يحق لنا أن نعالج هذه الممارسات بالتماس الرواتب في مضمونها، لا بالحكم على مدلولها، مع التحفظ والحيطة...

إحدى الدراسات الجديدة، حاولت وعن طريق أسلوب جديد، أن تعالج بنيوياً بعض النصوص باختيار عيّنات منها والبحث والتنقيب في مدلولها، إلاّ أنها في الوقت نفسه كانت تقع في شرك سوء الممارسة وضعف الشمولية في آن معاً، كاختيارها النص عربي المحتوى والمدلول، وتأويله بِبُعد كلداني المعنى واللسان، بصرف النظر عن معاني المفاهيم وتطور اللغة طبقاً للنظام المعرفي الخاص، وبصرفه عن تغير مدلول العنصر داخل البنية الأخرى وقيمته في (كلّه) الخاص. نفترض مع هذه الممارسة تصور (كلّ) جديد، هو مجمل هذين الكلين (العربية والكلدانية)، و(الكل) الواحد فيه هو عنصر، ومع ذلك سنجد أنفسنا أمام نتائج بعيدة عن المراد، لأن العلاقة التي سنقيمها بين هذين ـ الكلّين ـ لن تعبر عن مضمونها باستقلال، وإنما عنهما جملة، وطبقاً لتحليل منطقي، فإن ١+١=٢، ولكن ١#٢، وتكون نتيجة التحليل إنما تطال جملة العنصرين لا أحدهما دون غيره.

الحامية، ومع الإشارة إلى أن التحليلات التي توصل إليها علماء فقه اللغة هي عبارة عن تصنيفات وآراء، وليست حقيقة ثابتة. بالإضافة إلى أن العربية لم تسلم حتى من التباعد في نشأتها عن أصلها، فقد كثرت الآراء التي تقول إنه بين العربية الجنوبية القديمة والعربية الشمالية اختلاف كبير.

ثانياً: وضمن دائرة الإمكان، لماذا ننطلق من مقولة (العربية ليست هي أقدم اللغات السامية) كمسلمة، مهملين مقولة (إن العربية هي أقدم اللغات السامية olshausen.

ثالثاً: لماذا نفترض التقارب بين الكلدانية والعربية في المدلول، مع أن بنية المعرفة تختلف بين الاثنتين، خاصة وأن المعاجم العربية زاخرة بالدلائل على هذا الأمر.

رابعاً: وحتى لو سلمنا جدلاً، فإن جلّ ما يمكن أن نتوصل إليه ضمن نطاق فقه اللغة، هو التقارب في التصويت والمدلول بين اللغتين، وإنه لخطأ في القياس، وحيدة عن الصواب أن

سادساً: هو أن العرب قطعوا بين لسانهم ولسان غيرهم (مع صرف النظر عن الاشتقاقات) حيث قرروا أن اللغة العربية هي (أوسع اللغات وأشرفها وأفضلها).

تعقيباً على ما تقدم، لا يمكننا أن نطلق الحكم بسهولة ونقول، إن كلمة (قرأ) ليس معناها فعل القراءة، لأنها مشتقة من الكلدانية بمعنى بلّغ، في حين أن كلمة قرأ التي تعني بالكلدانية التبليغ، لا يمنعها أبداً أن تكون بمعنى فعل القراءة في العربية ـ فمن الخطأ الذريع أن نحمل كلمة (ماء) كرمز في نص من نصوص (السياب) معنى جاهلياً. إن كلمة (قرأ) في لسان العرب تعني التتبع وفعل القراءة والإلقاء... حتى إن المدلول الكلداني لا يمنع من أن يكون المعنى هو فعل القراءة حيث إن المعنى منها في الكلدانية هو (أعلن ـ جاهر ـ نادى ـ بلّغ) فكيف يصح تأويلها (بالتبليغ) ولا يصح (بالمناداة) و(جهر القول) أي فعل القراءة؟!! لا أعلم تماماً كيف نستطيع أن نثبت معنى كلمة (أمي) بمعنى (الأممي) ولا نثبتها بمعنى (الذي لا يقرأ ولا يكتب) كما وردت في قاموس العرب؟! ولا

دون صيغة «الذي علّم بالقلم»، لنرى ما هي أبعاد العلاقة بين كلمة (قرأ) وكلمة (علّم) وكلمة (قلم).

ضمن هذه المعطيات، كيف يمكن أن نفسر القرآن كلدانياً، في حين أن هذا النسق لديه عموميات واسعة، كل واحدة منها تحاول أن تضفي الانسجام على الأخرى، وتحاول أن تفسر أختها، منها أنه لم تكن الإشارة إليه بأي حال يوماً (إنّا أنزلناه قرآنا كلدانياً)!!... لعلكم تعقلون!

تعقيب المؤلف
على الفصل الأول

التعقيب الأول

سلف غير صالح[*]

السيد عبد الرحمن علي فلاح

الأصل في القول بأن الرسول محمداً عليه السلام، لم يكن يحسن القراءة والكتابة، هو اعتقاد المفسرين المسلمين بأن التوراة والإنجيل يبشران بظهور نبي صفته أنه لا يقرأ ولا يكتب، طبقاً لقول القرآن: ﴿الذين يتبعون الرسول الأمّي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل﴾[1].

والمشكلة ـ كما ترى ـ ناجمة كلها عن تفسير كلمة [أمّي] التي

الإلتزام بأداء الأمانة لغير اليهود بقوله: ﴿ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل﴾[٣]. أي لا نلتزم تجاه غير اليهود، وليس لا نلتزم تجاه من لا يعرف القراءة والكتابة.

أما في اللغة، فإن كلمة [أمّي] وردت في جميع اللهجات السامية مشتقة من [أمّ] بتشديد الميم، ومعناها الأصل والمنبع. فإذا نسبت الصفة إلى المفرد، تصبح [أميّ] من [أمّة]. وإذا نسبتها إلى الجمع، تصبح [أممي] من [أمم]. وهي الصيغة التي وردت في التوراة بمعنى [من غير اليهود]. والثابت أن الكلمة لا علاقة لها بالعجز عن القراءة والكتابة، ولا يستقيم تطويعها لإيراد هذا المعنى إلاّ من باب التحريف المتعمد.

وبشأن قول القرآن في سورة العنكبوت: ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب، ولا تخطه بيمينك، إذاً لارتاب المبطلون﴾[٤]. فقد فسّره السيوطي بقوله، لو كان الرسول قارئاً كاتباً، لشك فيه اليهود الذين يعرفون من نص التوراة، أن النبي المبعوث «أميّ لا يقرأ ولا يكتب». وهو تفسير قائم على الاعتقاد الخاطىء بأن التوراة

الآية نفسها لا تحتمل شيئاً من هذا التفسير. فقوله تعالى: ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب، ولا تخطه بيمينك، إذاً لارتاب المبطلون﴾[٦]، نص يتوقف فهمه على تحديد معنى كلمة [كتاب] التي تعني هنا التوراة والإنجيل. فالنص لا ينكر أن الرسول محمداً كان يقرأ ويكتب، بل ينكر أنه كان يهودياً أو نصرانياً، لأنه لو كان كذلك، لأصبحت رسالته انقلاباً معادياً ضد هاتين الديانتين، مما يفجر دواعي الريبة والنزاع. ولهذا السبب، بدأت الآية بقوله: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلاّ بالتي هي أحسن، إلاّ الذين ظلموا منهم، وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم، وإلهنا وإلهكم واحد، ونحن له مسلمون﴾[٧]. فالآية ـ كما ترى ـ تتوجه لإقرار قاعدة إسلامية هامة، تقوم على احتواء الخلاف بين الديانات، وليست مجرد إعلان عن عجز الرسول عن القراءة.

بالنسبة إلى قولك إن كلمة [اكتتبها] تعني: «كلّف من يقوم بالكتابة له»، فإنه خطأ ظاهر. والصحيح [استكتب]. أما اكتتب فهي صيغة من افتعل، تعني أنه شخصياً قام بإجراء الفعل.

التعقيب الثاني

زنزانة القرن السابع(*)

- ١ -

السيد الصادق إبراهيم البصير

تقول:

«إن قوله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك﴾ يراد منه الأمر بالقِراءة، ولا يرادِ منه التبليغ، لأنه لو كان ذلك، لوجب أن يقول أَقرِىء من أقرأ فلان السلام أي بلّغه..».

فدعني أُحِلْك إلى القاموس المحيط الذي يقول: [قرأ عليه السلام] أي أبلغه. ولا يقال أقرأه السلام إلاّ إذا كان السلام مكتوباً.

- ٢ -

فالمصطلح ـ كما ترى ـ يتعدى معنى التلاوة إلى معنى الإشهار والإعلان والبلاغ. وقد ورد بصيغة [قرأ] مرتين في القرآن: الأولى في سورة العلق. والثانية في سورة الإسراء التي تقول: ﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾. وفي هذا الموضع أيضاً، يبدو من الواضح أن الآية لا تطلب من الإنسان أن يقف حاملاً كتاباً للقراءة أمام الله، بل تدعوه إلى أن [يعلن ويبلغ ويشهر سجل أعماله]. والواقع أن كلمة [قرآن]، يفسرها القرآن نفسه بمعنى [بلاغ وبيان للناس وإشهار للدعوة].

ـ ٣ ـ

تقول:

> «إن القرآن قد نزل بلغة العرب وبأسلوبهم. وإذا كان هنالك اتفاق دلالي أو تركيبي ـ أو حتى صوتي ـ بين العربية وغيرها من أخواتها الساميات، فهذا لا يرجع إلى أن القرآن قد جاء بتلك اللغات...».

والواقع أن أحداً لا يخالفك هذا الرأي. فالقرآن كتاب عربي حقاً.
لكن لغته العربية نفسها هي التي لا يمكن فهمها أحياناً من دون

والانقياد. ومنه استخدام الكلمة استخداماً مجازياً للمملوك والخادم..».

الأصل في كلمة [ܥܒܕ] [ع ب د] الآرامية، ليس هو المملوك أو الخادم بل هو [العامل والخالق والصانع]. فالجذر يعني: عمل وصنع وخلق وبرأ. ومنه قولهم: [عبدا دبيشا] أي عمل شراً. وقولهم: [عبدا بيتا لفلان] أي عمّر بيتاً لفلان. وإذا كان هذا المفهوم، قد انسحب على المملوك، فذلك أمر مرده إلى أنه مكلف أساساً بأداء العمل. والواقع أن [عبد] تعني أيضاً الجندي العامل في الجيش بالأجرة.

وموجز ما جاء في حديثي، أن كلمة [عبادة] لا تعني أداء الشعائر الدينية، بل تعني العمل، وأن مصطلح [عبيد الله] يشير إلى [مخلوقات الله] وليس مماليكه، وأن [الدين] هو [العمل لله]، الذي لا بد أن يتمثل في إقامة العدل أولاً وقبل كل شيء.

لم يكن الحديث دعوة إلى إلغاء الشعائر ـ كما اعتقدت أنت ـ وليس من مهمتي، أو من حقي، أن أذهب في هذا الاتجاه خطوة واحدة. فكل مخلوق حرّ في أن يفعل بنفسه ما يشاء. لكن علينا

التعقيب الثالث

مجرد خدعة سياسية(*)

- ١ -

السيد علي الخزاعي

تقول:

«وما تدل كلمة حنيف إلاّ على كون موصوفها مسلماً..».

فدعني أطلب إليك أولاً أن تعود إلى المواقع التي وردت فيها هذه الكلمة، لكي ترى بنفسك أن القرآن لا يوردها إلاّ مقرونة بقوله: ﴿وما كان من المشركين﴾، في محاولة واضحة لدفع تهمة [الشرك] المرتبطة بهذا المصطلح لغوياً:

وفي سورة النحل: ﴿إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً، ولم يك من المشركين﴾[٤].

وفي سورة النحل أيضاً: ﴿أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً، وما كان من المشركين﴾[٥].

فلو كانت كلمة [حنيف، لا تدل إلاّ على كون موصوفها مسلماً] ـ كما تقول ـ لما تعمد القرآن أن يدفع عنها مفهوم [الشرك]، بمثل هذا التكرار المطرد.

والواقع أن جميع كتب التراث، تحدد معنى [الحنيف]، بأنه الذي لا ينتمي إلى مذهب ديني معين ـ أي الخارج على المؤسسة الدينية ـ وتعدد من الحنفاء زيد بن عامر بن نفيل، وورقة بن نوفل، وعبيد الله بن جحش، وعثمان بن الحويرث وأمية بن أبي الصلت، وقس بن ساعدة. وليس بين هؤلاء، من دخل في الإسلام، سوى عبيد الله بن جحش، وعثمان بن الحويرث، اللذين عادا فخرجا منه في وقت لاحق على أي حال. وفي الكامل للمبرد، قصة مؤداها أن بسطام بن قيس الشيباني ـ وهو عربي مسيحي من بكر ـ أصيب

وهو رأي قد يخالف نص القرآن الذي يعتبر الدين [فطرة]، ويعلن صراحة أن النبي إبراهيم الذي بدأ مسيرة الأديان من أساسها، اهتدى إلى الله من دون معونة الفقهاء بالذات. يقول النص:

﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة، إني أراك وقومك في ضلال مبين﴾[٦]. وهي افتتاحية تعلن أن الطريق إلى الله بدأ برفض ما يقوله «الفقهاء». وبعد ذلك انطلق النبي وحده في رحلة البحث المشوقة:

﴿فلما جن عليه الليل رأى كوكباً، قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين. فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين. فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون. إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً، وما أنا من المشركين﴾[٧].

وأرجو أن تلاحظ أن قوله (وما أنا من المشركين)، يعني بالتالي، أن المشرك حقاً هو غير الحنيف الذي ربط نفسه بمؤسسة عقائدية.

يعتبر الناس مسؤولين عن مصيرهم شرعاً وعملياً. ويقول لهم صراحة:

﴿وما أصابكم من مصيبة، فبما كسبت أيديكم﴾[٨].

إن (الحكم بما أنزل الله)، ليس هو تطبيق الحدود، تحت إشراف حفنة من الفقهاء، بل هو إقامة العدل تحت إشراف جميع الناس. ومن دون هذا الشرط، يصبح تطبيق الحدود (تحت شعار الحكم بما أنزل الله) مجرد خدعة سياسية في مجتمع مقهور، يقطع يد سارق، ويقبّل يد سارق آخر، على غرار ما يحدث حولك كل يوم.

التعقيب الرابع

جرائم الفقهاء(*)

السيد محمد علي كيوه

١ ـ تقول: [أما لفظ «تلا» فهو بمعنى اتبع. وتلا الكتاب أي اتبع ما فيه من معلومات..]. فهل تفسر قول القرآن في سورة الأنعام: ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم﴾[1] بأنه يعني: (تعالوا أتبع ما حرم ربكم عليكم؟؟). وهل هذا هو الفقه الذي تلعنني باسمه؟

إن الأصل في كلمة تلا، هو القراءة بصوت مسموع، كما في قوله

النصوص التي فيهما. ثم انظر كيف يكون التخبط والجهل والعبث بالدين والخصام فيه..].

والصحيح أن العبث بالدين والخصام فيه، قد وقعا بين الفقهاء، الذين دخلوا في أحلاف سياسية مع الأسر المتصارعة على السلطة منذ عصر الأمويين، مما أدى إلى تشتيت المسلمين بين عشرات المذاهب والفرق، وعمل على تطويع الإسلام لخدمة أهواء الطغاة ببدع مميتة منها: الفتوى بشرعية الحكم الوراثي. واعتماد نظرية الخلافة في قريش، وإهدار دم المعارضين السياسيين. وإطلاق حرية التسري بالجواري. وفرض الحجاب على المرأة. وإباحة قتل المسلم لأسباب عقائدية على غرار ما حدث لأبي منصور الحلاج. وهي جرائم في حق التشريع الإسلامي، ما كان لها أن تقع، لو كان الناس ـ وليس الفقهاء ـ هم المسؤولون عن صياغة القوانين.

إن القول بوصاية رجال الدين على التشريع، مبدأ اختلقه أحبار اليهود، ونقله عنهم رجال الكنيسة الكاثوليكية. أما الإسلام فإنه لا يعترف برجال الدين أصلاً، ولا يعفي الناس من مسؤوليتهم الشخصية عما يحدث لهم، وعما يحدث من حولهم، في آيات

التعقيب الخامس

تشويه سهل(*)

السيد يوسف محمد عوض

إذا كنت تملك الدليل على ما تزعمه، فأرجو أن تنشره على الملإ، بأي طريقة تختارها. ودعنا نعرف متى وظفت قلمي، وأين هو ثرائي المزعوم. أما إذا كنت تقول ما لا تعلم، فدعني أذكرك بأن اختلاق الأكاذيب لتشويه سمعة الرجال الشرفاء، فكرة سهلة جداً، لكنها لا تكفي لإدانتهم حتى في محكمة يرأسها قاض غير عادل مثلك.

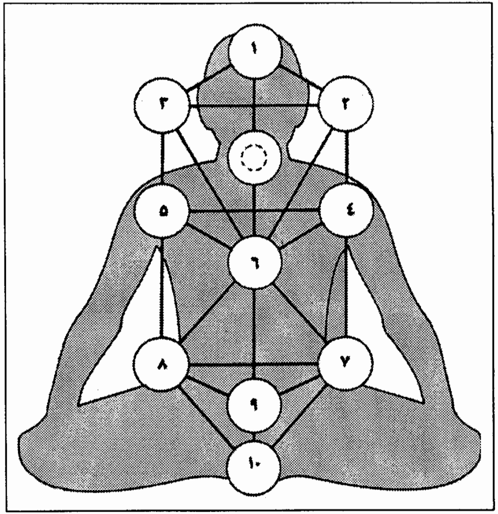
الفصل الثاني

الفصل الثاني

الحكمة الخفية(*)

■ الدين قبل أن يخضعه السحرة لأهواء السياسة

ربع سور القرآن تقريباً، تبدأ بحروف هجائية منفصلة تسمى [المقطعات] مثل: عين سين قاف، حاء ميم، ألف لام راء. وهي حروف لا تعني شيئاً في ظاهر اللغة، مما أطلق خيال المفسرين للبحث عن معانيها السرية، في محاولات تراوحت بين إعادة توزيعها في تنبؤات ملفقة مثل [نصر حكيم قاطع له سر]، وبين إخضاعها لحساب الجمل، سعياً وراء تفسيرها بطريقة سحرية بحتة. وآخر ما جرى في هذا الشأن، تمثل في قيام أحد «الباحثين»


١
٢
٣
٤
٥
٦
٧
٨
٩
١٠

[شجرة الحياة[1]]، أو أعمدة الحكمة السبعة. وهي خطوط معدة لكي تطابق جسم المريد في وضع التأمل، وتتكون من ثلاثة مثلثات رئيسية، بالإضافة إلى إحدى عشرة دائرة مرقمة، تمثل المقامات الروحية التي يسعى المريد لبلوغها عبر مسالك محددة:

المثلث الأعلى، يشير بقمته إلى السماء، ويضم ثلاثة دوائر، هي مقامات التاج والحكمة والإشراق. ويمثل الذات العليا التي تتجلى في وحدة الوجود.

المثلث الأوسط، يشير بقمته إلى موقع القلب، ويضم ثلاث دوائر، هي مقامات الرحمة والعزم والتجلي. ويمثل النفس الذاتية التي انفصلت عن الكل، لكي تتجسد في الفرد.

المثلث السفلي، يشير بقمته إلى الأرض، ويضم ثلاث دوائر، هي مقامات العقل والشعور والضمير. ويمثل [الشخصية] التي تتقمصها الروح لكي تتجلى فيها.

وعشرون مسلكاً، أي بعدد حروف الأبجدية الكنعانية التي تم تحديدها في تشكيل ثابت، لإرشاد المريد إلى المسار المطلوب:

فحرف الألف مثلاً، يربط الدائرة الأولى بالثانية. وحرف اللام يربط الدائرة الخامسة بالسادسة. وحرف الميم يربط الدائرة الخامسة بالثامنة. وجمع هذه الحروف في تشكيل واحد مثل [ألف، لام، ميم]، يعني أن يبدأ المريد رحلة التأمل من مقام التاج إلى مقام الحكمة، ثم من مقام العزم إلى التجلي، ومنها إلى مقام العقل، حيث يتوقف لكي يحلل نتائج رحلته، التي تتم عادة طبقاً لخطة معدة سلفاً، تحت إشراف معلم مؤهل.

والظاهر هنا، أن المقطعات القرآنية، موجهة لكي تطابق هذا التشكيل الكنعاني بالذات. فالأبجدية الكنعانية تفتقر إلى حروف الغين والخاء والضاد والظاء والثاء والذال، مما يفسر غياب هذه الحروف عن المقطعات القرآنية أيضاً. أما بقية التشكيل، فإنه يطابق مسالك القبّالة على المقاس:

فمثلاً: ألف، لام، راء، تشكيل يرشد المريد إلى العزم، من مقام التاج

ومثلاً: طه [طاء هاء]، التي يزعم المفسرون أنها أحد أسماء النبي عليه السلام، تشكيل يربط مقام الرحمة بمقام العزم في مسلك معترض، ويربط مقام الحكمة بالقلب في مسلك رأسي.

وبالطبع فإن المريد لا يعبر هذه المسالك على هواه، بل يتقيد بنظام تدريبي خاص، يرشده إلى المسار الصحيح خلال التجربة، بتمارين معدة سلفاً، تحت إشراف معلم مؤهل. ويلفت النظر في هذه التمارين أنها بدنية بحتة، وليست صلوات، أو تلاوة لنصوص مقدسة، مما يشير إلى أنها ظهرت قبل ظهور المؤسسات الفقهية في حضارات الشرق القديم.

فالتمرين الخاص بإدراك العالم الحسي، أو [عبور البوابة]، كما تسميه القبّالة، يهدف إلى تطوير قدرة المريد على التمييز بين «الإحساس بالواقع» وبين «إدراك الحقيقة». وهي مسألة عقلية معقدة، تعالجها مناهج التصوف بالصيام وقراءة الأوراد والنوم على المسامير وتعذيب الجسد لفترات طويلة جداً. أما القبالة، فإنها تختار الخطاب البسيط التالي:

تهتم بما تراه عيناك، بل بقدرتهما على الرؤية. تأمل هاتين النافذتين اللتين تعكسان عالماً بأكمله. انظر كيف تنظر.

٣ ـ معاناة السمع: تكلم بصوت مسموع، من دون أن تهتم بمعنى الكلمات نفسها. قل ما تشاء. اقرأ ما تشاء، من دون أن تشغل بالك بما تعنيه اللغة. انصت لصوتك فقط. اسمع نطق الكلمات مفرغة من كل معنى، كما تسمع لغة لا تفهمها. فهذه هي تجربة الدخول عبر البوابة. وكل شيء عدا صوت الكلمات وحدها سوف يقذف بك خارج [المملكة]، ويحيلك إلى مجرد «مستمع» وحيد.

٤ ـ تذكر: أنت لست موضع تجربة، ولست مجرد متفرج أو مستمع. تذكر أنك [هو] ذلك الذي يحس وينظر ويسمع. تذكر أنك أنت [المصدر].

والواضح من لغة هذا التمرين، أنه ليس صلاة أو ابتهالاً. ولا يضم تسابيح أو تلاوة لنصوص مقدسة. ولا يدعو إلى أداء أية مناسك. ولا يتبنى مصطلحات الفقه، ولا يبشر أحداً بالجنة أو يهدده بالنار. ورغم أنه نص روحي له غاية تربوية محددة، فإنه ليس نصاً فقهياً، يستند إلى سلطة فوقية. ولا يخاطب الإنسان لكي يقنعه بعظمة

الألف الأول قبل الميلاد، بمثابة الوريث غير الشرعي لحضارة الكنعانيين وأراضيهم معاً[٢].

إننا نعرف أحداث الغارة بالتفصيل، ونعرف أن اليهود تبنوا حروف الأبجدية الكنعانية بعددها ورسمها ونطقها، فيما ظهرت [القبّالة] مرتبطة بالتوراة تحت اسم [الحكمة الخفية] في قصة ملفقة مؤداها، أن الملائكة تلقوا أسرار هذه الحكمة من الرب شخصياً، ونقلوها إلى آدم بعد طرده من الجنة، حيث عاش الناس في ظلها ينعمون بالسلام والعدل جيلاً بعد جيل.

بمرور الزمن، نسي الناس أسرار القبّالة، وشاعت بينهم الحروب والمجاعات، مما دعا الرب إلى إعادة نشرها ضمن العهد الذي عقده مع النبي إبراهيم، وعلّمه بموجبه سر [الحكمة الخفية] ملخصاً في اسم [يهوه][٣]. وهو اسم ظهر فجأة في تاريخ اليهود، ويقال إنه يحوي جميع أسرار القبالة، لأنه يتكون في صيغته العبرية من أربعة حروف، تربط مقام الرحمة بالقلب، ومقام الحكمة بالقلب، ثم مقام الحكمة بالرحمة، لكي تعود فتربط مقام الحكمة بالقلب في

دون حكمة، على أن يفشي سرها للمصريين. وبذلك كادت القبّالة أن تندثر، لولا أن إبراهيم كان قد سجلها في كتاب دعاه [سفر التكوين] وأخفاه في كهف.

هذه النسخة الأخيرة، احتفظ بها الرب في الخفاء، متعمداً أن لا يبديها، حتى يظهر الحكيم الأكبر ـ أو الإمام الغائب ـ الذي يطلع على نبع المعرفة، ويدرك معنى الأسماء، وينكشف له كنز [الحكمة الخفية]. وقد طال الانتظار بضعة قرون، قبل أن يظهر الإمام المطلوب. وهو النبي موسى الذي تعلم من أسرار السحر ما أتاح له أن يحيل النيل إلى دم، ويغرق مصر في القمل والضفادع، ويفلق مياه البحر الأحمر بضربة من عكازه.

على يد موسى الذي يتكون اسمه من ثلاثة أحرف، تمثل الماء والنار والريح، أعيد عصر الوحي المباشر، وجاء الرب شخصياً لمقابلة هذا المعلم الذائع الصيت، في جلسة انتهت بمنحه كتابين مقدسين، أحدهما [علم الظاهر] ملخصاً في الوصايا العشر والثاني [علم الباطن] ملخصاً في القبّالة. وقد بادر موسى إلى تسجيل هذين الكتابين، في صيغة واحدة خاصة، تصف التعاليم الظاهرة من

الشين = الروح.

الياء = آدم.

التاء = حواء.

ومن مجموع هذه الرموز، تتحلل كلمة [في البدء]إلى الجملة السرية التالية: [من الكون انبثق ضوء الشمس الذي تجلّت فيه الثنائية لكي تعبر عن الروح بخلق الذكر والأنثى]. وهي قراءة واحدة من بين عدة قراءات محتملة.

من هذه الصيغة اليهودية القائمة على الإيمان بالسحر و«العلم السري»، نشأت جميع المذاهب الباطنية في المسيحية والإسلام على حد سواء. وظهر منهج التفسير الباطني، لكشف الحجاب عن [الحكمة الخفية] في الكتب المقدسة، مفترضاً أن الإنجيل والقرآن ـ مثل التوراة ـ لهما صيغة سرية خاصة، يمكن الكشف عنها بأعمال الشعوذة والسحر.

ورغم أن أهل السنّة، هم الذين افتتحوا مسيرة هذه [القبّالة] الإسلامية، منذ عصر الشيخ ابن عربي على الأقل، فإن الشيعة ما

الصوفي الدرويش ـ يزعم الرواة أن الرسول أحضرها من السماء في ليلة المعراج، وأعطاها لعلي بن أبي طالب، بمثابة رمز [للولاية]، ثم [أن علياً ألبسها ابنه الحسن من بعده، ولبسها بعده الحسين، ثم ذرية الحسين الواحد بعد الآخر، حتى انتهت إلى المهدي المنتظر، وما تزال عنده حتى الآن..].

وكلمة [الولاية] هي الترجمة الإسلامية لمصطلح [القديس] عند النصارى، ومصطلح [المسيح الغائب] عند اليهود، وتعني [صاحب السر الإلهي القادر على تغيير سنن الطبيعة]، أي صاحب الحكمة الخفية التي دعاها التصوف الإسلامي باسم [مبدأ العرفان].

إن الإسلام الذي بدأ بمثابة رسالة لتحرير الدين من هيمنة السحر والكهنوت، يتحول على يد الصوفيين إلى رسالة مسخّرة لخدمة مذهب يهودي متطرف، قائم على الإيمان بالعلم السري، وتعدد مراتب المعاني في الكتب المقدسة. وهي كارثة، اضطر الصوفيون إلى تنفيذها متنكرين في جلابيب الدراويش، بسبب المعارضة الصريحة والعلنية التي يبديها القرآن لنظرية القبّالة اليهودية بالذات.

وفصل الخطاب﴾[٨]. وفي سورة المائدة، بشأن المسيح: ﴿..وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل..﴾[٩].

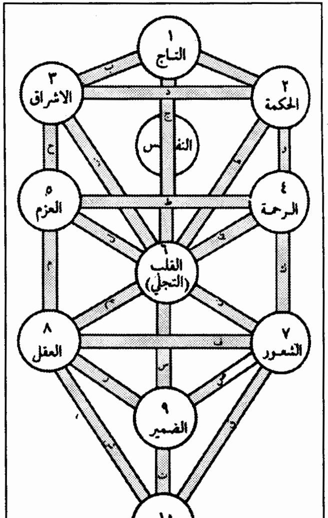
والملاحظ أيضاً، أن [الحكمة] التي يعنيها القرآن تشبه [الحكمة الخفية] التي ترتبط في القبالة بالقدرة على تغيير سنن الطبيعة، فالنبي إبراهيم ألقي في النار من دون أن يحترق. وموسى أحال عصاه إلى ثعبان. وداود تطيعه الطيور. وسليمان يتحكم في الريح ويسخر ملوك الجن في خدمته. والسيد المسيح يحيي الموتى ويبرىء الأعمى والكسيح والأصم.

لكن الفرق الحاسم بين مفهوم [الحكمة] في القرآن، وبين نظرية الحكمة الخفية عند اليهود، أن القرآن لا يعتبرها علماً سرياً، ولا يستعمل كلمة [خفية]، ولا يقرن الحكمة بالسحر، ولا يدخر وسعاً في تقريع اليهود على هذه المزاعم بالذات، مشيراً إلى أن القبالة اليهودية نسخة منقولة عن الكهنة البابليين، في قوله: ﴿ ..يعلمون الناس السحر، وما أنزل على الملكين ببابل، هاروت وماروت..﴾[١٠]. وكلمة [ماروت] مصطلح كلداني مشتق من

أنها تسعى﴾[١٢]. وبعض ذلك في سورة طه أيضاً: ﴿..إنما صنعوا كيد ساحر، ولا يفلح الساحر حيث أتى..﴾[١٣]. والكيد في اللغة هو الحيلة القائمة على الشطارة وخفة اليد وخداع البصر.

إن [الحكمة] التي يعنيها القرآن، ليست علماً سرياً، كما يزعم اليهود والصوفيون، بل منهج تربوي قائم على [إدراك الأحكام]، أي معرفة الشرع بما يضمن إقرار الحق. وهو منهج للتوعية الجماعية، يتلقاه الناس علناً، على يد معلمين ووعاظ ومصلحين وأنبياء، صفتهم الأولى ـ والأساسية ـ أنهم ضد الشقاء الإنساني في جميع صوره، وضد الخرافة والجهل والسحر وتغييب وعي المواطن، بما يشغله عن حقه في السلام والعدل. ومن دون الإقرار بهذا المفهوم السياسي المحدد لكلمة (حكمة)، يصبح الدين نفسه مجرد نوع من السحر.

إننا لا نملك كل التفاصيل، لكن الظاهر أن المقطعات القرآنية، تشير إلى نسخة خاصة من القبالة، تختلف عن القبالة اليهودية في مضمونها السحري. وقد تختلف عنها في عدد مقاماتها وشكلها أيضاً. ولعلها


١
التاج
٢
الحكمة
٣
الاشراق
النفس
٤
الرحمة
٥
العزم
٦
القلب
(التجلي)
٧
الشعور
٨
العقل
٩
الضمير

أما من حيث الشكل، فالملاحظ أن المقطعات القرآنية، ناقصة بمقدار ثمانية حروف، لكي تستكمل الربط بين جميع مسالك القبّالة، كما نعرفها في النسخة اليهودية. والحروف الناقصة هي:

١ ـ حرف الباء بين التاج والإشراق (١ ـ ٣).

٢ ـ حرف الجيم بين التاج والقلب (١ ـ ٦).

٣ ـ حرف الدال بين الحكمة والإشراق (٢ ـ ٣).

٤ ـ حرف الواو بين الحكمة والرحمة (٢ ـ ٤).

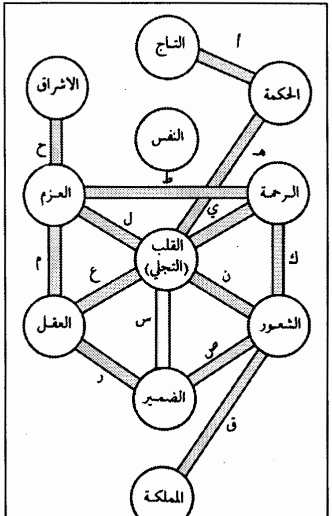
٥ ـ حرف الزين بين الإشراق والقلب (٣ ـ ٦).

٦ ـ حرف الشين بين العقل والبوابة (٨ ـ ١٠).

٧ ـ حرف التاء بين الضمير والبوابة (٩ ـ ١٠).

٨ ـ حرف الفاء بين المشاعر والعقل (٧ ـ ٨).

والتفسير البديهي لهذا النقص أن الحروف اختلطت على كتبة القرآن بسبب غياب النقاط التي تميز بين الياء مثلاً وبين الباء والتاء والنون، أو بين الحاء والجيم، والراء والزين، والفاء والقاف، والسين والشين. لكن ذلك لا يعني استبعاد بقية التفسيرات المحتملة، ومنها



التاج
أ
الحكمة
الاشراق
النفس
ح
هـ
ط
العزم
الرحمة
ي
ل
القلب
(التجلي)
ك
م
ع
ن
العقل
الشعور
س
ص
ر
الضمير
ق
المملكة

الردود
على الفصل الثاني

الرد الأول

عجائز اليهود[*]

أحمد محمد السنوسي
ليبيا

مقالة الحكمة الخفية[1] تتطرق إلى تفسير الحروف الواقعة في أول تسع وعشرين سورة من سور القرآن الكريم. ولقد قال عنها المفسّرون كثيراً، ولو أنك يا حضرة المفكر الكبير كنتَ أحدهم لكان قولك العجيب هو القول الثاني والعشرون من بعدهم ولكن على أية حال أودُّ أن أضع أمامكم بعض المعطيات قبل التعليق على مقالتكم هذه.

١ ـ معرفتي القليلة باللغة العربية لا تمكنني من تشكيلها في بناء رائع يشكل اقناعاً مزيفاً كما يقنعك عامل البناء بالطوب

التي استطعت الحصول عليها من نتاج فكركم وفلسفتكم النادرة وأعرف أن هناك الكثير الذي لم أستطع الحصول عليه من كتاباتكم، ولكنني لا أحبذ أن تتبنوا فكرة الحل النهائي والوحيد والصحيح التي اكتوينا بنارها نحن العرب بالذات في تاريخ مرهق منذ عصور الجاهلية الأولى إلى اليوم، والتي لم تتوقف أبداً إلاّ في بداية عصر الإسلام ولمدة ما يقارب من قرن واحد فقط.

أما قبلُ..

فمقالة الحكمة الخفية أثارت في نفسي أحزاناً لم أكن أتوقع ولا أرغب في أن تطفو على السطح.. وهي:

١ ـ لم أتوقع أن يقول الصادق النيهوم آخر تفسير للحروف القرآنية ويسدل الستار على آيات القرآن ويتفرغ لأشياء أخرى، فالبحث مطلوب وخاصة من مفكر كبير مثلك.

٢ ـ القرآن كتاب الله عزّ وجل يقف الناس تجاهه صفين إما مؤمنون به أو كافرون.

الأسفل من النار. ويقول فيهم تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿ولا تصلِّ على أحدٍ منهم مات أبدا﴾[٥]. ويقول: ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾[٦]، انظر كيف يسخط الله على هؤلاء والعياذ بالله.

فمسألة «الحكمة الخفية» تصبح يسيرة جداً إن كنت من الذين آمنوا بالله وبأن القرآن من عند الله. وإني لأرجو أن تكون كذلك والمشكلة من أساسها لن تعود قائمة فالله تعالى يقول في القرآن الكريم: ﴿بل هو قرآن مجيد. في لوح محفوظ﴾[٧]. فالقرآن محفوظ في لوح عند القدير المبدي والمعيد قبل تاريخ بني إسرائيل واليهود المحرف من أوله إلى آخره وقبل هذه «القبالة» التي بنيت عليها كل أساسك في تفسير تلك الحروف.

أرجوك لا تتسرع في الحكم مرتين فإن كنت قد كتبت مقالتك هذه في عجلة فأرجو أن تراجعها مع هذا الرد على مهل! واضعاً نصب عينيك أنه لا نقص ولا تحريف في كتاب الله الكريم كما تبادر إلى ذهنك وأن حروفه كاملة. فكيف نقصت حروف القرآن

لعلك بإدراكك الواسع وذهنك المتقد تصل إلى أبعد مما قد توصلت إليه بكثير..

أولاً: عدد سور القرآن

السور التي بدأت بالحروف

أ (١١٤) - (٢٩) = (٨٥)

حروف الأبجدية

الحروف المذكورة

ب (٢٨) - (١٤) = (١٤)

أ + ب = ٨٥ + ١٤= ٩٩

«هذه هي أسماء الله الحسنى».

ثانياً: أنت تقول إن الحروف التي جاءت في أول السور ناقصة وبذلك لا توافق حروف القبالة اليهودية! وأنا أضع بين يديك هذه المعلومة التي لا يمكن أن يتجاهلها أحد وهي ليست بالصدفة بعد أن قلّت حروف هذه السور عن

٩ ـ ونصف الحروف المستفِلَة.

١٠ ـ ونصف حروف القلقلة.

ولقد ذكر بالحروف التي أنزلت في ٢٩ سورة على عدد حروف المعجم تصف أي صفة لحروف مهما ذكرت من صفات! فهذا ليس نقصاً الذي يوافق كل هذا ودعك من «القبالة» يا رجل وتفكر في القرآن المبين واترك قول المغضوب عليهم والضالين؟

وبما أنك جدير بلقب المفكر والفيلسوف بلا منازع في هذا القرن أحب أن أذكرك بقول أحد الفلاسفة اليونانيين القدماء لعله «أفلاطون»، ولا يهم من هو، والذي يقول بأن العاقل هو الذي يتريث والعالم هو الذي يشك بينما الجاهل دائماً هو الذي يؤكد.

ونحن أبداً لا نريد أن نؤكد شيئاً قابلاً للتفسير والبحث المستمر، خصوصاً إذا كان الأمر يتعلق بكتاب الله الصالح لكل مكان وزمان، اللهم إلاّ غيض من فيض وقطرة من محيط.

وأما القول بأن الله سبحانه وتعالى يخاطب مخلوقاته بالألغاز وأن المقطعات القرآنية شيفرة تحتاج إلى مفتاح فهذا لا يجوز ومردود

كسر جدار التسليم(*)

محمد غيث الحاج حسين
سورية

باقتدار ودقة يعمل الصادق النيهوم على ملامسة مفاصل مسلمات مكرسة منذ مئات السنين وتفكيكها وإعادتها إلى مرجعيتها الحقيقة دون مجاملة أو محاباة، يُعمل مبضعه الحاد في نسيج الموروث يطأ أرضاً محرمة يطال برجاً عالياً مدججاً بالقتل والقتلة.

بعيداً عن التنظيرات المفارقة في إنشائيتها والتأويلات المفارقة لموضوعها يبدأ النيهوم مشروعه، فالحروف التي تصدرت بعض السور القرآنية ليست أحاجي وألغازاً وليس علمها عند الله ولا مادة

مفاهيم وتصورات عند العامة والخاصة تتعلق بالفرادة والمغايرة عن باقي الأديان والشعوب. وخلال السنوات التالية ولظروف موضوعية متعددة أصبح لهذه الآلة شبكة من الاستطالات أحاطت بالعقل العربي وأبقته حبيس مادتها الأيديولوجية، حتى انفصلت عن جسد الإسلام نفسه وخلقت لنفسها واجهة طغت على الجسد الأصلي، وغيبته وأصبحت عملية إعادة الاعتبار وإعادة ترتيب مكونات اللوحة أمراً يتطلب الكثير من الجرأة والمجازفة، لأنه تكفير للبوق الأيديولوجي وتعرية لكل المسلمات التي فرضت قسراً على العقل العربي.

هذه الزحزحة للجبل المتراكم منذ مئات السنين بخليط من الفتاوى والتكفيرات والرؤوس المقطوعة، والجاثم على الصدور والمخيلات، تنبني على حقيقة بسيطة ومريرة في الوقت نفسه وهي جهل المسلم المعاصر بالإسلام كدين واستسلامه لأيديولوجية تجهيلية تتخذ من الإسلام واجهة لها بهدف تدمير المخيلة الشعبية وتشويهها وملئها بقصص مريضة عن الجن والعفاريت والإعجازات الخارقة للطبيعة، وتكريس النزعة التسليمية تجاه خلفاء الله على الأرض في واحدة

واستشرت فيه عقلية ظلامية إرهابية تكفيرية ترى في الرصاص الوسيلة المثلى لحل أي نقاش فكري، وتقوم على إلغاء الآخر وإفنائه. هذه العقلية يتألق فيها الجانب المرضي، ويسيطر على نظرتها إلى الواقع وموقفها منه، فيكون لتعزيز المكبوتات وتصعيدها إلى أشكال دموية في التعامل مع أي طرف خارج عن إطار منظومتها، معيدة إلى الأذهان صورة الجانب الدموي من حياة القبيلة العربية.

الفصل الثالث

الفقه

الفصل الثالث

الفقه في خدمة التوراة(*)

■ عن قطع الرقاب والختان وتحريم الرسم والنحت

خلال العام الماضي ـ ولأول مرة منذ مقتل الحلاج ـ عمدت الحكومة السعودية إلى إعدام أحد مواطنيها بتهمة الارتداد عن الإسلام. وقد صدر الحكم «بموجب فتوى شرعية من علماء المسلمين»، ونفذه السيّاف بقطع عنق المتهم «طبقاً لأحكام السنّة النبوية»، في جو إسلامي لا تشوبه سوى أن الفتوى نفسها، لا علاقة لها بالإسلام، بل هي يهودية. فالحكم بقتل المرتد، فكرة مشوهة لا تستند إلى نص القرآن الذي يقول صراحة: ﴿لا إكراه

[إذا عسر عليك أمر في القضاء، فقم واذهب إلى الكهنة اللاويين، واسأل. فيخبروك بأمر القضاء. فتعمل حسب الأمر الذي يخبرونك[٣]. حسب الشريعة التي يخبرونك تعمل. لا تحد عن الأمر الذي يخبرونك يميناً أو شمالاً][٤].

ولو قرر الحاكم السعودي أن يحيد عن الأمر يميناً أو شمالاً، ويرفض فتوى الفقهاء، لكان عرضة للقتل شرعاً، بموجب بقية الإصحاح الذي يقول:

> [والرجل الذي يعمل بطغيان، فلا يسمع للكاهن الواقف ليخدم الرب، يقتل ذلك الرجل][٥].

والقتل يتم عادة رجماً بالحجارة، أو بسمل العينين والطرد إلى الصحراء، أو بالصلب على جذوع النخل، أو بالنصب على الخازوق. وهو موت بطيء موجع، يليق بأي حاكم مسلم، تسول له نفسه، أن يحيد عن شرع التوراة.

فالواقع أن ما يدعوه فقهاء المسلمين، باسم [أحكام السنّة النبوية]،

السنّة[٦]. ولو شاء الباحث أن يذهب وراء التفاصيل، وينقب عن التأثيرات العميقة لكتاب التوراة في ما يسمى حالياً بعلم الحديث والسنّة، لأدهشه مدى ضآلة التغيير الذي أحدثه الإسلام في حياة المسلمين وموتهم معاً. إننا محاطون باليهود من كل جانب.

فمثلاً:

كل طفل مسلم يتعرض لقطع غرلته، قبل أن يصبح مسلماً حقاً. فالختان ـ في رأي علماء المسلمين ـ سنّة نبوية لا يستقيم إسلام المرء من دونها. لكن مشكلة هذه السنّة، أنها ليست ذات علاقة بالإسلام، ولم يوص بها القرآن، ولا تخص الدين أصلاً، لأنها مجرد وصفة بدائية للوقاية من الأمراض التناسلية، أخذها اليهود عن المصريين القدماء، من دون أن يكتشفوا هدفها الأصلي، وحشرها الكهنة في كتاب التوراة، متعمدين تمريرها باعتبارها، علامة إلهية على العهد القائم بين الرب وشعبه المختار. ولو سئل الفقيه المسلم عن المصدر الشرعي للختان، لما وجد أمامه نصاً دينياً واحداً يبيح مثل هذه الفعلة، سوى الإصحاح السابع عشر من سفر التكوين

يختتن. وليد البيت والمبتاع بفضة. فيكون عهدي في لحمكم عهداً أبدياً][7].

وإذا شاء المرء أن يعرف، لماذا أصبح الختان، سنة نبوية في مستوى الفريضة، فإن عليه أن يقرأ بقية الإصحاح الذي يقول:

[وأما الذكر الأغلف الذي لا يختتن في لحم غرلته، فتقطع تلك النفس من شعبها. إنه قد نكث عهدي][8].

فالنظرية اليهودية تقوم على الاعتقاد بأن الختان هو القربان الذي يقدمه اليهود للدخول في عهد الرب. وكل إنسان غير مختتن، يصبح بالضرورة خارج العهد، بحيث لا يحق له أن يسمع كلمة الرب، أو يقرأ كتابه المقدس[9]. ولهذا السبب، نشب الخلاف في وقت لاحق، بشأن التبشير بالمسيحية بين الأمم. فقد أصر بعض الرسل من ذوي الأصل اليهودي، على ربط الدعوة بالختان، قائلين لأهل أنطاكية:

[إن لم تختتنوا حسب عادة موسى، لا يمكنكم أن تخلصوا][10].

وردت الكنيسة على هذا الزعم برسالة إلى أهل أنطاكية وسورية وقليقلة جاء فيها:

أنفسكم وقائلين: إن تختتنوا وتحفظوا الناموس.. ونحن لا نضع عليكم ثقلاً غير أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام وعن الدم والمخنوق والزنا][11].

وبفضل هذه المبادرة السريعة، نجحت الكنيسة في وضع حد للنزاع مبكراً، وتمّ تحرير العقيدة من وصاية اليهود، وأنقذ بلايين الأطفال المسيحيين من عادة دموية مروعة لا طائل من ورائها سوى العذاب الجسدي والعقد النفسية.

أما في الإسلام، فقد عمد الفقهاء إلى اعتماد الختان تحت شعار الحفاظ على السنّة النبوية. وذهبوا إلى تبريره بحجة أنه (تواصل مع شريعة إبراهيم)، من دون أن يلاحظوا أن الشاهد الوحيد على أن إبراهيم كان مختتناً، هو نص الإصحاح السابع عشر من سفر التكوين الذي يعلن صراحة أن الختان علاقة خاصة بين الرب وشعبه المختار فقط. وأن العرب بالذات ـ ومنهم النبي محمد عليه السلام ـ لا يدخلون في عهد الرب، لأنهم ليسوا من نسل إسحاق العبراني، بل هم من نسل إسماعيل ابن الجارية المصرية، الذي لا يشمله العهد أصلاً

أوجب ما دعاه باسم [الذبح الشرعي] مشترطاً عدة طقوس خاصة، منها نحر الذبيح بقطع الحنجرة وشرايين العنق، مع توجيه رأسه نحو القبلة. وهي طقوس شكلية، لا يوردها القرآن، ولا تخفف شيئاً من آلام الذبائح، ولا يمكن تفسيرها دينياً إلاّ في إطار الإصحاح الثاني عشر من سفر التثنية:

فتوجيه رأس الذبيح نحو القبلة، أمر مرده إلى أن التوراة تشترط عدم تقديم الذبائح خارج الهيكل، إلاّ إذا كان صاحب الذبيحة في مكان بعيد جداً. إذ ذاك ـ فقط ـ يجوز له أن يذبح في مكانه، بشرط أن يوجه رأس قربانه نحو الهيكل، أو كما يقول الإصحاح الثاني عشر من سفر التثنية:

> [إذا كان المكان الذي يختاره الرب إلهك ليضع اسمه فيه (أي الهيكل) بعيداً عنك، فاذبح من بقرك وغنمك كما أوصيتك](١٢).

أما الإصرار على قطع شرايين العنق، فهو إجراء يهدف إلى تفريغ الجسم من الدم الذي تعتقد التوراة أنه هو الروح، وتحرم أكله في نصوص متكررة منها قول الإصحاح المذكور:

السبب يقتصر الذبح على الحيوانات التي تقدم في الهيكل كقرابين مثل الغنم والبقر والحمام. أما السمك وطرائد الصيد مثلاً، فإن أحداً لا يشترط ذبحها لأنها لا تقدم كقرابين أصلاً.

ولعل الدليل على أن «الذبح الشرعي» هو مجرد بدعة فقهية مستعارة من اليهود، يتمثل بوضوح في ذبح الجمل. فتحريم أكل الجمل في التوراة، ترك الباب مفتوحاً أمام المسلمين لاختيار أفضل طريقة لقتله. وقد اتفقوا على طعنه عند أسفل العنق من دون أية تفاصيل فقهية.

والواقع أن كثيراً من دول العالم، ترفض تصدير الماشية إلى بلداننا الإسلامية لأن قوانينها تحرم طريقتنا في الذبح، وتشترط تخدير الحيوان بالصدمة الكهربائية قبل قتله. وهي فكرة هدفها تخفيف أوجاع الذبيح، وتسهيل مروره عبر بوابة الموت المروعة. وإذا كان الفقه الإسلامي قد اختار أن يقف ضد منطق العصر، وينحاز إلى شريعة يهودية، لا يعترف بها اليهود أنفسهم، فذلك مجرد إنجاز جانبي من منجزات الفقه في خدمة التوراة.

ويغرمونه بمئة من فضة، ويعطونها لأبي الفتاة، لأنه أشاع اسماً ردياً عن عذراء من إسرائيل. فتكون له زوجة، لا يقدر أن يطلقها كل أيامه. ولكن إذا كان هذا الأمر صحيحاً، ولم توجد عذرة للفتاة، يخرجون الفتاة إلى بيت أبيها، ويرجمها رجال مدينتها بالحجارة حتى تموت][١٥].

في هذا الباب أيضاً، تدخل نظرية [المرأة النجسة] التي يعتمدها الفقه لإبطال صيام المرأة وصلاتها طوال أيام الطمث، باعتبارها مخلوقاً غير طاهر، لا يحل له أن يؤدي الفرائض أو يدخل بيت الله أو يقرأ كتابه المقدس. فالواقع أن هذه الفتوى مستمدة من خرافات التوراة وحدها، التي تعتبر المرأة مسؤولة عن خروج آدم من الجنة، وتعتبر الطمث لعنة ربانية حلّت على رأسها بسبب هذه الخطيئة، وتمنعها من دخول المعبد صراحة في الإصحاح الثاني عشر من سِفر اللاويين الذي يقول:

[كل شيء مقدس لا تمس، وإلى المقدس لا تجيء، حتى تكمل أيام تطهيرها][١٦].

في هذا الباب أيضاً تدخل نظرية (تحريم الصور والتماثيل) التي فرضها الفقه على مسيرة الفن الإسلامي، بموجب فتوى مؤداها، أن

القديمة، يضيع وجه الحضارة الإسلامية، وتغيب ذاكرتها في غبار التاريخ، بسبب فتوى مريبة لا مبرر لها سوى الجهل المطلق أو سوء النية. فليس ثمة نص ديني واحد، في أية لغة، أو في أي عصر، يحرم الرسم والنحت سوى نص التوراة الذي يقول:

[لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً، ولا صورة ما، مما في السماء من فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض][١٧].

وهو أمر موجه لتحريم عبادة الأصنام، فرضته ظروف تاريخية متعلقة بماضي اليهود الوثني. وقد ألغاه آباء الكنيسة المسيحية باعتباره أمراً لا يخصهم. ولم يكن من المعقول أن يقبله الفقه الإسلامي بعد ذلك، لو لم يكن هذا الفقه، مجرد عودة مريبة إلى عقائد اليهود بالذات. إننا نغالب الخوف بالشك:

فالواقع أن المرء لا يستطيع أن يتصور مدى التخريب الذي أحدثه الفقه لمحو الحدود بين اليهودية وبين الإسلام، بحيث تشابكت الخطوط نهائياً، واكتمل التشابه في أدق التفاصيل، من طولَيْ اللحية والسبحة، إلى شكل الزي الذي اعتمدته التوراة لتمييز رجال

كانت الكارثة قد وقعت وانتهت، وكان الإسلام ـ الذي يقال إنه دين العقل ـ قد تحول إلى طقوس سحرية تتراوح بين ختان الطفل، وبين تحريم لمس المرأة، وقطع عنق الخروف، باسم العودة إلى [أصول الدين]. وهي عودة لا تعني في الواقع سوى قطع جذور الدين من أصولها، وضرب الإسلام بسيف الإسلام، تمهيداً لقيام دولة التوراة العربية التي تمتد ـ هذه المرة ـ من الفرات إلى المحيط.

الردود

على الفصل الثالث

الرد الأول

عدو الإسلام(*)

سعد أنيس
سورية

من الواضح أن الكاتب يهدف إلى التشكيك في الإسلام بشكل غير مباشر عن طريق نقض السنّة النبوية الشريفة بكاملها، وتشويه صورة فقهاء المسلمين جميعاً من خلال تنقله قفزاً من فكرة إلى أخرى بدون أي رابط بينها سوى هدف واحد هو تشتيت القارىء بين صور شتى، فهو يعلم تماماً أن أغلب المسلمين ليسوا مطلعين بشكل كافٍ على علوم الدين والقرآن والأحكام، فإذا نجح في زرع الشك في صدورهم فهذا

استنبطه الخليفة الأول أبو بكر الصديق عندما حارب المرتدين بعد وفاة الرسول(ص). الهدف منه سد الذرائع لكي لا يكون هناك مدخل لليهود أو غيرهم من أعداء الإسلام للطعن في الإسلام بأن يدّعي أحدهم الإسلام ثم يدّعي بعد فترة أنه لم يجده صحيحاً. فقد حصل أن بعض اليهود والمشككين دخلوا في الإسلام تظاهراً ولم يفوتوا فرصة للطعن ونشر البلبلة في الصفوف إلاّ وفعلوها. وكانوا أيام الرسول(ص) يفعلونها في السر. وعندما توفي (ص) وجدوها فرصة سانحة حسب ظنهم لتقويض دعائم الإسلام قبل أن تقوى شوكته. بتعبير آخر أعلنوا الحرب على الإسلام بردتهم. ولذا فإن الحكم الإسلامي ينص أن المرتد يجب أولاً مناقشته وإقناعه، فإذا أبى وأصرّ على المجاهرة بردته، اعتبر محارباً للإسلام وقتل حرابة لا كفراً. والدليل أن الدين الإسلامي يسمح لأهل الكتاب الذين يعيشون في البلاد الإسلامية بكافة الحقوق، أما أهل الكتاب الذين يعيشون في بلاد الحرب (التي تحارب

«الطهور شطر الإيمان»، «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»، وفي رواية «عند كل وضوء»، والوضوء بحد ذاته خمس مرات في اليوم والغسل عند كل جنابة ولصلاة الجمعة ولصلاة العيدين، الحض على التزين والتطيب لدخول المساجد لكي لا يشتم الناس روائح كريهة. والختان هو أحد أهم عناصر النظافة، فقد ورد في الحديث الصحيح: «الفطرة خمس، أو خمس من الفطرة: الختان والاستحداد ونتف الإبط، وتقليم الأظافر، وقص الشارب»[١].

وواضح من سرد الختان مع الأمور الباقية أن الغرض منه النظافة لأنها كلها من جنس واحد (الأظافر، إلخ). وإذا كان الكاتب لا يأخذ بالسنّة، فهو يعلم أن ليس كل أحكام الإسلام بتفاصيلها في الكتاب، لحكمة من رب العالمين، مثلاً (الصلاة ـ الحج ـ الزكاة ـ العقود ـ إلخ) لم ترد سوى إشارة في القرآن وتفاصيلها في السنّة. وبعدما ثبت للطب أن الختان عملية صحية مائة بالمائة، فقد

خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً .. فمنها ركوبهم ومنها يأكلون﴾(٢). أما قطع الحنجرة مع شرايين الرقبة فهو علمياً أسرع طريق للموت وأقلها إيلاماً. وتستنزف الدم بالسرعة اللازمة قبل أن يتخثر في الأوردة وهذا لو حصل (التخثر) لأصبح أكل اللحم حراماً لأن الدم إذا اختنق ضمن الجسم يصبح حكم الذبيحة مثل حكم المنخنقة.

أما عن التخدير بالصدمة الكهربائية تخفيفاً لآلام الموت فإن العكس هو الصحيح، حيث إن الشاة لا تموت بالصدمة وإنما تتألم ويستمر ألمها الشديد حتى يأتي دورها على السلم المتحرك ليبدأ تقطيعها حتى قبل أن تفارق الحياة. ولدينا دليل على ذلك أن الإعدام بالتيار الكهربائي ألغي في أميركا بعد أن كان الوسيلة الأساسية للإعدام، نظراً لاكتشافهم أن ذلك يشكل عملية تعذيب هائلة قبل الموت.

٤ ـ **عذرية المرأة**: اعتبر الإسلام الزنى من أكبر الكبائر ولم يفرق بين رجل وامرأة في العقوبة وهي:

١ ـ مائة جلدة لغير المتزوجين.

ولا يجوز لأحد أن يتبعه لقتله، وحقن دمه وأصبح عقابه على الله يوم الحساب.

أما أهداف الرجم فهي التكفير عن ذنب الزاني، ذلك أن حدود الله (قتل القاتل، قطع يد السارق إلخ). ليست جميعها مكفرة عن الذنب وإنما هي قصاص، والحساب يوم القيامة إن شاء الله عذب وإن شاء عفا، ولكن الرجم هو من الحدود المكفرة أي أن الزاني عندما يصمد فإنه بذلك يغسل ذنبه ويقابل الله يوم القيامة طاهراً من الذنب كما ورد في الحديث الشريف.

٥ ـ **طهارة المرأة**: مرة أخرى نعود إلى النظافة التي خصها الإسلام بالعناية الكبرى واعتبرها نصف الدين. وحيض المرأة ونفاسها واردان في القرآن لسوء حظ المؤلف المغالط عمداً: ﴿يسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن﴾[٣].

وواضح من الآية الكريمة أن النساء في فترة المحيض لا يعتبرن

٦ ـ **الرسم والنحت**: يقول الكاتب إن مسألة تحريم رسم الكائنات الحية أو تجسيدها لم يعد حراماً نظراً لأنه لم نعد نخشى الآن أن يعبدها أحد، وهذا كلام مغالط فلا زال أكثر من ثلث سكان الأرض يعبدون الأوثان. أما عن التخلف في ميدان الفن أكثر من غيره من ميادين الحضارة فنقول إن الفن أحد الميادين التي ازدهرت في صدر الإسلام وخاصة أيام الأمويين ومن بعدهم زمن العباسيين، فتطور الخط العربي إلى درجات راقية واستعماله في اللوحات التزينية إضافة إلى فن الزخرفة والنقش على الحجر وفن العمارة. كما أن رسم الطبيعة نفسه غير محرم. فلماذا يهتم هو فقط برسم الإنسان والحيوان أو تماثيلها ولا يبالي بباقي الرسوم والزخارف والمنحوتات؟

٧ ـ **الزي**: إن الزي المتعارف عليه لأئمة المساجد وعلماء المسلمين هو زي متوارث نتج عن عادة. وأصلاً نحن لا نقول عن الفقهاء رجال الدين بل نقول العلماء وليس هناك

﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى﴾(٥)، ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾(٦). ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة منْ أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً﴾(٧).

بل أكثر من ذلك يأمرنا القرآن باتباع الجماعة وهي في المرتبة الثالثة بعد الكتاب والسنة من حيث التشريع:

﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم﴾(٨).

وفي ذلك يقول سيدنا محمد:

ـ مسلم:

«وتركت فيكم ما أن أخذتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله وسنتي».

ـ البخاري ومسلم:

وتراه في سبيل الوصول إلى مأربه يخترع الأكاذيب ويسردها على أنها حقائق علمية (حزنه الشديد على ألم الخروف حين يذبح!! ومذبحة الختان التي نجحت الكنيسة في إنقاذ الأطفال المسيحيين منها؟؟). وتراه تارة أخرى يخترع تعاريف ما أنزل الله بها من سلطان، فهو يعرّف السنّة تعريفاً جديداً من عنده لا يوجد في قواميس اللغة ولا قواميس الفقهاء. ويهاجم الرسول بشكل غير مباشر عندما يقرر أن التقيد بأقواله وأفعاله في هذا الزمن يعتبر تقييداً للإسلام. ولنأخذ أمثلة من السنّة لنرى مدى صحة رأيه، فهل أصبحت إماطة الأذى عن الطريق ونصرة المظلوم والطهارة والنظافة والوفاء بالعهود واحترام المواثيق وعدم إلحاق الضرر وعدم الإيذاء وحسن المعاملة واحترام الكبار والنساء والعناية بالأطفال وبر الوالدين وغيرها من الأخلاق الحميدة والسلوك الإنساني الراقي التي هي السنّة النبوية بعينها، هل أصبحت أو يمكن أن تصبح في يوم من الأيام من الأمور السيئة التي يجب أن نتخلى عنها للحاق بركب الحضارة؟ إن هذه الأمور مثلها كمثل تعاقب الليل والنهار سارية المفعول منذ الأزل وإلى الأبد، فهي ليست موضة زي أو

ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون﴾(٩).

فالسبب الأساسي لأن يكتب كاتب مثل هذا هو أنه لا يؤمن بالآخرة بنص القرآن فهو كافر قطعاً، وكذلك الذين يرضونه ويصغون إليه أو تميل قلوبهم إليه، ويتلو ذلك أن أفعالهم تأتي منسجمة مع ما استقر في قلوبهم فيقترفون ما يقترفون وبذلك تقوم عليهم الحجة فيخلدون في النار في يوم القيامة ومن هنا نعلم كيف أنهم لا يؤمنون بيوم القيامة أصلاً ولذلك كتبوا ما كتبوا وهم مستهترون.

الكتابة من البرج العاجي[*]

فايزة قوطرة
سورية

لعل في كل مقالة تنشر، أو بحث يستقصى، علينا أن نقوم هذا الموضوع في سياق الهدف الذي يرمي إليه صاحبه. والصادق النيهوم في مقالته (الفقه في خدمة التوراة عن قطع الرقاب والختان وتحريم الرسم والنحت)[1] يقع في مغالطات أبعدته عما يرمي إليه.

يبدأ مقالته مدافعاً عن حرية الفكر، عارضاً مشكلة الحكم بقتل المرتد، قائلاً إنها فكرة مشبوهة لا تستند إلى نص القرآن الذي يقول صراحة: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾[2] ...

فمشكلتنا ليست في الختان، ولا أحد يثيرها، بل المشكلة الأهم حرية الفكر، وقتل المرتد، وهل لرجال الدين الإسلامي (سلطة) كما يزعم الصادق النيهوم؟!

إن كل المسائل التي طرحها النيهوم ليس الهدف منها غير (دغدغة) عواطفنا، وكي يمسك قلمه السيال، ويؤثر فيها، مستشهداً بالنصوص التوراتية، ولنقول له جميعاً مصفقين: إن الفقه بل وحتى السنّة النبوية ما هما إلاّ تطبيق للتوراة.. كيف حدث كل هذا ونحن لا ندري؟!!

يا أخي الكاتب.. هناك حقيقة في الشريعة الإسلامية لا تخفى على أحد، ولكنها خفيت عليك، وهي أن الإسلام دين الحنيفية وهي ملة إبراهيم عليه السلام، وملة الأنبياء من بعده، بل جاء الإسلام استمراراً وإتماماً للأديان التي سبقته وكل مطلع لبيب على مقالتك سيرد عليك، لأن الفقهاء كانت مصلحتهم منطلقة من روح الشريعة، وليس من روح التوراة كما تزعم. حتى إنهم وضعوا قاعدة فقهية: شرع ما قبلنا شرع لنا. وهذا منتهى الاحترام للديانات

في مقالاته بالأهرام سابقاً).. إن كل ما جاء به محمد لسنا بحاجة إليه، لأنه استمرار للتوراة! بينما القرآن هو الأصل والأصح.. أليس كذلك!!

السنّة هي الطريقة، يقال سننت كذا: أي شرعت. وهي ما سنّه رسول الله(ص) لأمته من واجب ومستحب، فالسنّة هي الطريقة وهي الشريعة والمنهاج والسبيل[٣] والآيات القرآنية واضحة في اتباع الرسول كقوله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[٤]، وقوله(ص): «من رغب عن سنتي فليس مني». والفقهاء يا عزيزي حين يقررون شيئاً لا يقررون إلاّ من القرآن أو نبيهم محمد(ص) وهل في هذا ضير..! ..إن النصارى اتبعوا عيسى عليه السلام وقالوا: إنه ابن الله، ومريم البتول أم الله. وما زالوا يستشهدون بأقوال بولس وهو شاؤول اليهودي، ولم يقل الصادق النيهوم لهم: لا تتبعوا عيسى أو بولس فهو يطبق التوراة. أليس من واجب النصارى اتباع عيسى إن آمنوا برسالته، واتباع رسله وهم أقدر من غيرهم على توضيحها!

والآن نعود إلى الجزئيات التي (حشرها) صاحبنا الصادق النيهوم في موضع أساسي كان الأولى به، التركيز عليه وتوضيحه، فمعركتنا الحضارية مع اليهود ليست في الختان، بل في وجودنا كأمة ذات تراث حضاري مشترك، جمع الأديان السماوية كلها، وليس دين اليهود فقط.

يقول الصادق النيهوم:

> «ولو سئل الفقيه المسلم عن المصدر الشرعي للختان، لما وجد أمامه نصاً دينياً واحداً يبيح مثل هذه الفعلة سوى الإصحاح السابع عشر من سِفر التكوين» و«أما في الإسلام فقد عمد الفقهاء إلى تبريره بحجة أنه تواصل مع شريعة إبراهيم» وينهي كلامه: «إنها عادة بربرية وإن مجرد تمريرها تحت ستار الدين، جريمة تنبىء عن سقوط أخلاقي مريع»[٦].

يبدو أن الصادق النيهوم كتب مقالته وهو في برجه العاجي يخاطب نفسه، دون أن يسأل هذا الفقيه المسلم عن مصدره، بل هكذا تراءى له. نحيله ونحن لسنا من الفقهاء، بل من عامة المسلمين (المتنورين) إلى كتاب الإمام ابن القيم الجوزية ـ تحفة المودود بأحكام المولود[٧] ـ في ختان المولود

«ولذلك دعا الله جميع الأنبياء من ذرية إبراهيم أم إليها حتى عبد الله ورسوله وكلمته ابن العذراء البتول، فإنه اختتن متابعة لإبراهيم الخليل. والنصارى تقر بذلك»[١٠].

وهناك أحاديث أخرى مروية عن النبي محمد تؤكد مشروعية الختان رواها ابن القيم في كتابه. ونحيله أيضاً إلى الدراسات العلمية في علم النفس الجنسي، والتي صدرت عن أطباء أوروبيين ذوي اختصاص تؤكد كلها فوائد الختان الصحيحة وتأثيره على التقارب أو التجاذب الجنسي بين الزوجين واستمتاعهما. وهي لذة دعا إليها الإسلام في حدود الشرع، ووضحها الفقهاء قبل هؤلاء العلماء، ولكن.. عفواً نحن نطلق عليهم علماء أيضاً، بينما النيهوم لا يقبل أقوالهم بحجة أنها تطبق التوراة.

ولكن ـ عفواً مرة ثانية ـ نسينا أنه لا يأخذ بالسنّة النبوية بل يأخذ بالتوراة هو نفسه، كي يخاطب عواطفنا (السياسية)، رغم أنه يخاطب العقل الحر في مطلع مقالته «العقل الرافض قتل الإنسان» ولكن أليس عقلك نفسه يقتل إنساناً يسمي نفسه حراً بأن يسرق

ولكي لا نطيل الرد عليه حول طقوس الذبح والعذرة والمرأة النجسة كما يقول، والتي يعتمدها الفقه لإبطال صيام المرأة وصلاتها أيام الطمث، نقول إن هذا من مقاصد الشريعة الإسلامية وحكمتها التي غابت عن الصادق النيهوم كما غابت عنه حكمة الختان، بل غابت عنه مقولة أساسية في الفكر الإسلامي، أنه دين جاء جامعاً ومتمماً للرسالات السابقة وإن كان فيه بعض التشابه بين طقوسه وطقوس اليهود أو النصارى، فهذا لا يلغي شخصية الإسلام، بل يؤكدها لأن الرسالات السماوية ذات مصدر واحد وهدف واحد هو عبادة الله سبحانه وتعالى، حتى لو اختلفت في ذلك السبل وأشكالها المرتقاة نحو تحقيق الهدف.

وأخيراً يبدو أن النيهوم لم يشاهد الفن الإسلامي التسجيلي في العمارات الإسلامية والمخطوطات المزينة بالصور، وإلاّ لما وقع في المغالطة مع نفسه حين قال:

«.. فلم تنتج الحضارة الإسلامية لوحة وثائقية واحدة عن لون الحياة فيها طوال ألف سنة على الأقل»[١١].

ولكننا نحيل القارىء إلى موسوعة بهجة المعرفة التي أشرف على

عن روح الشريعة الإسلامية ومقاصدها. وهذا الموضوع ليس هنا مكان رده. بل نقول للصادق النيهوم: لن تجد محاولتك في غسل مخنا بالابتعاد عن السنّة النبوية، بحجة أن بعض طقوسها تطبيق للتوراة.. بل هي أسٌّ متين من أسس الشريعة الإسلامية، التي احتضنت الشرائع التوحيدية اليهودية والنصرانية والإسلام، في جو الحوار المسؤول والتسامح الديني، وليس في جو توارتي متعصب أو بربري كما توهم، وهو يكتب مقالته بعيداً عن روح الشريعة الإسلامية وحكمتها.

جهل مستفحل(*)

صالح القاسم
الأردن

بداءة، أنا لست من المتدينين، وليس لي لحية وأبغض العنف السياسي الذي يمارسه المتطرفون الإسلاميون. ولكن ما جاء في مقالة الكاتب الصادق النيهوم «الفقه في خدمة التوراة»[1]، يخلو من الموضوعية العلمية بتاتاً، لأنه يحلل الأشياء من وجهة نظر أحادية فارغة من أية معلومات قرآنية أو محمدية، وهو إذ يلغي كل ما ورد في السنّة المحمدية يلغي أيضاً ما جاء في القرآن الكريم، لأنه يبدو ـ والله أعلم ـ أنه لا يؤمن بجميع القرآن الكريم. فهو يعترض على فتوى علماء المسلمين السعوديين

فانتهوا﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾[٥].

وكما ترى فالآية صريحة باتباع ما جاء به الرسول. واعتماد الفقهاء على الرسول ـ وكما تعلم ويعلم جميع المثقفين، ليس اعتماداً أعمى بل على الأحاديث الصحيحة فقط والتي اتفق عليها علماء المسلمين بعد عملية طويلة من الجرح والتعديل... إلخ وحديث «لا يحل دم مسلم إلاّ في ثلاث: الثّيب الزاني، والقاتل العمد، والتارك لدينه المفارق للجماعة»، وهو الذي يرتكز عليه الفقهاء.

ثم إن قتل المرتد فتوى يهودية، لا يعني أن الإسلام نقلها عن اليهود. فالدين الإسلامي وكما يعلم الجميع وكما ورد في الإسلام دين جاء عقب ديانات متعددة أصلها واحد، وقد أمر الله بالإيمان بكل ما جاء في هذه الديانات: ما جاء منها في القرآن وما فصّله محمد طبق أوامر الله بأخذ ما جاء به الرسول والتي هي تفصيلات لما ورد في القرآن الكريم دون تفصيل وعلى النحو التالي: قال تعالى: ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما

لذا فإن تعييب الكاتب على المسلمين بأن (أحكام السنّة النبوية هو في شكلها ومحتواها تطبيق حرفي لأحكام التوراة) رأي ضعيف جداً وقائله لا يعرف عن تاريخ الدين الإسلامي وتاريخ الديانات السماوية أي شيء، أو إن صاحب هذا الرأي يريد الباطل وهو يوهم بأنه يكتب الحق. خاصة وأنه يعزف على نغمة العلاقة بين اليهود والمسلمين ليدغدغ المشاعر. ولكن أنّى لمثل هذا الرأي بضعف حجته أن ينطلي على أبسط المثقفين!

الأخ الكاتب يقول:

«إننا محاطون باليهود من كل جانب، وإن فقه المسلمين يخدم التوراة»[٩].

إن الديانات السماوية أصلها واحد، ومن البدهي ودون إعادة ذكر الأدلة السابقة سوف تتشابه الكثير من الأحكام الدينية في الديانات السماوية الثلاث وليس الإسلام واليهودية فقط.

ويقول:

«إن الفقه قد ورّط المواطن المسلم في شرائع يهودية بالية»[١٠].

الركعة الواحدة، ولا، ولا، ولا ومن هنا كانت الحاجة إلى تفصيل الأحكام الإسلامية العامة التي جاء بها القرآن، ومن الطبيعي أن يشرحها محمد للناس، ومن هنا جاءت السنّة النبوية والتي كما ذكرت سنّة أمرنا الله بالإيمان بها كما نؤمن بكلمات كتابه. وحديث الرسول: «أوتيت القرآن ومثله معه» حديث صحيح ومتفق عليه.

وما قاله الكاتب عن الختان، والذبح والمرأة النجسة جوابه في طيّات السطور السابقة، وكون بعض أحكام الإسلام تتشابه مع بعض ما جاء في التوراة لا يعني أنها نقل عن التوراة، ولا يعني أنها تأثر بالتوراة، ولا يقبل العقل بأن هذا التشابه هو التمهيد لقيام دولة التوراة العربية. فالإسلام ومنذ ١٥٠٠ سنة تقريباً لا يزال هو الإسلام كما جاء في القرآن الكريم وكما شرحته السنّة النبوية، له خصوصيته، والدين اليهودي سيظل هو الدين اليهودي له خصوصيته ولا يمكن في يوم من الأيام أن يحل محل الدين الإسلامي وحتى لو قامت دولة التوراة العربية التي ينبئنا بها الكاتب.

سواء لوحات، أو قطع فخارية، أو قطع عملات. وهناك قطع من العملات الإسلامية على أحد وجهيها (تمثال). وخاصة ما ظهر منها خلال الفترة الأموية وهناك لوحات تجسد الحضارة الإسلامية بكل تفاصيلها. حتى المحرمات، وكم لوحة جنسية فاضحة تزخر بها الحضارات الإسلامية! وأخص بالذكر ما أنتجته الحضارة الإسلامية الهندية والباكستانية والإيرانية (الشرقية). ثم إن مساجد الأندلس صروح شامخة خالدة عن الفن الإسلامي، وماذا عن المسجد الأقصى، والمسجد الأموي؟ ماذا عن زخارفها؟ ألا تعبر عن الحضارة الإسلامية؟ إن الزخارف الإسلامية ما زالت هاجس كبار الفنانين في تشكيل أشباهها، ولا داعي لذكر المزيد، فالمزيد في الكتب التي تتحدث عن الفنون الإسلامية وهي كثيرة جداً وفي مختلف اللغات، وشواهدها موزعة في مختلف متاحف العالم حتى الصغير منها.

ضحية الأفلام المصرية(*)

محمد علي البغدادي
لبنان

في مقالة «الفقه في خدمة التوراة»[1]، كتب الصادق النيهوم منتقداً الإسلام والمسلمين ورسول ربِّ العالمين، معترضاً على قطع الرقاب والختان والذبح الشرعي وتحريم النحت والرسم، متأوهاً على «الحضارة الإسلامية» التي عجزت(؟) عن أن تكون حضارة متاحف ومعارض(...).

انطلق الكاتب من واقعة إعدام أحد المواطنين السعوديين خلال العام الماضي بموجب فتوى شرعية من رجال الدين بتهمة الردَّة، (الارتداد عن الإسلام)، حيث استغل الكاتب تلك الظاهرة ليعلنها

يقول صراحة: ﴿لا إكراه في الدين، قد تبيَّن الرشد من الغي﴾ بل تستند إلى نص الإصحاح السابع عشر من سفر التثنية...»[٢].

ونقول: عندما خرج موسى ببني إسرائيل من مصر وأنزلت عليه التوراة لم يخاطب بها «اليهود» بل خاطب «بني إسرائيل». هذا ما تؤكده الأسفار الخمسة على الأقل، وهذا ما يؤكد أن التوراة وما فيها من تشريع لم تكن يهودية بل إسلامية.. اليهودية كانت انشقاقاً وانحرافاً عن التوراة الإسلامية. اليهودية حالة طارئة ومتأخرة في بني إسرائيل وحركة سياسية ارتدت عن الإسلام إلى ضده وخلطت بينه وبين الشرك والوثنية دون تصنيم. لقد استولت على الإرث الإسرائيلي وانحرفت به نحو غاياتها المادية والدنيوية.

الصورة نفسها تتكرر في الإسلام القرآني. فمع مقتل الخلفاء الراشدين الثلاثة (عمر بن الخطاب بسبب فتح العراق والقضاء على الأمبراطورية الفارسية.. وعثمان بن عفان بسبب ضبطه للمصحف ومنع التلاعب به وتحريفه الذي كان ناشطاً في العراق.. وعلي بن أبي طالب بسبب موقفه من الخوارج وعزمه على إعادة عاصمة الإسلام إلى المدينة المنورة بدلاً من الكوفة). بعد مقتل هؤلاء الخلفاء

والصابىء وعبدة الكواكب ومن إليهم، ومن الأجناس، الهندي والبارثي (الفارسي) والإيراني، والسندي، والتركي، والآشوري والصيني والمغولي، والآزري، والسكوذي، والغوثي، ومن إليهم من الموالي والأسرى والأرقاء.. جميع هؤلاء نشطوا في محاصرة الحكام المسلمين، ومحاصرة القرآن، ومحاصرة الأمراء العرب وعملوا على تعزيز معتقداتهم الذاتية والتحرر من صفة «أهل الذمة»، والثأر من الإسلام ومن حُماته العرب، فكان العمل في التفسير والتحليل والتأليف والدراسة والحديث والآراء المختلفة حيث كانت لنا كمية هائلة من الآراء المتناقضة والمتعارضة المسماة «اجتهاداً» و«فقهاً».. الأسلوب والصورة أنفسهما اللذان أفرزا اليهودية من بني إسرائيل، واللذان انبثقت منهما فيما بعد «الظاهرة اليسوعية» ذات البعد اليهودي ـ الهندوسي.

لقد حاول الداخلون حديثاً في الإسلام من كل هذه الأجناس والمعتقدات أن يفقهوا الإسلام على ضوء الأصول النقية لمعتقداتهم، فيما حاول علماؤهم توحيد جميع هذه العقائد والممارسات في «الفقه الإسلامي» بعد أن عجزوا عن إدخالها مباشرة في القرآن

المشْركينَ حيثُ وَجَدْتُمُوهم، وَخُذُوهُم، وَاحْصُرُوهُمْ، وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ.. فَإِنْ تابوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ، فَخَلّوا سَبِيلَهُمْ، إنَّ اللّه غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[3].

إنها الآية نفسها التي أخذ بها أمير المؤمنين خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم (أبو بكر الصديق) في قتال وقتل أهل الردَّة بسبب منع الزكاة وعدم إقامة الصلاة.. إنه حكم عام يبدأ من الفرد إلى المجموع، وينطلق من الجماعة إلى الفرد، لكون الردَّة ـ باتجاه أي معتقد آخر ـ تشكل خيانة قومية وخيانة وطنية، وخيانة اجتماعية وإنسانية. أما آية سورة البقرة: ﴿لا إكْرَاهَ في الدِّين﴾[4] فموضوعها ليس حرية المسلم في التراجع بعد التقدم والتخلف بعد التطور، والتقلب بين الديانات والمذاهب والأهواء والنظريات، وإنما موضوعها الإنساني هو الأجناس غير العربية المخيَّرة بين الحرية والعدل والمساواة (الإسلام) وبين العبودية والذل والهوان برفض الإسلام، وهذا هو معنى «الصغار» بالبقاء على الشرك والظلم وعدم المساواة.. وبين الحرب الحاسمة. فمن ارتضى الظلم والعبودية واللامساواة تحت شعار دفع الجزية لقاء رفض الإسلام، لا يُكرَه

هذا العهد والإرث، فضلاً عن أنه يحسم مسألة الذبيح فهو يؤكد قول الله تبارك اسمه في قرآنه المجيد: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً، قَانِتاً لِلَّه، حَنِيفاً، ولَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ، شَاكِراً لأنعمه، اجْتَبَاهُ، وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم﴾[٥]. ثم يكلف الله تبارك اسمه رسوله الصادق الأمين: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ، أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً، وَمَا كَانَ مِنَ المُشْرِكِين﴾[٦].

فالختان عند المسلمين ليس يهودياً، إنه جزء من العهد مع إبراهيم وإسماعيل قبل وجود إسحق ويعقوب. وإذ لا تعنينا كمسلمين الخلافات المسيحية ـ اليهودية حول الختان وأكل لحم الخنزير وشرب الخمر والطلاق والرهبانية بقليل أو كثير، فهذا لا يعني أننا غير معنيين بتقارير خبراء الصحة والطب في العالم أجمع حول تأثير عدم الختان في نقل الأمراض التناسلية والسيدا، والإيدز، وهو الأمر الذي غاب عن بولس (شاول) وهو يروّج لعقيدته بين الإغريق والذي حاول النيهوم ويحاول أن يتقمص دوره في الدعوة إلى اليسوعية البولُسية ظاناً أنه يقاتل على جبهتين معاً، اليهودية والإسلام.

الإسلامية ليس طقساً. إنه إجراء بسيط غايته استفراغ كل الدم بأقصى سرعة، وهذا يحدّ من تعذيب الضحية إذ كلما طال نزف الدم، تأخر خروج النفس ولهذا السبب يُصرّ المسلمون على قطع الشرايين ومجرى الهواء في حركة واحدة غير مرتدة.

إن عالم الغرب المسيحي الذي سمح ببقاء كثير من التقاليد الوثنية في مجتمعاته لا يزال يأكل الموقوذة والمنخنقة والميتة ولحم الخنزير، ولا يزال يُصرّ على مخالفة جميع الناموس الموسوي مع أن القول المنسوب إلى يسوع في الأناجيل يقول: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض، بل لأكمل»(٧). ولما كان العالم الإسلامي قد بدأ يرفض الذبائح واللحوم التي تذبح في الغرب، تطور الغرب قليلاً، وبدوافع مادية تجارية إلى تحسين شروط ذبحه ولكنه أصرّ على «قتل الذبيحة» ـ بالصدمة الكهربائية ـ ليمنع عنها عذاب السكين في اعتقاده، وهكذا بقيت ذبيحتهم «ميتة» محرمة على المسلم الذي يقبل ذبيحة الإسرائيلي الموسوي ذات الأصل الإسماعيلي ـ الإبراهيمي.

وبصورة عامة، فإن المسألة هنا تبقى ـ كما الختان ـ مسألة متعلقة

إن موقف الكاتب بالنسبة إلى عذرية الفتاة مثير للسخرية بكل أسف، فهو كثير الاطلاع فيما يبدو على الأفلام والروايات المصرية التي اتخذ من بعضها دليلاً على الشريعة الإسلامية والفقه الإسلامي.

منطق العصر! ماذا يعني هذا الاصطلاح؟ إنه لا يعني أكثر من «التخلّي» - التحرر من كل ارتباط بالأرض والدم والتواصل التاريخي مع الماضي والمستقبل. كل عشر سنوات هناك عصر جديد ومتغير، إنه يعني تقلّب الإنسان من حال إلى حال وعدم الاستقرار على أي حال، إنه اصطلاح يجرد الإنسان من إنسانيته ويملأه من شياطين الجن لتمارس الحياة عوضاً منه بالحرية والابتذال والامتهان النفسي والجسدي.

يقول الكاتب:

«في هذا الباب أيضاً تدخل نظرية «العُذرة»(٨) التي يعتمدها الفقه كسبب(؟) شرعي يبرر طلاق المرأة من دون صداق، ويبرر قتلها دون عقوبة(...)، فالمرأة المسلمة لا تصبح زوجة شرعية في نظر الفقهاء إلا إذا اجتازت اختبار ليلة الدخلة طبقاً لطقوس دقيقة

الإسلام لا يقبل الكذب ولا الغش ولا الخداع ولا الاعتباط، لذلك، فهو يحث على انتقاء الزوجة من أسرة كريمة، شريفة، عزيزة بغض النظر عن الغنى أو الفقر، وعن البكر والثيب، ونزيد فنسأل الكاتب: إذا كنت قد اشتريت سيارة جديدة ودفعت ثمنها عدّاً ونقداً وطلبت من البائع أن يرسلها إلى منزلك، وعندما أردت استعمالها وجدتها سيارة مستعملة، فما هو موقفك؟

كذلك الحال بالنسبة إلى الرجل المسلم يختار زوجة على أنها بكر فيفاجأ بأنها «ثيّب»، هنا محل الجرم.. غش وكذب واعتباط واحتيال وسرقة، بالإضافة إلى «الزنى».. ما هو حال امرأة كهذه؟ الشريعة الإسلامية اعتمدت قاعدة «الرد بالعيب»، وهي قاعدة تبطل عقد النكاح بالفسخ، تماماً كما ذهب بعض الفقهاء إلى أن المرأة تردّ الرجل بالعيب. والتقاليد عادة تتحول إلى «عُرف» فهو قانون اجتماعي ضابط.. نعم، تخرج المرأة دون صداق، وعلى وليها تعويض الرجل.. أما مسألة القتل فهي تقليد وعرف يملك ممارسته ذوو المرأة وليس الزوج لأن القضية باتت تعنيهم وحدهم.

القرآن الكريم والشريعة الإسلامية قبل حماية المرأة في رد مباشر

«فيأخذ شيوخ تلك المدينة الرجل ويؤدبونه، ويغرمونه بمئة من الفضة ويعطونها لأبي الفتاة...»[١١].

وهذا المبلغ يعادل ثمن عذرية فتاتين[١٢].

ليس في الإسلام امرأة نجسة غير الزانية والمشركة، والمرأة المسلمة التي تتزوج من مشرك هي في حكم الزانية من حيث نجسها.. أما المرأة الحائض المسلمة فلا ينجسها الحيض وإنما يعطل استعدادها لممارسة العبادات.. والحيض عند جميع الأمم والشعوب، وفي كل المعتقدات هو حالة استثنائية للمرأة تتأثر بها فيزيولوجياً وسيكولوجياً كما تتأثر بالجماع، وبما أن الحيض يوجب الغسل كالجماع، فهو لا يوصف بالنجس وإن كان يوجب التطهر من آثاره. إن حكم الطهارة في الإسلام لا يقتضي أن يكون ضده «النجاسة»، وإنما «القذارة» والقذارة هي غير النجاسة. ومن هنا كان مفهوم الآية: ﴿إنما المشركون نجسٌ فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا﴾[١٣] حتى ولو كانوا مغتسلين بالماء والصابون.

الكذب قلم الكتبة الكاذب كما يقول إرميا: «إذ قد حرَّفتم كلام الله الحي...»(١٤).

الرسم والنحت في المفهوم الفلسفي هما لغة.. وسيلة للكلام والبيان عن شيء ما كأية لغة حروفية أخرى. إنها لغة صامتة، لغة ألسنة عاجزة عن البيان والإفصاح عن المشاعر والأحاسيس.. ولأنها كذلك، فهي على احتكاك مباشر بالإيمان، بالعقيدة، بالدين؛ هذا على الأقل ما تتحدث عنه الأيقونات المسيحية، وأعمال «بارامونت» و«مايكل أنجلو» و«رافائيل» وتماثيل «داود الملك» و«النبي موسى» و«يوحنا المعمدان» و«يسوع الملك» وغيرها وغيرها(١٥).

هذا النوع من التصوير الديني ـ التعبُّدي ـ محظور وممنوع في الإسلام تماماً، وهو ممنوع عند بني إسرائيل واليهود والنصارى وأوائل المسيحيين. إن أي رسم أو نحت ينطوي على مضمون ديني من أي نوع هو محاولة للتخاطب العاجز مع الناس، وكل محاولة للتخاطب العاجز مع الناس، وكل محاولة عاجزة عن البيان لا قدرة

اللسان العربي أفصح وأبلغ في التعبير والبيان من الريشة والدهان، ومن المطرقة والإزميل[١٦] فقد حجبت الكلمة العربية دور الريشة والدهان ودور المطرقة والإزميل كي لا يطالا كل مقدس فيهان بعد إكرام، ويحقر بعد رفعة، ويقيد بعد إطلاق لأن الدين للإنسان لا للمتاحف والهوان إذ من المعلوم أن المتاحف للأموات ولكل ما هو ميّت بلا حياة. وإذا كان آباء الكنيسة الرومانية قد قرروا إبطال ونقض الناموس الأصل الذي أعلن المسيح بنفسه أنه لم يأتِ لنقضه[١٧]، فما من داع لأن ينطبق رأيهم على الإسلام وعلى المسلمين وعلى الذين يخالفونهم في الرؤية والاعتقاد.

بين اليهودية والإسلام حدود لا تمحى وسدود هائلة لا تُنقب ولا تُخرق ولا تزول إلى قيام الساعة، وعندما تزول الفوارق بين العهد القديم وبين التوراة، ترجع التوراة إلى الإسلام وينتهي وجود اليهودية.

حقاً، لقد انتهت الفردية في الفقه والاجتهاد ومحاولة الأفراد الإحاطة بالإسلام من كل الوجوه ـ بقليل من العلم، وقليل من

مكان ـ وتحت شعار «السنّة النبوية» ـ يتخبط في ممارسات ملوثة وقناعات شبه عقائدية عديمة النقاء، وعديمة الأصل في كتاب الله وفي الفقه العربي للإسلام.

الرد الخامس

السم في الدسم(*)

ياسر الجمسيدة
سورية

لا أعرف هل أقرأ عليك السلام أم أقول لك شالوم يا «الكاذب المنهوب». لا أخفيك سراً أنني أعيد قراءة مقالاتك أكثر من مرة وأنا أتساءل هل هو عربي؟ أم يهودي؟ أم غير ذلك؟ هل يعمل لصالح الإسلام أم اليهودية أم ضدهما معاً؟ لأي جهة يعمل وممن يقبض دولاراته شهرياً؟

أسئلة خامرتني كثيراً قبل أن أشرع في كتابة الآتي إيضاحاً ورداً على ما كتبته في «الناقد»[1] ولنبدأ بالعام ثم ننتقل إلى الخاص.

الحمراء بالذات، وزخارف المسجد الأموي بدمشق وزخارف المساجد والقصور والبيوت في الهند والسند وسمرقند وبخارى والمغرب العربي، أليست هذه دلائل عظمة الفن الإسلامي والحضارة الإسلامية! وإن كان الفن ثانوياً في شريعة مجتمع يشجع على العلم والفكر قبل غيرهما من الأمور. وأخيراً سيظل المسلمون رغماً عنك وعن أمثالك ومهما قيل منكم سيظلون متمسكين بدينهم إيماناً وعقيدة، لأنهم يؤمنون بقوله تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾(٩).

تعقيب المؤلف
على الفصل الثالث

التعقيب الأول

نفوذ الأُسر الحاكمة(*)

سعد أنيس

الحديث الذي تريد أن «تفنده»، يقول بوضوح إن الختان وتنجيس المرأة الطامث وقطع عنق الخروف والقتل بحد السيف، أحكام فقهية مريبة، لا تستند إلى نص القرآن، بل تستند إلى نص التوراة. وهي حقيقة لم «تفندها» في ردك الطويل، ولم تتقدم بنص قرآني واحد من شأنه أن يبرر التزام الفقه بمثل هذه الأحكام:

فأنت تفسر قتل المرتد بأنه:

«حكم إسلامي استنبطه أبو بكر عندما حارب المرتدين..».

صريحة، منها قوله تعالى: ﴿وفي أموالهم حق للسائل والمحروم﴾[1]. لأن الزكاة التي يدعوها القانون الوضعي باسم «الضرائب»، حق عام، لا يجوز للحاكم أن يتنازل عنه، أو يتوانى في تحصيله سلماً أو حرباً. وهو التشريع الذي استند إليه الخليفة أبو بكر في حرب الردة، أما قطع رقاب المواطنين لأسباب عقائدية، فهي جريمة يحرمها القانونان الديني والوضعي على حد سواء. وليس ثمة شريعة واحدة تبرر مثل هذه الفكرة الهمجية سوى شريعة التوراة وحدها، فقط، لا غير.

بالنسبة إلى الختان، أنت تعترف صراحة بأنه مجرد إجراء صحي، وليس جزءاً من العقيدة. المطلوب الآن، هو أن تقول ذلك لعموم المسلمين الذين علمهم الفقه أن الإسلام لا يكتمل من دون هذا الإجراء بالذات. فالختان ليس فريضة، وليس سنّة، بل عادة ورثها الرسول عن مجتمعه مثل بقية أطفال قريش. ولا يعني حشرها في باب العقيدة، سوى أننا لا نميز بين سنّة الرسول عليه السلام، وبين سنّة أبي لهب.

قوله تعالى: ﴿وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم، وطعامكم حل لهم﴾[٤].

وما دام القرآن لا يفرق بين ذبائح أهل الكتاب، فمن الواضح أن الفقه قد ذهب أبعد مما أراد الله، وأن كلمة [الذبح الشرعي] ليست كلمة شرعية أصلاً.

بالنسبة إلى تنجيس المرأة في فترة الحيض، أنت تورد قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن المحيض، قل هو أذىً، فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن﴾[٥]. وهي آية تحرم النشاط الجنسي فقط، لكنها لا تقول إن المرأة دنسة، ولا تسقط عنها [الصلاة والصوم وقراءة القرآن].

أما لماذا عمد الفقه إلى تطويع هذه الآية، لإسقاط الفرائض عن المرأة الطامث، فذلك أمر مرده إلى اختلاف جوهري في مفهوم [الطهر]، بين لغة الفقه وبين لغة القرآن. فالطهارة في القرآن هي [النظافة الجسدية] التي يحققها الغسل بالماء. ولهذا السبب يوصف الماء بأنه «طهوراً». أما في لغة الفقه المستمدة من قاموس التوراة، فإن

بقرار من الله نفسه. وإذا شئت أن تعرف أثر أمر هذه «السياسة التعليمية»، في تنشئة المرأة المسلمة، فانظر حولك بإمعان، وجرب أن تلاحظ مدى ما تعانيه هذه المرأة من الارتباك والخجل والخوف والعجز وفقدان الثقة في النفس والمسارعة إلى الإذعان والتنازل عن كل حق يخصها، بما في ذلك حقها في قليل من الهواء والشمس.

وموجز القول إن الختان والذبح الشرعي وتنجيس الطامث وتحريم الرسم ولبس العمامة والقتل بحد السياف، ليست سنناً نبوية، بل عادات فرضتها ظروف المكان والزمان، ولم يكن للرسول يد في اختيارها، إلاّ بقدر ما كانت له يد في اختيار بيئته ومجتمعه.

أما السنن النبوية، فهي التعاليم التي أعلنها الرسول صراحة، وعاش من أجلها، وحارب من أجلها، مثل قتال الأسر الحاكمة، ورفض الإذعان لمنطق القوة، والدعوة إلى حرية العقيدة، والاعتراف بمسؤولية الإنسان عن حاضره ومستقبله، وتحريض الناس على الجهاد المسلح دفاعاً عن حقهم في السلام والعدل. وهي السنن التي عناها القرآن بقوله: ﴿ومن يعص الله ورسوله، فقد ضل ضلالاً

إنني أدعوك إلى أن تقرأ رسالتك مرة أخرى، لكي ترى بنفسك، مدى النجاح الذي أحرزته هذه السياسة التعليمية في تغييب وعي المسلم عن حاضره ومستقبله معاً.

التعقيب الثاني

ضحية غسل دماغ(*)

السيد فايز قوطرة

الختان ليس سنّة نبوية، بل عادة ورثها النبي عن مجتمعه كما ورث اسمه وزيه وطريقة أكله وسكناه. وإذا كانت هذه الحقيقة قد غابت عن بالك الآن، فذلك أمر مرده إلى أن معلمك الفقيه، رجل بارع في غسل الدماغ

إن الرسول لم يولد في فراغ، بل ولد في مجتمع بدوي له ملامح حضارية خاصة منها شكل الزي المتمثل في الجبة والعمامة. ومنها عادة الختان، ونحر القرابين، وإطلاق اللحية، والقتل بحد السيف،

﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[1]. أما الخلط بين معنى العادة وبين معنى السنّة، فإنه تحريف له أسباب سياسية محض:

فالسنن الحقيقية للرسول عليه السلام، تمثلت في دعوته إلى الجهاد المسلح ضد الظلم والاستغلال وسيطرة الأسر الحاكمة، وأكل أموال الأرامل واليتامى، ومصادرة حرية المرأة، وتدجين الناس بالقوة والحيلة. وفي دول تحكمها الأسر الإقطاعية بالحديد والنار، يكون من [التقوى] أن تعمل على تغييب هذه السنن الخطرة، وراء دعوة بريئة إلى الختان وإطلاق اللحية ونحر الخرفان، تحت شعار الحفاظ على السنة النبوية بالذات.

الفصل الرابع

المسلمة

الفصل الرابع

المسلمة لاجئة سياسية(*)

■ من شجار في غرفة إلى حرب دولية

بعد تردد دام أكثر من سنتين، أصدرت حكومة كندا قراراً بضم المرأة المسلمة إلى خانة الفئات المضطهدة التي يخول الدستور منحها حق اللجوء السياسي. وقد بدأ تطبيق القرار فعلاً، بمنح هذا الحق لسيدة سعودية، كانت قد دخلت كندا «هاربة من دين الإسلام الذي صادر حريتها، وجعل حياتها جحيماً لا يطاق». وإذا لم تنجح الضغوط في حمل كندا على إلغاء هذا القرار بسرعة، فمن المتوقع أن تهرب معظم النساء المسلمات، من معظم

وقعت باسم جميع الأديان في جميع العصور. وعرفها تاريخ اليهودية والمسيحية والإسلام على حد سواء. ولم يوضع لها حد في حضارة الغربيين المعاصرة، بإلغاء نصوص الشريعة، بل بضرب نظم الإقطاع خلال حروب أهلية واسعة النطاق.

والملاحظ، أن ظاهرة اضطهاد المرأة، استندت شرعياً إلى قول التوراة بأن حواء أغوت آدم بأكل الثمرة المحرمة، واستحقت بذلك لعنة الرب الذي ألزمها بالخضوع لسلطة الرجل قائلاً:

[إلى رجلك يكون اشتياقك، وهو يسود عليك][1].

هذه التهمة لم يوردها القرآن، بل أنكرها، ورفض اعتمادها معلناً مساواة المرأة بالرجل في نصوص صريحة، يرددها الفقهاء دائماً من باب الفخر بـ«روح الإسلام التقدمية». لكن تعاليم الفقه الإسلامي نفسه، لا تعكس شيئاً من هذه الروح، بل تعكس أقوال التوراة، في شهادة واضحة، على أن مصادرة حرية المرأة، هدف سياسي، يتكفل رجل الدين بتحقيقه في أي نظام اقطاعي، بغض النظر عما يقوله الدين أو لا يقوله.

ومثلاً: استبعاد صوت المرأة من قضايا التشريع والفتوى، وإقصاؤها عن تولي المناصب الدينية بالذات، وترويج أحاديث رجالية مريبة من طراز: «خاب قوم ولّوا أمرهم امرأة»، هي تقاليد فقهية ليس لها مصدر قرآني واحد، ولا يمكن تفسيرها إلاّ في ضوء رسائل بولس الذي يقول:

> [لست آذن للمرأة أن تُعلّم، ولا تتسلط على الرجل، بل تكون في سكوت. لأن آدم جبل أولاً ثم حواء. وآدم لم يُغوَ، لكن المرأة أُغويت][٢].

وفي مكان آخر:

> [لتصمت نساؤكم في الكنائس، لأنه ليس مأذوناً لهن أن يتكلمن، بل يخضعن كما يقول الناموس أيضاً. ولكن إن أردن أن يتعلمن شيئاً، فليسألن رجالهن في البيت، لأنه قبيح بالنساء أن يتكلمن في كنيسة][٣].

وبموجب هذه الوصايا التي استمدها بولس من ناموس التوراة، حرمت المرأة المسلمة ـ شرعاً ـ من حق المشاركة في «مسائل الدين»، وتمّ إقصاؤها عن ميدان التشريع الذي سخره الفقهاء لخدمة

وظيفة الزي الذي تحدده ظروف البيئة والمناخ، وبين وظيفة الحجاب الذي اختلقته نظرية التوراة حول خطيئة المرأة.

فقول القرآن: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين، يدنين عليهن من جلابيبهن﴾(٤)، ليس أمراً لجميع النساء في جميع العصور، بأن يلبسن الجلابيب، ولا يستقيم تفسير النص على هذا النحو، إلاّ في منهج فقيه بدوي من أهل القرن السابع الميلادي، يريد أن يفرض جلباب والدته على مسيرة الحضارة باسم الله والإسلام. أما في ما عدا ذلك، فإن الآية تتوجه بوضوح لنهي المرأة عن تسخير ثيابها في أغراض التبرج. وهي فكرة لا علاقة لها بالحجاب، ولا تلزم المرأة بزي معين، بل تلزمها بأن تتحرر من عقدة الجارية، وتكف عن اعتبار نفسها مجرد سلعة جنسية. ولهذا السبب، جاء في تكملة الآية قوله: ﴿ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين﴾(٥)، لأن تسخير الثياب لخدمة العري والتبرج، علامة صريحة على تعمد الإثارة ولفت النظر.

والثابت، أن تفسير القرآن بمعزل عن ظروف البيئة التي نزل فيها، منهج من شأنه أن يغفل أهم شروط التفسير. فالمجتمع العربي في

الحلق = أقراط في الأذنين.

الأساور = حلقات حول المعصم.

السلاسل = خيوط فضية أو ذهبية لشد الثياب حول الإبطين.

المناطق = أحزمة حول الخصر.

الخزائم = حلقات في فتحة الأنف.

حناجر الشمامات = علب العطور والطيب.

الخواتم = فصوص من الماس والأحجار الكريمة.

الأحراز = أغلفة مزينة بالنقوش، تحفظ فيها الأحجبة والتعاويذ.

■ ٢ ـ الثياب

العصائب = مناديل مزينة حول الرأس.

الضفائر = أشرطة من الحرير الملون لتزيين الشعر.

البراقع = خمار ينسدل على الصدر والكتفين، مثل براقع الراهبات.

الشريعة في كل البيئات، وفي كل العصور: إنها مخلوق له ظروف محلية جداً، صنعها رجل إقطاعي على هواه. واستخدمها استخدامه لصندوق لحفظ ثروته في شكل المصاغ الذي «تتزين» به، من قمة رأسها إلى قدميها. وعلمها أن تكون جارية، وأن تعتنق عقيدة الجواري، من قبول وصاية الرجل على لقمة عيشها، إلى تسخير جسدها لمتعته بافتعال الدلال والغنج في كلامها ومشيتها معاً، خلال عصور تميزت باعتبار الدعارة جزءاً من الدين نفسه. وعند بداية الألف الثانية قبل الميلاد، كانت المرأة قد فقدت ـ في ذاكرة الكاهن ـ صفة الأم والأخت والبنت والجدة، وأصبحت مجرد «أنثى في خدمة شيطان الغرائز»، وكانت التوراة تستعد لتسجيل هذه الحقيقة على لسان الرب شخصياً. إن تفسير القرآن بمعزل عن واقع المرأة في هذه البيئة المعقدة، هو المنهج الاحتيالي الذي قاد الفقه إلى كارثة.

فالقرآن لا يخاطب المرأة في كل المجتمعات، وفي كل العصور، بل يخاطب الجارية التي صنعها الإقطاع بمعونة من تعاليم التوراة ووصايا رسل المسيح. إنه نص لا يستقيم فهمه، إلا في إطار مهمته

يسمح للمرأة أن تبدي وجهها وكفّي يديها، وثمة من يتساهل في إبداء القدمين أيضاً، فيما يصر المتطرفون على أن الآية تطالب بإخفاء المرأة عن العيون، مرة واحدة، ومن دون تفاصيل.

هذا النص في الواقع، هو مجرد تعديل لنص إنجيلي يحرم الزينة من أساسها، ويمنع المرأة من استخدام ضفائر الشعر والتزين بالحلي. وهو قول بولس الرسول: [النساء يزين ذواتهن بلباس الحشمة مع ورع وتعقل، لا بضفائر أو ذهب أو لآليء أو ملابس كثيرة الثمن]. وعلى لسان بطرس: [لا تكن زينتكن الزينة الخارجية من ضفر الشعر والتحلي بالذهب ولبس الثياب]. فالقرآن يتوجه لتعديل هذا النص، بما يكفي لإلغاء وصاية الكنيسة على جسد المرأة. وقد أباح لها أن تبدي وجهها وكفي يديها وقدميها، وهي مواقع الزينة الظاهرة للعيان، من الكحل وأحمر الشفاه وتخطيط الحواجب، إلى طلاء الأظافر والحناء. وأكثر من ذلك، فإن قوله: ﴿إلاّ ما ظهر منها﴾[٧]، هو استثناء مفتوح لا يعني ما ظهر من الجلباب فقط، بل يشمل كل ما ظهر من أي ثياب ترتديها المرأة لأداء نشاطاتها اليومية مثل ملابس السباحة والرياضة والعمل.

تفسير القرآن بمعزل عن بقية الكتب المقدسة. فالواقع أن النص المذكور يتوجه لتعديل موقف التوراة والإنجيل من حيث علاقة الرجل بالمرأة كما تحدده نصوص كثيرة، منها قول بطرس:

[أيتها النساء كن خاضعات لرجالكن، كما كانت سارة تطيع إبراهيم داعية إياه سيدها][٩].

وعلى لسان بولس:

[أيتها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب: لأن الرجل هو رأس المرأة][١٠].

وفي مكان آخر:

[كما تخضع الكنيسة للمسيح، كذلك النساء لرجالهن في كل شيء..][١١].

وعلى لسان الرب شخصياً:

[لرجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك..][١٢].

فالقرآن يستبدل قوله: ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم...﴾[١٣]. بكلمات مثل:

ومثلاً: قول القرآن ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾[١٤]، هو نص يعتمده الفقه في إلزام المرأة المسلمة بتغطية وجهها، رغم أن النص نفسه لا يذكر [الوجه]، بل يذكر [الجيب]، أي منطقة الصدر والثديين. وهي منطقة يغطيها الزي المألوف بصورة تلقائية، ولا تنكشف أصلاً إلاّ إذا تعمدت المرأة أن تعريها عن قصد، مما يعني أن القرآن لا يطلب من المرأة أن تلتزم بزي معين، بل ينهاها عن العبث بأي زي تلبسه، لمجرد التبرج ولفت الأنظار.

أما لماذا اختار الفقه الإسلامي أن يخالف نص القرآن، ويتوجه لإلزام المرأة بتغطية وجهها، فذلك أمر مرده إلى أن تغطية الوجه تشل حركة المرأة كلياً، وتعوقها عن أداء أي عمل خارج البيت، مما يسلبها حقها في الكسب شرعاً، ويعيدها إلى خانة الجارية التي كان بولس الرسول قد حددها لكل الشابات بقوله: [يتزوجن ويلدن أولاداً ويدبرن البيوت].

ومثلاً: قول القرآن: ﴿واللاتي تخافون نشوزهن، فعظوهن، واهجروهن في المضاجع واضربوهن...﴾[١٥]، هو نص يسخره

والمرعى. ومنه عزب الرجل عن أهله، أي غاب عنهم. والمعزبة ـ كالعازبة ـ هي المرأة التي هجرها زوجها من دون طلاق. فالنص القرآني لا يوصي بضرب المرأة، كما توحي القراءة المغلوطة، بل يتقدم بثلاثة حلول لمشكلة النشوز؛ الأولى، إسداء النصح للمرأة، والثانية هجرانها في الفراش، والثالثة الانفصال عنها من دون طلاق، ريثما تتضح تفاصيل الموقف. وهي الحلول التي تتبناها قوانين الزواج حالياً في كل المجتمعات ذات القضاء المدني.

أما كيف تحولت كلمة [اعزبوهن] إلى [اضربوهن] فذلك أمر يسأل عنه فقيه مريب، يتعمد أن يتجاهل كل توصيات القرآن بأن يسود المعروف في علاقة الرجل بالمرأة حتى خلال الطلاق كما في قوله: ﴿الطلاق مرتان، فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾[١٦]؛ وفي مكان آخر: ﴿وإذا طلقتم النساء، فبلغن أجلهن، فامسكوهن بمعروف، أو سرحوهن بمعروف، ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه﴾[١٧]. والواقع أن أحداً لا يعرف كيف يدخل ضرب المرأة في باب المعروف، من دون شريعة التوراة التي تعتبرها «أخت الشيطان الخبيثة القلب الصخابة الجامحة»، أو: [أمرّ

> يتيسر لها هذه الأخرى في عالم الزواج المعلن الشريف، وجدتها في عالم الدعارة على نحو من الأنحاء. وبذلك يتفزع المجتمع..».

والواضح من هذا التبرير، أنه يريد أن يسخر الشريعة لخدمة «طبائع غير عادية في الرجال»، مما يلغي مهمة الشريعة من أساسها. بالإضافة إلى أنه يتجاهل أن «الطبائع غير العادية» توجد أيضاً عند النساء. وأن الإسلام قد غفل عنها على أي حال. والواقع أن مثل هذه التبريرات المرتكبة، مجرد نموذج للمنهج المقلوب الذي تورط فيه الفقه بإصراره على تفسير القرآن، بمعزل عن بقية الكتب المقدسة.

فشريعة تعدد الزوجات، ليس مصدرها القرآن، بل مصدرها التوراة التي تقدمت بالمبرر الديني لاعتبار المرأة مجرد متاع مسخر لمتعة الرجل. وعمدت إلى تسجيل هذه الشريعة على لسان الرب شخصياً في متن الكتاب المقدس. وعندما جاء القرآن، كان الرجل «تحته العشر أو الثماني من الأزواج، لا يبالي أن يعدل بينهن». وكان الأحبار يتلون على مسمعه قصصاً مشوقة عن أعداد النساء

وفي سِفر التثنية:

[إذا كان لرجل امرأتان..]. وقبل ذلك: [إذا خرجت لمحاربة أعدائك، وسبيت منهم سبياً، ورأيت في السبي امرأة جميلة الصورة والتصقت بها..] وفي الإصحاح الخامس والعشرين: [إذا سكن أخوة معاً ومات واحد منهم، وليس له ابن، فلا تصر امرأة الميت إلى خارج لرجل أجنبي. أخو زوجها يدخل عليها ويتخذها لنفسه زوجة]. وفي سِفر التكوين بشأن يعقوب: [ثم قام في تلك الليلة وأخذ امرأتيه وجاريتيه..].

والواضح من هذه النصوص، أن تعدد الزوجات والتسري بالجواري، شريعة يهودية عرفها المجتمع العربي قبل الإسلام وبعده ولم يعتمدها القرآن إلاّ من باب احتواء الواقع الذي فرضته ظروف الاقتصاد والثقافة في عالم القرن السابع الميلادي. وإذا كان تعدد الزوجات يبدو الآن مقتصراً على المسلمين وحدهم، فذلك أمر مرده إلى أن اليهود أبطلوا العمل بهذه الشريعة، منذ القرن العاشر للميلاد، بسبب اضطرارهم للعيش في مجتمعات مسيحية، تحرم الزواج بأكثر من امرأة واحدة، فيما توجهت إسرائيل الحديثة إلى

وارجموهما بالحجارة حتى يموتا: الفتاة لأجل أنها لا تصرخ. والرجل لأجل أنه أذل امرأة صاحبه][20].

وهو قانون من شأنه أن يدفع جميع نساء كندا إلى الهروب نحو السعودية.

إن الإسلام لا يضطهد المرأة، بل الإقطاع هو الذي يضطهد الإسلام، ويشوه سمعته، ويربطه بنظمه البدائية، ويحيله من دستور لضمان صوت الناس في التشريع والإدارة، إلى فلسفة غيبية، لا هم لها سوى زخرفة الكلام، وتقديم المبررات لحاكم غير شرعي، لكي يسرق المال، ويستعبد الرجال، ويسبي «ربات الحجال»، بالحلال، بالحلال بالحلال.

الردود

على الفصل الرابع

الرد الأول

أين الشرف العلمي(*)

جورج مسوح
لبنان

مقالة الأستاذ الصادق النيهوم «المسلمة لاجئة سياسية»[1] المنشورة في مجلة «الناقد»، فيها الكثير من التجني على الفكر المسيحي عموماً والرسول بولس خصوصاً، وذلك في ما يخص النظرة المسيحية إلى المرأة ومكانتها في المجتمع.

يبدو أن الأستاذ النيهوم مطلع على رسائل القديس بولس، ولكنه يستشهد به دعماً لموقف له مسبق، باتراً بعض الآيات عن السياق الواردة فيه مشوهاً معناها الأساسي الذي أراده كاتب النص ليؤوله حسب مزاجه.

[الرجل لا ينبغي أن يغطي رأسه لكونه صورة الله ومجده. وأما المرأة فهي مجد الرجل]»[٢].

ويتجاهل الأستاذ النيهوم إكمال النص الذي يقول:

«إلاّ أنه لا تكون المرأة بلا الرجل عند الرب ولا الرجل بلا المرأة، فكما أن المرأة استلّت من الرجل، فكذلك الرجل تلده المرأة، وكل شيء يأتي من الله. فاحكموا أنتم بهذا: أيليق بالمرأة أن تصلي وهي مكشوفة الرأس؟ أما تعلمكم الطبيعة نفسها أنه من العار على الرجل أن يُعفي شعره، على حين أنه من الفخر للمرأة أن تُعفي شعرها؟ لأن الشعر جُعل غطاء لرأسها»[٣].

يتضح لنا من قراءة النص أن تغطية المرأة لرأسها عادة اجتماعية كانت سائدة في المجتمع القديم. ونفهم من خلال تساؤل الرسول بولس: «أيليق بالمرأة أن تصلّي وهي مكشوفة الرأس؟» أن عادة تغطية المرأة لرأسها كانت معروفة في مدينة كورنثوس الموجهة إلى مؤمنيها هذه الرسالة.

الأستاذ النيهوم نفسه يُدخل البعد الاجتماعي للبيئة العربية في زمن النبي عندما يقول: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء

التي يعاني منها مجتمعنا العربي في غير موقعها الصحيح. هنالك مثل لبناني يقول: «كل البورة من النصراني» والأستاذ النيهوم يريد تطبيق هذا المثل على الرسول بولس ليحل كل مشاكل المرأة في العالم العربي.

ينسب الصادق النيهوم إلى الرسول بولس تهمة الإيحاء إلى الفقهاء باضطهاد المرأة المسلمة عندما يقول: «إن الرجل رأس المرأة» ولكنه يتجاهل بقية الآية التي تكمل:

> «كما أن المسيح رأس الكنيسة التي هي جسده وهو مخلصها»(٥).

ويُسقط الأستاذ النيهوم أيضاً بقية النص الذي وردت فيه هذه الآية حيث يعلّم الرسول بولس كيف يجب على الرجل معاملة امرأته:

> «أيها الرجال، أحبوا نساءكم كما أحب المسيح الكنيسة وبذل نفسه من أجلها... كذلك يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم حبهم لأجسادهم. من أحب امرأته أحب نفسه... ولذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلزم امرأته فيصير الاثنان جسداً واحداً... فكذلك أنتم أيضاً فليحب كل منكم امرأته حبه لنفسه ولتوقر

يتابع النيهوم منتقداً كلمات «أخضعن، ويسود عليك، والرجل رأس المرأة»، الواردة في رسائل بولس ثم يستشهد بسورة النساء التي تقول: ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً﴾[٧]، علماً أن الأستاذ النيهوم قد استشهد بنصف هذه الآية مسقطاً النصف الذي يتكلم عن الضرب، ليصل إلى القول إن هذه الآية القرآنية أفضل من كلام الرسول بولس وضرب الرجل للمرأة أفضل، بالنسبة إلى النيهوم، من بذل الرجل نفسه لامرأته. هنيئاً لكُنَّ أيتها النساء العربيات!

يقول الحديث الشريف: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (صلعم) قال: «لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»، رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح. أريد أن أسأل الأستاذ النيهوم رأيه في هذا الحديث الذي يُطلب فيه من المرأة السجود؟ الرسول بولس تكلم عن خضوع المرأة لرجلها لكنه

أي كاتب مسيحي، بالعكس المرأة إذا كانت مؤمنة قد تكون سبب خلاص زوجها:

> «وإذا كان لامرأة زوج غير مؤمن ارتضى أن يساكنها، فلا تتخلَّ عن زوجها، لأن الزوج غير المؤمن يتقدس بامرأته، والمرأة المؤمنة تتقدس بالزوج المؤمن»[٨].

قبل أن أترك هذه النقطة، لا بد لي من الإشارة إلى أن الصادق النيهوم قد أورد، في مكان آخر من المقالة، قول القرآن في سورة النساء عن ضرب المرأة ولكن ليجعل من كلمة «اضربوهن» «اعزبوهن». وكانت حجته «أن حرف العين في الآرامي يشبه حرف الضاد والراء كالزين». لا أدري من أين قد اكتشف الكاتب هذه الكلمة التي بقيت أربعة عشر قرناً مخفية، حيث لا نجد هذه القراءة عند كل المفسرين القدماء. هناك مشكلة تعترض المفكرين المسلمين عندما يتعاطون مع القرآن، تراهم يعتبرون القرآن كلام الله غير المخلوق إذا كان ذلك يناسبهم، وتراهم يغيرون بعض الكلمات القرآنية عندما يخالف ذلك تفكيرهم.

هنا إن حرف العين في «على» يختلف عن الضاد في كلمة «الأرض». في الصورة الثانية التي تمثل مقطعاً من القرآن، سورة النور، ٣٢ ـ ٤٥ نقرأ في السطرين الرابع عشر والخامس عشر: ﴿... قبلكم وموعظة للمتقين الله نور السموات والأرض...﴾ واضح جداً هنا أن حرف العين في كلمة «موعظة» لا يشبه حرف الضاد في كلمة «الأرض». إذاً، نظرية الأستاذ النيهوم غير قائمة على معطيات علمية صحيحة.

في نهاية مقالته يتحفنا الأستاذ النيهوم بهذه الخلاصة:

> فلو كانت الشرائع تضطهد أحداً، لانقرضت المرأة المسيحية، تحت وطأة اللعن المستمر من نصوص التوراة والإنجيل معاً، اللذين لا يدخران وسعاً في الدعوة إلى قتلها رجماً بالحجارة لأي سبب كان، حتى لو تعرضت للاغتصاب».

أريد أن أسأل كاتب هذا النص في أي مقطع إنجيلي وجد أن المرأة تستحق الرجم في حالة الزنى؟ أؤكد له أن لا وجود لهذا لا في الأناجيل الأربعة وفي الرسائل ولا في رؤيا يوحنا. في أي إنجيل ورد ذكر رجم الزاني والزانية؟

> رب». فقال لها يسوع: «وأنا لا أحكم عليك. اذهبي ولا تعودي بعد الآن إلى الخطيئة»[٩].

عف السيد المسيح عن المرأة الزانية ولكنه نبهها إلى عدم العودة إلى الخطيئة. بهذا الحكم يكون المسيح قد نسخ الشريعة الموسوية التي تحكم برجم الزانية. الحكم الأقسى الذي يمكن أن يقع في المسيحية على رجل أو امرأة ضبطاً في حالة الزنى هو الفرز من الجماعة والطلاق، يقول الرسول بولس:

> «كتبت إليكم ألا تخالطوا من يدعى أخاً وهو زانٍ أو جشعٌ أو عابدٌ أو ثانٍ أو شتّامٌ أو سكير أو سرّاق. بل لا تؤاكلوا مثل هذا الرجل... أزيلوا الفاسد من بينكم»[١٠].

هذه توصية إلى المؤمنين بعدم مخالطة الزناة وغيرهم وليست حكماً بالرجم أو ما شابه.

أتساءل لماذا أغفل الأستاذ النهيوم الحديث النبوي الذي يحكم على المرأة الزانية بالرجم؟ نقرأ في «صحيح مسلم» في باب «حد الزنى» ما يلي:

> «حدّثني أبو الطاهر وحرملة بن يحيى قالا حدّثنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب قال أخبرني عبيد الله بن عبد الله

هنا نرى أن أحاديث نبوية نسخت آية قرآنية: ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾[١١]. لقد اعتمد الفقهاء على أحاديث نبوية شريفة صحيحة، أحدها منقول على لسان أحد الخلفاء الراشدين الفاروق عمر بن الخطاب، لكي يفرضوا حد الرجم على الزاني والزانية. ولم يرجع هؤلاء الفقهاء إلى نصوص الأناجيل أو رسائل القديس بولس كما يحب أن يوحي بذلك الأستاذ النيهوم.

شريعة موسى تُنسخ قبل مجيء نبي الإسلام بستة قرون الذي يرجع فيتبناها، حتى يأتي الصادق النيهوم في نهاية القرن العشرين فيتهم المسيحية بما ليس عندها.

مشكلة الأستاذ النيهوم تكمن في أنه لا يريد أن يواجه النصوص الإسلامية ويحللها وفق منظار النقد التاريخي. إنه يطلق الاتهامات يميناً ويساراً ليبرىء الإسلام من آراء تبناها منذ انطلاقته، يتهم الرسول بولس بأنه الآفة التي بسببها ما زال الإسلام قابعاً في القرون الوسطى. إن الصادق النيهوم كالنعامة التي، بدل أن تواجه

الرد الثاني

معنى «اضربوهن»(*)

مها علي
سورية

قرأت مقالة السيد الصادق النيهوم «المسلمة لاجئة سياسية»[1]. إن نشر مقالة كهذه هو أمر هام ومفيد جداً، وخاصة للمسلمين الذين لا بد من أن يستفيدوا من هذه المقالة في إعادة النظر إلى كثير من التفاسير الخاطئة التي اكتسبوها عبر العصور ومن قبل أن يظهر الإسلام، والتي أثرت وما زالت تؤثر على فهمهم للقرآن وللشريعة الإسلامية. وأود أن أتناول جانباً بسيطاً من هذه المقالة لأزيده وضوحاً، وذلك لأن الكاتب لم يعطه حقه من التفسير والتوضيح، وهو تفسير كلمة «اضربوهن» وتمنيت

لنوضح أولاً معنى كلمة الضرب: فعل ضرب في اللسان العربي له أصل واحد ثم يستعار ويحمل عليه. وأول معنى محمول عليه هو الضرب في الأرض بغرض العمل والسفر كقوله تعالى:

﴿يا أيها اللذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا...﴾[٢]، أي إذا خرجتم في سبيل الله.

﴿إذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة﴾[٣]، أي بمعنى السفر.

﴿إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت﴾[٤].

والمعنى الثاني المحمول هو الصيغة والصياغة كقوله تعالى:

﴿وضربنا لكم الأمثال﴾[٥]، وقوله: ﴿وكلاً ضربنا له الأمثال﴾[٦]، أي على مثال ما سواه ومن هنا جاء ضرب المثل.

ـ ويقال الضريبة وهي ما يضرب على الإنسان من مال مقابل الربح أو الخدمة التي تؤديها له الدولة.

ـ ويقال ضرب فلان على يد فلان: إذا حجر عليه. ومنها جاء

الإجراءان خاصان جداً أي دون العلن، ثم يأتي الحل الثالث وهو «اضربوهن» ففعل «ضرب» يحمل عليه كقوله تعالى: «وضرب الله مثلاً» وليس بمعنى الضرب المتعارف عليه، وذلك لأنه عندما نقول ضرب نحمل عليه مباشرة فنقول الضرب على الوجه هو من فعل صك كقوله تعالى: ﴿فأقبلت امرأته في صرةٍ فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم﴾[٨]. وعندما يكون الضرب على الخد، نستعمل فعل لطم. وعندما يكون الضرب على القفا، نستعمل فعل صفع. وعندما يكون الضرب بالرجل، نستعمل فعل ركل، رفس. وعندما قتل موسى الرجل قال تعالى: ﴿فوكزه موسى فقضى عليه﴾[٩]. ولم يقل ضربه.

ونستعمل الكلمة من الناحية الاقتصادية فنقول ضرب الأسعار، ومنه جاءت المضاربة. ونقول ضربت الدولة المتلاعبين بالأسعار أي اتخذت منهم موقفاً حازماً ومنعتهم من المضاربة.

وهنا نفهم معنى «واضربوهن» أي عندما لا تفيد الموعظة والهجر في المضاجع فيأتي الحل العلني وهو: اتخاذ الموقف الحازم العلني من الرجل تجاه المرأة أو من المرأة تجاه الرجل، بحيث ينزع أحدهما الآخر

الدين لم ينصف المرأة[*]

محمد الخضر
سورية

لقد جاء في مقالة الصادق النيهوم «المسلمة لاجئة سياسية»[1]: القول بأن الإسلام يضطهد المرأة مغالطة لا طائل من ورائها سوى تبرئة الإقطاع من هذه الجريمة بالذات».

لماذا الرقص على الحبال؟

لماذا التلطي بين السطور؟

لقد درج «المنورون» الإسلاميون على التشدد في الدفاع عن مدنية

لعصر تاريخي معين والإسلام ليس كذلك؟ إن الصادق النيهوم يطالبنا بقراءة التاريخ المجتمعي وقت حدوث النص وهذا شيء جميل.

إذا كان المجتمع الأبوي «البدوي شبه الإقطاعي، شبه العبودي» هو المهيمن على الجزيرة العربية، فكيف يمكن لأي أيديولوجية دينية أو غير دينية أن تنصف المرأة؟؟؟

للإجابة على هذا التساؤل إما أن نعترف بأن الإسلام كباقي الديانات مرتبط بتاريخه، وبالتالي كل ما شرع للمرأة فهو ومن منطق التاريخ المجتمعي «منطقي وموضوعي» ويسلب المرأة ليس حريتها فقط بل كل شيء. وإما أن نعترف بأن الإسلام مختلف عن باقي الديانات أي «لاّ تاريخي» كلي مطلق. صحيح منذ الأزل وإلى الأبد... ولا يمكن إلاّ الأخذ به وبكل ما بشّر به. فلماذا هذه الضجة إذا!!؟ إن النص يضطهد المرأة «قبل أن نتحدث عن جسدها وزينتها».

كيف سيفسر لنا النيهوم أن شهادة رجل أياً كان تساوي شهادة

التعقيب الأول

معلومات ناقصة(*)

- ١ -

السيد جورج مسوح

تقول:

«أريد أن أسأل كاتب هذا النص في أي مقطع إنجيلي وجد أن المرأة تستحق الرجم في حالة الزنى؟».

وأنا أجيبك، في الإصحاح الثاني والعشرين من سِفر التثنية الذي يقول:

[إذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل، فوجدها رجل في المدينة،

إلى وقت قريب نسبياً. فقد ظلت بريطانيا مثلاً تعاقب على تهمة الزنى بالإعدام حتى عصر كرمويل على الأقل.

- ٢ -

أنت تورد أقوال الرسول بولس زاعماً أن «الحكم الأقسى الذي يمكن أن يقع في المسيحية على رجل أو امرأة ضبطا في حالة الزنى هو الفرز من الجماعة والطلاق...». وهو قول يخالف وقائع التاريخ الموثق، ويخالف أيضاً وصايا الرسول بولس الذي يقول في الحكم على الزاني:

> «أن يسلَّم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد لكي تخلص الروح.. ألستم تعلمون أن خميرة صغيرة تخمر العجين كله. إذاً نقوا منكم الخميرة العتيقة لكي تكونوا عجيناً جديداً كما أنتم فطير. لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذبح لأجلنا..»[1].

وإذا كانت كلمات مثل: [هلاك الجسد، ويسلم للشيطان، ويذبح، ويرفع من وسطكم] لا تعني في قاموسك سوى «الفرز من الجماعة والطلاق» فأنت بحاجة إلى قاموس أكثر واقعية.

كتابة كلمة واحدة فيه أو تغيير قراءتها لأنها من المطلق ومحفوظة بالمطلق! أم إن الفيل يمكن أن يكون فراشة!!

إن النيهوم يريد أن يفهمنا أن القسم الأعظم من الفقه الإسلامي المتداول هو فقه يهودي أو مسخر لخدمة الإقطاع، وبالتالي «وكمنوّر» يرى إعادة قراءة وكتابة فقه جديد، ليس يهودياً ولا إقطاعياً بل شوري شعبي ـ ديموقراطي ـ عظيم... إلخ.

نقول له: إن الثورة البرجوازية في أوروبا التي أطاحت بالفقه البولُسي (الرسول بولس) وحررت المرأة حقوقياً، لم تعِد كتابة الفقه المسيحي بل وضعت هذا الفقه جانباً. لقد اندلع النضال البطولي ضد هذا الفقه من مفكري عصر التنوير والعقل الأوروبي أمثال «كوبرنيكوس ونيوتن وديكارت وفوير باخ وسبينوزا». ولم ينطلق من لوثر أو كالفن اللذين طاردا الشيطان والسحرة «المرأة» أكثر من الكنيسة البولُسية.

نقول للنيهوم: إن ما نحتاج إليه ليس فقهاً جديداً ولا إعادة تأويل وتفسير، فدع المؤمنين على إيمانهم.

تعقيب المؤلف
على الفصل الرابع

«النساء حبائل الشيطان». والثابت، أن علم الحديث ـ رغم جانبه الإيجابي المتمثل في حفظ كنوز من الحكمة النبوية ـ قد فتح الباب أمام كل ما هبّ ودبّ لكي يستغل اسم رسول الله عليه السلام في خدمة أغراض شخصية ـ وأحياناً رخيصة ـ وغير أخلاقية. فبائع الخواتم مثلاً يروي عنه أنه قال: «تختموا بالعقيق فإنه ينفي الفقر». وبائع التمر يروي عنه قوله: «من تصبّح كل يوم بسبع تمرات عجوة، لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر». أما الحلاق فإنه يختار أن يروي عنه قوله: «جز الشعر يزيد في الجماع».

وبشأن شريعة الرجم. فالمعروف أن القرآن أبطلها بنص صريح هو قوله: ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾[٢]، بالإضافة إلى نص آخر في معاملة البغايا يقول: ﴿واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم، فاستشهدوا عليهن أربعة منكم، فإن شهدوا فامسكوهن في البيوت﴾[٣].

لكن هذه الشريعة القرآنية، لم ترُق لرواة الحديث، فاحتسبوها مما نسخ حكمه وبقيت تلاوته، ثم عمدوا إلى اختراع آية غير موجودة

عليه آية الرجم. فقرأناها ووعيناها وعقلناها. ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده. فأخشى إن طال بالناس زمان، أن يقول قائل: لا نجد آية الرجم في كتاب الله. فيضلوا بترك فريضة قد أنزلها الله، فالرجم في كتاب الله حق... إلخ».

أما لماذا سقطت هذه الآية من القرآن الحالي، فذلك أمر يفسره حديث آخر، عن السيدة عائشة، إذ قالت:

«لقد نزلت آية الرجم... وكانت في ورقة تحت سريري. فلما اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلّم ـ تقصد مرض ـ تشاغلنا بأمره، فأكلتها ربية لنا» أي أكلتها نعجة.

لهذا السبب ـ يا سيد مسوح ـ تراني أغفل الحديث، وأدعو الناس إلى إغفاله، مستجيباً لقاعدة علم الحديث نفسه الذي يروي عن الرسول قوله: «لا تكتبوا عني شيئاً إلاّ القرآن فمن كتب شيئاً فليمحه».

ـ ٤ ـ

بقي ردك على المقارنة بين كلمة (واضربوهن) وبين كلمة (واعزبوهن) وهو رد دعاك إلى كثير من التمحل والشطط. فالمقارنة

ليس هو شكلها، بل هو تناقضها الظاهر مع نصوص قرآنية صريحة لا يمكن تأويلها بأي وجه. وهي حقيقة يبدو أنك أردت أن تغفلها متعمداً، لكي تصل إلى القول بأنني «أطلق الاتهامات يميناً ويساراً لكي أبرىء الإسلام، واتهم الرسول بولس بموجب المثل اللبناني القائل: «كل البورة من النصراني!»». فلا تدع سوء الظن، يقودك إلى ظن السوء، لأنني لا أريد أن أبرىء أحداً، ولا أفرق بين دين وآخر، ولا أعتقد أن المقالة التي أشرت إليها تحتمل هذا الرد غير العادل من رجل متدين مثلك. فالموضوع برمته جاء لتحديد النصوص الدينية التي يمكن أن تبرر أحكام الفقه الإسلامي تجاه المرأة المسلمة. وهي نصوص ثبت بالفعل، أن مصدرها ليس القرآن، بل التوراة ورسائل القديس بولس شخصياً.

التعقيب الثاني

النظام الشرعي(*)

السيد محمد الخضر

تقول: [نحتاج إلى ثورة برجوازية على غرار ما حدث في أوروبا.. نحتاج إلى فصل الدين عن الدولة.. نحتاج إلى دولة علمانية]. وهي أمنيات طيبة جداً، لكن مشكلتها أنها لن تتحقق أبداً، ما دامت مجرد أمنيات. لهذا السبب تراني أضايقك بمحاولة البحث عن حلول عملية.

فالدعوة إلى تحرير الإسلام من وصاية الفقه، ليست فقهاً جديداً، بل دعوة إلى اكتشاف قاعدة الديمقراطية التي ولدت في شريعتنا

الرشاشات والقنابل، باسم المحافظة على الشريعة بالذات. وإذا نجحنا في اختراق هذه الجبهة، واستعدنا نظام [الجامع] من أسر [المسجد]، فإننا نستطيع أن نمنح مواطننا صوتاً دستورياً في الإشراف على أداة الحكم، ونضمن له حق الحوار في برلمان دائم الانعقاد، محرر من سلطة الدولة، يفتح أبوابه لكل مواطن وكل مواطنة، ويجمع أمتنا على اختلاف طوائفها تحت سقف بيت واحد، وشريعة سياسية واحدة، ويرتكز إليه أي إداري نختاره، من دون أن يتحول هذا النظام إلى سلام موجه ضدنا، في خدمة رأس المال أو الإقطاع أو العسكر.

العائق الرئيسي أمام تحقيق هذا الأمل، ليس هو أنظمة الحكم، بل هو مواطننا المسلم شخصياً الذي فقد قدرته على التفكير الحر بفعل عمليات غسيل المخ، وبات يعتقد فعلاً أن الإسلام هو أداء الشعائر على مذاهب الفقه، وأن غاية الشريعة هي أن تضمن له الجنة بعد الموت، وأن الدين «علم» لا يعرف أسراره سوى رجل الدين.

هذا المواطن يتعمد أن ينسى، أن الله لم يأمر بالعدل، حتى أمر ـ

الفصل الخامس

الطفل المسحور:

الفصل الخامس

الطفل المسحور:
وباء الأصولية والتعليم الديني(*)

كلمة «باحث إسلامي» التي شاع استخدامها منذ عصر سيد قطب، قد تكون لقباً أكثر بريقاً من لقب [ساحر]. لكنها في لغتنا العربية مجرد مرادف جديد، استعاره السحرة من قاموس العلم الحديث، من دون أدنى التزام بمنهج العلم نفسه، في محاولة صريحة، لتسويق بضاعة كاسدة تحت اسم أكثر تشويقاً.

الصفة المميزة لمثل هذا النوع من «الباحثين»، أنهم

وسيلة شرعية لتسليم ملايين الأطفال العرب، في عهدة فقيه جاهل، يتولى حشو أدمغتهم بمعلومات موجهة عمداً لشل عقل الطفل، وتدمير قدرته على التفكير المنطقي بالذات. فمشكلة النص الديني أنه لا يقدم «معارف»، بل يقدم «حقائق» لا مناص من قبولها، مهما بدت خارجة عن حدود العقل، من قصص الشياطين والمخلوقات النارية، إلى معجزات فلق البحر وإحياء الموتى والعروج في السماء على ظهور الخيول المجنحة. وهي معضلات يواجهها الكبار عادة بأنواع من التأويل أو الإنكار. أما الطفل فإنه لا يستطيع أن يؤولها، أو يجد لها حلاً آخر، سوى أن يلغي عقله فعلاً، ويروض نفسه على التعايش معها في الظلام.

في عتمة هذا الظلام الموحش، عاش «الباحث الإسلامي» المشار إليه، منقسماً على نفسه بين عصرين: فهو ـ من جهة ـ يعيش مثل معلمه الفقيه، في عصر السحر الذي يقوم على قاعدة مؤداها أن كلمات النص الديني، لها قوة سحرية كامنة في حروفها، تجعلها قادرة على تغيير سنن الطبيعة، ومهيأة ـ بالتالي ـ لتحقيق جميع ألوان

من جهة أخرى، كان «الباحث الإسلامي» يعيش شخصياً في عصر العلم التجريبي الذي لا يقدس المعرفة، ولا يعتبر الكتب الدينية مصدراً للعلم، ولا يعترف بمبدأ العصمة من الخطأ، ولا يعول على أقوال رجال الدين بالذات. وهو موقف لم يكن في وسع هذا «الباحث» أن يحتويه في عالمه المسحور، إلا بوسائل الخداع البصري، على عادة السحرة في إيجاد الحلول. بين هذين النقيضين، لم يكن في وسع «الباحث الإسلامي» أن يقدم للنص الديني خدمة أخرى، سوى أن يحيله إلى نوع غريب من «السحر العلمي» الذي لا يستمد شرعيته من موقعه كعقيدة مقدسة، بل من كونه علماً عصرياً مكتوباً بالشيفرة، يمكن إثبات نتائجه في ضوء العلم الحديث، بالتجربة والحساب. وهي فكرة تبدو دينية في الظاهر، لكنها في الواقع معادية جداً لمفهوم الدين.

أحد هؤلاء «الباحثين»، عمد إلى تسخير الحاسبات في إحصاء حروف القرآن وكلماته. وخرج بنتيجة «علمية» مؤداها:

ـ حروف البسملة تساوي ١٩ حرفاً. وهو الرقم الذي ورد في قوله تعالى: ﴿عليها تسعة عشر﴾[1].

ـ **الرقم ١٩** له هوية سرية في القرآن. فهو يساوي عدد كلمات سورة العلق. أول ما نزل من القرآن. ويساوي أيضاً عدد كلمات آخر آية. كما أن عدد الحروف في قوله: «إياك نعبد وإياك نستعين» يساوي ١٩ حرفاً. وكذلك في قوله: «اهدنا الصراط المستقيم».

وعند هذا الحد، يكون القارىء قد تلقى فحوى الرسالة، ووقف مذهولاً أمام حشد من «الحقائق العلمية» التي لا يستقيم تفسيرها إلا بالشك في جدوى العقل من أساسه. وهو موقف خرافي معقد يستطيع أن يشل قدرة الإنسان على المنطق، ويحيله إلى مخلوق غيبي تائه بين عوالم أسطورية مسحورة، إلا إذا شاءت الصدف، أن يعمد المرء إلى مراجعة أقوال «الباحث الإسلامي» على نص القرآن. إذ ذاك سيكتشف أن نتائج السيد الباحث، ليست حقائق، وليست علمية، بل مجرد حيل معدة عمداً لخداع الجمهور، مثل جميع حيل الحواة.

فمثلاً: كلمة [الشهر] لم ترد بهذه الصيغة ١٢ مرة، بل ٦ مرات

أضاف إليها كلمة [يوم] من دون أداة التعريف، متعمداً أن يهمل كلمة [يومئذ] التي تتكون في الواقع من كلمتي [يوم ذاك]. والطريف في الأمر أن الباحث نسي في غمرة حماسته أن السنة ذات الثلاثمائة وخمسة وستين يوماً، هي سنة التقويم الشمسي الذي لا يستخدمه القرآن أساساً[٢].

ومثلاً: لفظ [**الرحيم**] لم يتكرر بعدد سور القرآن، كما زعم الباحث، أي ١١٤ مرة. بل تكرر ١١٥ مرة. لكن السيد الباحث رأى أن يحذف الرقم الزائد، لمجرد أنه أفسد عليه لعبته الحسابية. وهي فكرة مريبة لا يقبلها علم الحساب بالذات، حتى من باب الهزل.

أما الزعم بأن **الرقم ١٩** له هوية سرية في القرآن، منها أن البسملة تتكون من ١٩ حرفاً، وكذلك قوله: «اهدنا الصراط المستقيم».. إلخ. فهو خطأ تورط فيه الباحث بسبب جهله بتاريخ الخطوط السامية. فالخط العربي المستمد من الخط النبطي، لم يستخدم الألف لكتابة الصائت الطويل في وسط الكلمة إلا في مرحلة

ولا يلتزم بمناهج العلم، لأن مهمته سحرية بحتة، وقائمة أساساً على تطويع الدين في خدمة السحر.

النوع الثاني من «الباحثين»، يسلك طريقاً أكثر التواء وأقل مراعاة لأبسط شروط البحث. إنه ينطلق من افتراض مؤداه أن القرآن ليس هو نص القرآن، بل هو الشيفرة السرية الكامنة بين السطور، التي تضم كل العلوم في كل الأزمنة، وتحوي كنوز المعارف المتاحة للجنس البشري في الماضي والحاضر والمستقبل. وهو افتراض مريب، لا يقول به القرآن نفسه، ولا يستند إلى مفهوم الدين، وليس ثمة ما يبرره سوى اعتقاد «الباحث»، أن النص المقدس . مثل الكنز المسحور . ثروة يسهل الحصول عليها، بقليل من الشطارة في فك الطلاسم والرموز.

فمثلاً: قول القرآن على لسان النبي يوسف: «يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين»، يفسره أحد «الباحثين» بقوله:

[القرآن يحدد أحد عشر كوكباً. ونحن نعرف تسعة كواكب

والأربعين: [فنزل عشرة من أخوة يوسف ليشتروا قمحاً من مصر. وأما بنيامين فلم يرسله يعقوب مع أخوته] (تكوين ٣)[٣].

مشكلة المنهج عند هذا النوع من «الباحثين»، أنه يرتكز إلى نظرية شعوبية، ليس ثمة ما يسندها سوى حاجة «الباحث» إلى دعم نتائجه مقدماً، بثلاث قواعد مختلقة، وغير بريئة من رذيلة التعصب الأعمى:

القاعدة الأولى: أن البشرية . قبل نزول القرآن . كانت مجرد قطيع من الهمج الذين لا همّ لهم سوى عبادة الأوثان وقتل بعضهم بعضاً في خدمة طغاة متألهين من طراز فرعون.

القاعدة الثانية: أن هذا المجتمع الشيطاني، لم يكن في وسعه أن يقدم لمسيرة الحضارة سوى الأساطير والخرافات. فلم يكن ثمة من يعرف شيئاً عن خلق الكون أو تطور الجنين في الرحم، أو شكل الأرض أو موقع المدار القمري بالنسبة إلى الشمس.

جعلناه نطفة في قرار مكين، ثم خلقنا النطفة علقة، فخلقنا العلقة مضغة، فخلقنا المضغة عظاماً، فكسونا العظام لحماً﴾[٤].

هذه الآيات تتحول على يد «الباحث الإسلامي» إلى كشف علمي صاعق، يستحيل صدوره عن معارف القرن الميلادي السابع، لأن أحداً في الأرض بأسرها، لم يكن يعلم شيئاً عن مراحل تطور الجنين في الرحم. وهو زعم خاطىء جملة وتفصيلاً. لأن علم الأجنة كان قد تطور إلى درجة عالية على يد خبراء التحنيط في مصر القديمة، فيما نشر أبيقور دراسات متخصصة في هذا الموضوع بالذات، منها كتابان، أحدهما بعنوان [طفل السبعة أشهر]، والآخر بعنوان [طفل التسعة أشهر] بالإضافة إلى مرشد للجراحين، عن [تفكيك الجنين في الرحم]. وقد شاعت هذه الأعمال بين أطباء الشرق الأوسط، منذ احتلال الإغريق للمنطقة خلال القرن الرابع قبل الميلاد. وكانت مكتبة الإسكندرية . التي ضمت حوالى نصف مليون مجلد . تحتوي على فرع خاص بعلم الأجنة وأمراض الحمل والولادة. والواقع أن النص القرآني لا يورد أية معلومات جديدة، بل يردد المعلومات المتوافرة في عصره، ومنها أن الجنين يوجد كاملاً في

> والأرض والشمس ما هي إلا أجرام كروية الشكل لها دورانها حول نفسها، ولها دورانها حول بعضها.. أليس ذلك أمر محزن!].

والمحزن فعلاً، أن المرء لا يعرف من هم العلماء والفلكيون الذين جرى إعدامهم، كما يزعم «الباحث». فالتاريخ لا يسجل إعدام عالم أو فلكي واحد بسبب ما قاله عن الشمس أو لم يقله. وإذا كان الباحث يشير إلى كوبرنيق، فقد مات هذا السيد على فراشه، وهو يحتضن أول طبعة من كتابه عن [حركة الأجرام السماوية] الذي كان قد أهداه للبابا بول الثالث شخصياً. أما جاليليو فإن أقسى حكم صدر ضده هو «حبسه» في بيت صديقه أسقف سيانا.

والواقع أن انعكاس ضوء الشمس على القمر لم يكن سراً علمياً، بل كان حقيقة شائعة جداً قبل نزول القرآن بألف سنة على الأقل. فمنذ القرن الخامس قبل الميلاد، كان أناكساغورس قد أعلن:

> [أن القمر ليس جسماً وهاجاً بل كوكب يستمد نوره من الشمس].

ومثلاً: يقول تعالى: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾[٧]. وهي آية

هي أنثى القرد. ولا أحد يعرف من أين استمد «الباحث الإسلامي» كلمة الدحية بمعنى البيضة[٩].

أكثر من ذلك، فإن كروية الأرض في عصر القرآن، لم تكن نظرية معروفة فحسب، بل كانت حقيقة علمية لا جدال فيها، وكان الفلكيون في أثينا والإسكندرية، قد قاسوا محيطها بفارق قدره مائتي ميل فقط عن القياس المعتمد الآن.

وموجز القول إن «الباحث الإسلامي» . رغم ما يدعيه من حب العلم والدين . ليس عالماً وليس متديناً، بل مجرد رجل مسحور، استفرد به معلمه الفقيه في سن مبكرة، بفضل نظام التعليم الإلزامي، فخلقه على هيئته، ونفخ فيه من روحه، وورطه في الفخ المميت نفسه الذي تورط فيه الفقه منذ زمن بعيد:

إن الخطيئة المشتركة بين الفقيه وبين «الباحث الإسلامي»، هي أن كليهما يخلط بين معنى [القدرة الإلهية] وبين معنى [القدرة السحرية]. وهو خلط خطير جداً، وموجه أساساً ضد العقل بالذات.

من هذا المنظور، يبدو من الواضح أن «الباحث الإسلامي» المغرم بتبيان «خوارق القرآن وأسراره الحسابية»، لا يوظف مواهبه في خدمة الدين بل في خدمة السحر. إنه لا يريد من قارئه أن يفهم شيئاً، بل يريده أن يقتنع بأن الأمر خارج عن حدود الفهم. فما دام الله نفسه قد عمد إلى خرق قوانين العقل، ودس في القرآن أسراراً لم يكن يعلمها أحد، فلا بد أنه إله لا يتقيد أصلاً بمنطق أو قانون. وهي مجرد صياغة أخرى لقولك إن الله «ساحر» لا يمكن إدراك أفعاله بالعقل.

فإذا وقع المحذور. وذهب القارىء وراء «الباحث الإسلامي» إلى هذا الحد، فإن ذلك لن يجعله قارئاً ورعاً، بل سيحيله إلى مخلوق مهووس، أطفأ نور عقله من دون أن يدري، وبات عليه أن يعيش في ظلمة أبدية، لا معالم فيها سوى أشباح الغيبوبة والسحر، وأساطير الفقه حول الجن والشياطين، والعروج في السماء على ظهور الخيول المجنحة. وهي نتيجة لا تؤدي إلى خلق حركة أصولية . كما يقال في الصحف الآن . بل تؤدي إلى ردة وثنية عامة، تتنكر

على كل أب أن يرسل أطفاله إلى مدارس الدولة بموجب نظام التعليم الإلزامي.

وما دام مجتمعنا يسمح لفقيه أمي أن يحشر نفسه بين [العلماء]، ويقول ما يشاء لمن يشاء باسم الله شخصياً.

وما دام الطفل لا يستطيع أن يفعل شيئاً تجاه ما يسمعه من أساطير الفقه، سوى أن يطوع نفسه للتعايش معها في الظلام.

فلا مفر من وقوع الكارثة. ولا مفر من أن يغرق مجتمعنا في موجة بعد موجة من خريجي هذه المدارس الذين تم تنويمهم من قبل أن يستيقظوا، وعهد إليهم بحمل مسؤولية الهدم والبناء، وهم عزل من كل سلاح، سوى سيف التعصب الأعمى في أيدي ملايين العميان.

الفصل السادس

مجازر معصومة:

الفصل السادس

مجازر معصومة:
أخطاء وأخطاء في نصوص مقدسة(*)

الفرق بين معنى [الخطأ] وبين معنى [الباطل]، أن أحدهما ظاهرة عابرة، تنجم عن نقص عابر في المعلومات. أما الآخر، فإنه تحريف عقائدي موجه عمداً ضد الإنسان ومجتمعه معاً. فإذا زعم أحد ما أن الأرض هي مركز الكون، فإن ذلك خطأ، يمكن إصلاحه بقليل من الحساب والصبر. أما إذا زعم، أن اليهود هم شعب الله المختار، فإن ذلك باطل لا

الأول: إن كلمة [الناموس] تعني جميع كتب العهدين القديم والجديد، من سفر التكوين إلى رؤيا يوحنا اللاهوتي، وهو تفسير يخرج كثيراً عما عناه السيد المسيح الذي كان يشير بكلمة [الناموس] إلى شريعة موسى فقط، وليس إلى تراث اليهود كله.

الثاني: إن كتب العهدين القديم والجديد، تندرج تحت اسم [الكتاب المقدس]، لأنها وحي إلهي معصوم من الخطأ، ومعصوم من الباطل، وغير قابل للنقد أو للتصحيح أو للمناقشة.

وهنا، في هذه النقطة بالذات، ورطت الكنيسة نفسها في منطقة الرمال الناعمة التي ظلت تجاهد للخروج منها عبثاً، منذ ألف سنة على الأقل. فالقول بأن شريعة موسى معصومة من الباطل، فكرة صحيحة بالضرورة، ما دامت هذه الشريعة تدعو إلى خير الإنسان ومجتمعه معاً. أما الزعم بأن معلومات اليهود عن التاريخ والطب والفلك، علم إلهي معصوم من الخطأ، فهو ادعاء من شأنه أن يغلق

المقدس نفسه، في استعراض واضح لمدى الخطأ الذي تورطت فيه الكنيسة، عندما اعتبرت حرفية النص، هي المرجع الوحيد لمعرفة الحق.

فالتوراة تعترف . نصاً . بحقيقة السحر. وتورد في شأنه مقاطع مطولة وصريحة وغير قابلة للتأويل، منها مباراة موسى مع سحرة فرعون التي شملت مسخ العصي إلى حيات، وإغراق مصر في الدم والظلام والضفادع، بالإضافة إلى فلق البحر الأحمر في أكبر عملية سحرية في التاريخ. ومنها عجائب[٢] النبي إيليا الذي سخر الغربان لكي [تأتيه بخبز ولحم صباحاً، وبخبز ولحم مساء][٣]. ثم أنزل صاعقة من السماء، أحرقت جميع كهنة بعل ملكارت. وحبس المطر عن مملكة آخاب بن عمري، ثم أحرق مائة من جنوده بإشارة من أصبعه، بعد أن أعاد الحياة إلى ابن امرأة من صيدا، بأن نفخ في فمه «قوة خفية». وفي النهاية صعد إيليا إلى السماء على متن عربة من نار، تجرها خيول من نار، متعمداً أن يترك عباءته لتلميذه أليشع الذي برع براعة خاصة في إحياء الموتى، حتى وهو

وقوعها على زمن دون زمن، ولا تتوجه لخدمة شخص ضد آخر، ولا تكون مسخرة لشل العقل، بل لحفزه على إمعان النظر[٥]. أما الخوارق التي تنسبها التوراة إلى أنبياء اليهود، فهي مجرد أساطير ملفقة، لا يمكن أن تولد أصلاً، إلا في ثقافة تؤمن بحقيقة السحر، وتعتقد أن الساحر لديه [قوة خفية] يستمدها بموجب حلف سري مع مخلوق شرير اسمه الشيطان.

لهذا السبب، فإن التوراة، رغم ولعها الشديد بقصص السحر، عادت فحرّمت السحر نفسه، وجعلته جريمة عقوبتها الإعدام، في نصوص صريحة أخرى، منها قولها في سفر الخروج: [لا تدع ساحرة تعيش][٦]. وهو النص الذي شهره الأصوليون في وجه الكنيسة، مطالبين بتطبيقه تحت شعارات دينية منها: [هكذا قال الله]، ومنها [لا اجتهاد في النص]. وقد اضطرت الكنيسة بالفعل إلى الرضوخ لمشيئة الأصوليين، فاعتمدت المبدأ القائل بأن السحر هرطقة، فيما أعلن القديس توماس أكونياس أن [الشيطان لديه القدرة على منح الساحر قوة خفية، تتيح له أن ينقلب إلى حيوان . ويطير في الهواء، ويجلب الأعاصير، وينشر الأوبئة]

في قتله أو حبسه، لسبب أو لآخر. فتم القبض على قضاة وعمداء بلديات وذوي أملاك وحواة وقسس ورهبان، جرى إعدامهم غرقاً أو حرقاً، بأعداد تجاوزت مئات الآلاف، في منطقة امتدت من شرق أوروبا إلى أراضي العالم الجديد في أميركا. وعندما انتهت المذبحة، وانحسرت موجة الرعب، كان الخراب ينشر جناحه على العالم المسيحي بأكمله. وكان الأصوليون قد شوهوا سمعة الدين إلى الأبد، وألحقوا بالكنيسة من الضرر، ما لم يكن في وسع الشيطان شخصياً أن يحققه. إن المبدأ القائل بأن [النص المقدس معصوم من الخطأ]، يثبت منذ أول تجربة، أنه مبدأ خاطىء وخاسر إلى ما لا نهاية، لكن الكنيسة لا تتعلم كثيراً من أول تجربة.

الضربة الثانية جاءت من علماء الفلك خلال القرن السادس عشر، عندما نشر كوبرنيق كتابه الشهير [حركة الأجرام السماوية] سنة ١٥٤٣. ففي هذا الكتاب أعلن كوبرنيق أن الشمس . وليس الأرض . هي مركز الكون الثابت الذي تدور حوله كل الكواكب في مسارات، تبدأ بعطارد ثم الزهرة والأرض والمريخ والمشتري،

الوحيد لتاريخ الحضارات في الشرق القديم. وكان اليهود قد كتبوا هذا التاريخ من منظورهم الخاص، بحيث بدت مسيرة الحضارة بأسرها، مجرد حدث جانبي على هامش ملحمة الشعب المختار، فلم يكن ثمة من يعرف شيئاً عن أحداث الفترة الواقعة بين بناء الأهرام وبين غارة الإسكندر على الشرق، سوى ما رواه مؤلفو التوراة الذين منحوا أنفسهم حقاً إلهياً لكتابة تاريخ العالم من وجهة نظر قبيلة. وفي هذه الصيغة الخاصة، اكتشف علماء التاريخ القديم، أن التوراة التي تعتبرها الكنيسة كتاباً سماوياً يبشر بعقيدة التوحيد، ليست في الواقع سوى مجموعات من النصوص المنقولة حرفياً عن الحضارات الوثنية في مصر وبابل، ابتداء من قصص الخلق والطوفان، إلى قصة موسى، والوصايا العشر المترجمة بالعبرية عن أصول مصرية وعن شريعة حمورابي.

في أعقاب هذا الكشف الفاضح، لم يعد أمام الكنيسة ثمة خيار آخر، سوى أن تنسحب من المعركة، مبدية زهداً طارئاً في شؤون الحياة العامة، بحجة أن مهمتها ليست دنيوية. أما مشكلة التناقض

القاعدة الأولى: إن المعرفة ليست أبدية، بل خاضعة للنقد والتنقيح والتبديل، دائماً، ومن دون انقطاع.

القاعدة الثانية: إن المعرفة الصحيحة، هي التي يمكن تكرارها بالتجربة، في أي وقت، وتحت جميع الظروف.

وبموجب هاتين القاعدتين، لم يعد ثمة شيء اسمه [علم إلهي معصوم من الخطأ]. ولم تعد المعرفة النظرية نفسها سوى اقتراح معروض للنظر فيه، لا يرقى إلى مستوى اليقين، ولا يدخل سجل المعارف العامة، إلا إذا ثبت بالمشاهدة أو التجربة. فإذا أعلن النص المقدس مثلاً [أن الرب خلق السموات والأرض في ستة أيام، أو أن الشهب ترجم الشياطين، أو أن موسى فلق البحر بضربة من عصاه]، فإن ذلك لا يعني أن هذه المقولات معارف مقدسة، ولا يمنحها صفة العلم، ولا يجعلها فوق مستوى النقد والتصحيح، إلا في ثقافة شفوية لم تدخل عصر العلم التجريبي، ولا تستحق بالتالي لقب [ثقافة] أصلاً. لقد تلقى مفسرو التوراة درساً صعباً قبل أن يدركوا هذه الحقيقة، ويبقى الدرس الآن على مفسري القرآن

يتوجه لتأويلها بشتى حيل اللغة، مبدياً ميلاً انتحارياً خطراً، لارتكاب الغلطة التي قادت مفسر التوراة إلى المذبح. إننا في حاجة إلى تصحيح هذا المسار.

فالقرآن ليس مرجعاً لأحداث التاريخ. وليس سجلاً لتجارب العلم والمعرفة. إنه دستور تشريعي، يعتمد مبدأ الجزاء بقدر العمل، لكي يضمن حق الفرد والمجتمع في حياة يسودها العدل والرخاء. وهو. من هذا المنظور. دستور محرر من الباطل، يختلف عن أي دستور تشريعي آخر، في براءته من كل انحياز عرقي أو عقائدي، وفي منهجه المثالي الداعي إلى تقديم الرحمة على المصلحة. أو كما قال القرآن نصاً: ﴿وإنه لكتاب عزيز. لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد﴾[١٣].

أما الزعم بأن القرآن كتاب علم وتاريخ، فإنه ادعاء مريب لا يقول به القرآن نفسه. ولا يمكن تمريره إلا في ثقافة لا تميز بين منهج العلم التجريبي القائم على المشاهدة والتجربة، وبين منهج الخرافة القائم على الخداع الشفوي مثل «علم» تفسير الأحلام، وضرب الرمل،

أراد الله، مصراً على أنها أحداث تاريخية، وقعت بالفعل في المكان والزمان المحددين. لأنه منهج أسطوري، لا يهمه منطق العقل، ولا يراعي شروط العلم التجريبي، ولا يواجه التحدي الذي واجهته الكنيسة، بسبب الحماية الحكومية التي يتمتع بها الفكر اللاهوتي في كل بلد عربي على حدة.

الفصل السابع

مقالات عامة

المقال الأول

في خدمة العسكر:
محلك سر![*]

محمد جلال كشك[**]

■ الديموقراطية التي يبشر بها الصادق النيهوم

عندما فرغت من كتاب الصادق النيهوم[1] وهو يقع في ما يزيد عن ثلامائة وخمسين صفحة، وجدتني أكتب على ظهره عبارة السيد المسيح مع تعديل بسيط: مارتا! مارتا! لماذا التعب واللف والدوران والمطلوب واحد! ومقتبساً من كلمات المؤلف على طريقة من فمك أدينك يا إسرائيل قوله:

الحضارة الإسلامية وعجزها عن إنجاز الثورة الصناعية، وقد كانت منها قاب قوسين أو أدنى في منتصف القرن الحادي عشر. فسرت ذلك بالحروب الصليبية والاجتياح المغولي، وقلت إن من أخطر نتائج هذا الحدث تراجع طبقة المثقفين والتجار وتولي العسكر مقاليد الأمور في العالم الإسلامي تحت مبرر أولوية الدفاع عن الوجود، ولو على حساب الحضارة والتمدين أو التقدم. وهكذا تجمد المجتمع، وتحول المثقف من دور المفكر المحاور المطور للمجتمع، إلى نديم أو فقيه السلطان الذي يبرر ويحلل وينظر لحكم العسكر ثم حكمتهم! وتتابع التراجع والانهيار، وحتى عندما جاءت الهبّة العثمانية التي رفعت راية المسلمين على أسوار فيينا، ورغم المستوى الثقافي الرفيع الذي كان لأوائل سلاطينهم إلاّ أنهم بحكم الروح العسكرية التي كانت تسيطر على العالم الإسلامي كله رأوا الخطر عليهم من ظهور قيادة مدنية تركية لا شك أنها وحدها كانت القادرة على إقامة المجتمع التجاري المنفتح، والسفر إلى أعالي البحار لمزاحمة تجار غرب أوروبا في العالم الجديد، ثم إنجاز الثورة الصناعية الكبرى. لكن سلاطين آل عثمان استمروا في

المدني من العسكر (ذبح عسكر المسلمين فرسان أوروبا، فحرروا عدوهم التاريخي!) واستعان ملوك أوروبا من ثم بالمثقف والتاجر في بناء الأوطان الموحدة والمجتمع المدني، ثم حضارة العصر الصناعي أو النظام الرأسمالي الذي استخدم العسكر لبناء الأمبراطورية ولم يستخدمه العسكر.

سيطرة العسكر منذ القرن الثاني عشر إلى اليوم هي لعنة العالم الإسلامي، والسبب الأول لتخلفه، فالنظام الصناعي الذي يحلم به هذا العالم أو المصرف الذي يعبده النيهوم من دون الله لا ينجزه إلاّ مجتمع يحكمه المدنيون وتتحاور فيه المصالح بالمنطق، وليس بـ «السنكي». وهي قضية تؤلف فيها الموسوعات. فلنقصر حديثنا هذه المرة على العلاقة بين المثقف الذي أصبح رعية والعسكري الذي أصبح حكومة، فمنذ ذلك التاريخ وإلى اليوم يتعرض المثقف المسلم لاغتصاب العسكر. وتتفاوت مواقف المثقفين.. منهم من يرى برهان ربه وشعبه فيستبق الباب هارباً بدينه وشرفه الثقافي

هؤلاء الفيلسوف الكبير الأستاذ صادق النيهوم، ودعكم من كل العجيج والضحيج الثوري الذي يغطي به ثقب قميصه.

العسكر في العالم الثالث، والعالم العربي بالذات لا يحبون الديموقراطية على الطراز الغربي، ولا يسمحون بالأحزاب ولا البرلمان ولا الانتخابات ولا حرية الصحافة. وهذا ما يوافقهم عليه النيهوم حرفياً، ويتطوع بأن يعلن شرعية هذه النظم، إذ إن هذه الديموقراطية لا تصلح لأمتنا! فنحن محرومون منها ليس بسبب ديكتاتورية العسكر بل لأنها رجس من عمل الشيطان كما يقول الفقيه التقليدي، أو من سلوكيات الملائكة لا يطيقها ولا هي فرضت على العربي، لا تصلح لنا ولا نصلح لها كما يقول الصادق النيهوم:

«الصحافة والدستور والحرية لا مكان لها في المجتمع العربي أو الإسلامي المعاصر أو الثالث خلف جبل طارق لأنها نظام خاص بالغرب وحده. شرط قيامها هو وجود نظام رأسمالي غربي وهو لا يمكن تقليده أو فهمه أصلاً إلا في مجتمع صناعي يشكل فيه رأس المال قوة قادرة على ردع الإقطاع ويشكل فيه العمال قوة

واقع النيهوم الخاص فإن النظام هناك اختار صيغة اللجان الشعبية التي يحاولون وصفها بالديموقراطية المباشرة التي كانت تطبق في بداية حضارة المدن في اليونان القديمة، ويطلقها البعض على نظام الحكم في سويسرا.

وفي اللجان الشعبية تجتمع الجماهير كل الجماهير، وتصوّت على جميع القرارات من توزيع الخبز إلى إعلان دمشق والاعتراف بانفصال كرواتيا! الغالبية العظمى من المثقفين العرب قبلوا ذلك وتعيشوا ـ ولا أقول تعايشوا ـ ولكن النيهوم يريد أن يكون فقيه النظام، المحلل الذي يفتي للسلطان بجواز وطء المماليك في حشوشهم لأنهم ملك يمين والآية قالت: «انكحوا(...) ما ملكت أيمانكم». والفقيه الذي سيطعمه السلطان الفالوذج مقابل هذه الفتوى سيغطي بكمه أو طرف جبته نص الآية على: «ما طاب لكم من النساء».

الصادق النيهوم نظر الواقع السياسي العربي. ولم يهاجم الديموقراطية، لا، هو أذكى من ذلك. الديموقراطية هي أعظم

سيايسة، معرضة لإغلاق أبوابها فوراً عند أول انقلاب يقوم به رجال الدين، كما حدث في إيران، أو الجيش كما حدث في مصر»[٦].

«استعارة نظام الأحزاب من دول الغرب وهي فكرة أقرب إلى الشماتة منها إلى النصح، لأن العرب لا يملكون رأس المال نفسه، ولا يملكون العمال، ولا الأسواق، ولا المصانع، وليس بوسعهم أن يؤسسوا أحزاباً لا تجد ما يدعوها إلى التحزب»[٧].

«فالديموقراطية القائمة على تعدد الأحزاب صيغة رأسمالية محضة، تخص الأوروبيين الرأسماليين وحدهم ولا يمكن نقلها إلى بيئة أخرى»[٨].

«والثابت، أن هذه الصيغة لم تنجح في أي مكان خارج بيئتها الرأسمالية(...) ولو كانت الجدية صفة من صفات ثقافتنا العربية، لما ارتفعت الآن هذه الدعوة المضحكة إلى نظام الأحزاب في وطن عاش تجربة الأحزاب من قبل»[٩].

هذه فتاوى جديرة أن يكتبها طغاة العالم الإسلامي بالإبر على أماق البصر، وهم يكتبونها فعلاً بالسياط على جلود الشعوب! وكان بغايا الفكر وما زالوا يتهمون الإسلاميين بأنهم هم الذين يعادون الأحزاب، وها هو عدو الإسلاميين اللدود ينسف أي أساس

وجد هتلر وموسوليني. ولا ننسى ستالين، فهو من فلسف لهما أن الأحزاب والبرلمان والديموقراطية اختراع يهودي شرير أو من صنع الرأسمالية عدوة العمال. ثم انتهى هذا الزيف وألقيت بقاياه في المحيط يلتقطها بعض السيارة في العالم المتخلف.

وقادة العالم الثالث ورعاته لا يحبون البرلمان ولا الانتخابات وقد جاء في الكتاب الأخضر أن التمثيل تضليل، وهنا يتقدم المفتي لينظر ذلك ويحلّله فيقول إنه لا يمكن قيام برلمان إلاّ بالأحزاب ولا أحزاب ولا صراع إلاّ إذا أقام المصرف وأصبح المجتمع من طبقتين طبقة العمال وطبقة الرأسماليين وحيث إن... إذن لا يكون.. وما يجري هو بالضبط ما يجب أن يكون «فكلْ مخ» باطمئنان واقرأ الفاتحة للسلطان!

«البرلمان استوردناه من خارج عصرنا»[١٠]. «لا تملك لغتنا العربية كلمة عربية تعني البرلمان»[١١]. «وهو يرفض الشعب وطريق الشعب الذي سار عليه عبد الناصر والسادات»[١٢]. «إن الشعب كلمة سامة لأنها تصبح بديلاً عن شريعة الجماعة»[١٣] بل وأصلها

سويسرا لم يكن أمينا مع قرائه، إن كان يعلم، ولا مع نفسه إن كان يجهل، وصدّق أن سويسرا تحكمها اللجان الشعبية! أو أن الديموقراطية المباشرة في سويسرا تعني الأنظمة العربية، فلا أحزاب ولا برلمان ولا انتخابات!

ولا يجوز أن يردد الجهل الذي يقال في أزمة العالم العربي على صفحات المجلات والكتب التي قد تصل إلى يد مثقف. لا يجوز القول بأن سويسرا تحكمها اللجان الشعبية فسويسرا منذ ١٨٤٨م يحكمها برلمان من مجلسين على طراز الكونغرس الأميركي، مجلس نواب من ٢٠٠ عضو ومجلس المقاطعات أو الكانتونات. والمجلسان أو البرلمان السويسري يختار الحكومة ويراقب نشاطها. وفي سويسرا ١٢ حزباً رئيسياً ممثلة بالبرلمان وتشكل ٨ تكتلات برلمانية. وفي الانتخابات الأخيرة كان ٤,٢ مليون نسمة لهم حق الانتخاب و٢٤٠٠ مرشح على ٢٢٢ قائمة. ويحتكر الحكم في سويسرا منذ ١٩٥٩ تحالف من أربعة أحزاب. أما الديموقراطية المباشرة في سويسرا والتي تسبب الخلط في بعض الأذهان ويستخدمها البعض لتبرير قرارات الشرطة عندهم، فهي تعني حق

للميزانية فوق حد معين[١٥]. وكما حدث في مصر يعترض الكثير من فقهاء القانون والسياسيين في سويسرا على أسلوب الاستفتاءات لأنهم يعتقدون أنها وسيلة لتضليل الشعب لحساب المصالح الاحتكارية الكبرى التي تتمكن من خداع المواطن العادي بعكس الحال مع النواب في البرلمان.

أما عن ديموقراطية الهواء الطلق كما يسمونها في سويسرا وهي القشة التي يتشبث بها النيهوم، فهي تمارس في خمسة كانتونات فقط من ٢٦. وذلك حين يجتمع الشعب كله لإقرار ميزانية الكانتون والقضايا الهامة للكانتون، وقد أصبحت أشبه بمهرجانات لإحياء التقاليد وجذب السياح. ففي كانتون «ابانزل» لا بد أن يحمل الرجال السيوف لإثبات حقهم في التصويت (لأن حمل السيوف كان محظوراً على العبيد والنساء) وقد اضطروا لإعطاء النساء ترخيصاً كتابياً بالحضور. وهذا يؤكد أنها تقاليع ومهرجانات سياحية وليست طريقة جادة لحكم البلاد.

باختصار الديموقراطية التي يبشّر بها الصادق النيهوم، بعد أن شرّق

و«المسلم لكي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يجب أن يكون له صوت مسموع في إصدار القوانين وكلمة لا إله إلاّ الله تعني أن أحداً غير الله لا يملك السلطة. [كيف إذن أعطيت السلطة للجان أو لمجلس الثورة أو زعيم الثورة؟] وليس له أن يتخذ القرار إلاّ بعد إحصاء الأصوات»(١٦).

«ومن دون الجامع لا نملك ثمة ما يضمن للجماعة حق إدارة شؤونها سوى صحافة من دون سلطة، ودستور لا يحتاج إليه أحد، وديموقراطية صعبة النطق، لا يعرف مواطننا من أين يكلمها. هذا هو نصف حصيلتنا من دون الجامع»(١٧).

«الله سمى البرلمان بالجامع «ودعا الناس للاجتماع فيه مرة في الأسبوع»(١٨).

«تسليم السلطة المباشرة للناس عن طريق الشورى المباشرة في الجوامع»(١٩).

وقبل أن تصيح الله أكبر! هل أسلم عمر بن النيهوم! قبل أن تستثار كما حدث لرياض نجيب الريّس، وتتصور أن النيهوم يريد العودة إلى المسجد حيث بدأت حضارتنا، سوف تتذكر أن هذه هي

هيهات!! إنه عبقري من الطراز النادر. ولعله وصف فكره فأبدع عندما قال:

> «تعرضت الأغلبية لحملة نفسية مروعة قادها السحرة منذ عصر سومر لتبرير سلطة الملك ـ الإله في برنامج معقّد من الخرافات والأساطير استهدف تخريب عقول الناس وحرق كل جسر يربطهم بواقعهم»(٢٠).

هذا تعريف شديد الدقة لما يقوم به الساحر المعاصر الصادق النيهوم. وإذا كان النيهوم يرفض البرلمان كما يرفضه كل العسكر، ولكن على أساس أن كلمة برلمان لا وجود لها في لغتنا! إلاّ أنه لا يتمسك بهذا الاعتزاز الوطني في نظريته عن المسجد، إذ يرفض اللفظ الذي ورد في القرآن ويصر على كلمة الجامع التي لم ترد ولا مرة واحدة لا في القرآن ولا في السنّة. وهو على أية حال يرفض السنّة، ولا يساير في ذلك العسكر وحدهم، بل الخوارج الذين ما زال نفوذهم الفكري يترك بصماته على تفكير الكثيرين من العرب حتى النيهوم!

الجامع الذي يطالب به النيهوم هو النقيض لمسجد المسلمين، ولا يمكن أن يكون إلاّ كذلك. فهو مكان يريد النيهوم أن يجمع فيه:

> «الناس المتفرقين بين المساجدِ والكنائس والمعابد في جهاز إداري موحد(...) هذا الجامع لم تعرفه ثقافتنا العربية أبداً لأنه انتهى قبل أن تولد، وتركها تنمو في المساجد لكي تصبح نصف ثقافة، لغتها تقول شيئاً وواقعها يقول شيئاً آخر(...)»[٣٣].

فالمسجد كان النكسة والمطلوب الآن تحرير الجامع من المسجد. تحريره من الإسلام وسيطرة المسلمين، وجعله مرتعاً لغزلان وملتقى صلبان ونجمة داوود. وقبل أن نستطرد نقول إن النيهوم مغرض في حق الإسلام المتعارف عليه، ولا أظن أنني بذلك أهاجمه أو أحرّض عليه (أحرّض من يا حسرة! وقد أصبح الطريق مفروشاً بالورود لكل من يسب الإسلام، والمشانق لكل من يتمسك بالإسلام!) ولكني أصحح وضعاً مغلوطاً. إنه لموقف يثير الألم أن يحاول هؤلاء المثقفون التمسح بالإسلام، وهم يرفضونه من الأساس، فما الذي يمنعهم من المجاهرة بإلحادهم؟ إنهم يحلمون بدور مارتن لوثر ولكن لا يملكون شجاعته. ولا هم على استعداد لتحمل تبعات موقفهم.

هذا الحديث بني أمية من سلب حقوق الناس؟ هل توجد دولة في تاريخ العالم واجهت ثورات وتمردات مثل دولة بني أمية فأين تأثير هذا الحديث؟ والنيهوم ينكر العبث[٢٥] وينكر الآخرة[٢٦] وينكر الجنة[٢٧]. وهو يرفض الصلاة كعبادة ويعتقد أنها ضرب من اليوغا أو برنامج لجني فوندا سابق لعصره.

«إن حركات الصلاة الإسلامية ليست رموزاً بل أوضاع يتخذها المصلي لتمرير ضغط الهواء في جميع أنحاء جسده بتوقيت الشهيق والزفير»[٢٨].

ولأن فقهاء الإسلام لم يكونوا يتقنون علم الشهيق والزفير مثل النيهوم، فإنهم لم يكتشفوا أبداً لماذا:

«اختار الرسول عليه السلام هذه الحركات من دون سواها. مما دعاهم إلى تفسيرها تفسيراً بلاغياً بحتاً فالوقوف في الصلاة هو المثول بين يدي الله والسجود هو إبداء الخضوع(...) إلخ»[٢٩].

هذا «هجص» لا قيمة له ولكن البعض يعتبره شجاعة وجرأة على المقدسات ـ وهذا صحيح لو كان كاتبه يعيش في طهران أو

وكل ما ورد عن قصة موسى وفرعون[٣٢]. تحريم الربا «غلطة اقتصادية مميتة»[٣٣]. والإسلام دين عنصري لأن المسلم يعتقد أنه:

«هو عبد الله الصالح الذي وعده ربه بالخلود في الجنة، ووعد غيره بالخلود في النار. إنه مثل الرجل الأبيض الذي يعتبر لون جلده مبرراً شرعياً بالتفوق (هل الدين يقوم على الاختيار الحر والمفتوح لكل من شاء. ألم نقل إننا أمام نصب فكري؟!) ويتابع: «وهي فكرة تناقض نصوصاً قرآنية صريحة، لكنها أصبحت قاعدة لقوانين إسلامية متعددة، منها تحريم زواج المسلمة من غير المسلم (القوانين العربية تحرم زواج الليبية والكويتية من المصري أو السوداني.. إلخ. وكما قلنا إن الإسلام قطع نصف الطريق بأن أباح الأسرة المتعددة الأديان، بزواج المسلم من غير المسلمة وهذه خطوة لم يقم بها أي دين آخر، فهل يستحق الذي قطع نصف الطريق أن يخص بالهجوم والنقد بينما لا ينتقد موقف الآخرين الذين يرفضون إلى اليوم زواج الرجل أو المرأة ولو حتى من مذهب آخر داخل الدين نفسه.. عجبي!».

وبعد ذلك يقول: وإباحة دم المرتد، واعتبار غير المسلمين أنجاساً، لا يحق لهم دخول الأراضي المقدسة (يا سبحان الله، إعلامه سلخ

نزيّف ونضلّل ونقول غير ما نعني؟! قلها وتحمل نتائجها فأنت تعلم أن كل الغرب الصليبي وعملاء كافة الأجهزة سيهبون للدفاع عن حقك في الكفر! وتحريف مفهوم الجهاد، من معركة لإقرار الديموقراطية إلى حرب ضد بقية الأديان[٣٥]. (وهو سخف وافتراء! فمتى حارب الإسلام بقية الأديان. والله لولا سيوفنا لفني أكثر من دين وملة، ولكن هذا هو خلف كجلد الأجرب يفتري علينا بما يفتخر تاريخنا بخلوه منه!).

الصادق النيهوم عندما يتحدث عن الجامع هو يعني اللجان الشعبية وليس المسجد فهو ضد المسجد الذي أضاع الجامع «ضاع الجامع وراء المسجد»[٣٦]. وهو ضد الحل الإسلامي والإسلاميين، مثل السلطة كل السلطة في العالم الثالث، بل ومثل حكومة فرنسا وأميركا وتل أبيب(...) إلخ. فهو يقول:

> «فالدعوة التي ترتفع حالياً في أرجاء الوطن العربي، مطالبة [بإحياء الإسلام] دعوة لا تطالب بإحياء صوت المواطن المسلم في مؤتمر يوم الجمعة، بل تهدف إلى تكريس إلغاء الحوار باسم الإسلام نفسه»[٣٧].

إن كان يقصد اللجان الشعبية فهو يخدعنا، لأنها تشكلت بموجب قرار من رئيس الدولة وتسري عليها قوانين الدولة بالطبع وبالوضع. وإن كان يتحدث عن مسجد المسلمين فهو بالطبع تسري عليه قوانين الدولة التي تشرعها بموجب دين المسجد، وقد يكون التشريع في المسجد أو خارجه ولكن المهم هو أن يكون بوساطة أهل الحل والعقد. وبموافقة الأمة بالأسلوب الذي يضمن شرعية وجدية ونزاهة وصدق هذه الموافقة. المسجد لم يصنع المواطن الحر بل صنعه القرآن والسنّة. نعم السنّة التي علّمت المسلم، أنه لا قدسية لبشر ولا عصمة لقرار، بل حتى قرارات رسول الله في أمور الدنيا قابلة للخطأ وللمراجعة والتصحيح. المسلم الذي تعلم ذلك في غزوة بدر، هو الذي علّم المرأة أن تصيح في المسجد: ليس لك هذا يا عمر! وعمر تعلم من سنّة الرسول أنه لا بد أن يرجع عن الاجتهاد الخاطىء، متى نُبّه له. فالأصل هو الإسلام، هو المجتمع المسلم. هو المواطن المسلم. أما الجامع الذي يضم كل الأديان فهو هايد بارك أو لعله دعوة بهائية ستكشف عنها الأيام! كذلك رفض الإسلام سياسة القطيع الذي يحشد في مكان عام ويصيح موافقون

وتحلو له لعبة البيضة أو الفرخة (أو حاوريني يا طيطة) فنحن لا نستحق البرلمان ولا الديموقراطية قبل أن نمتلك المصرف ولا سبيل للمصرف إلاّ بالديموقراطية و:

«تطبيق الشريعة يحتاج أولاً إلى مجتمع شرعي»(٤١).

ولا يخبرنا كيف يصبح المجتمع شرعياً أو «كوشير» من غير شريعة أو قبل أن نطبق الشريعة!

«إن كل قانون تسنه الشريعة تحت سلطة الإقطاع يصبح قانوناً مسخراً لخدمته. وكل سلاح تشهره الشريعة للدفاع عن الناس، يتحول إلى سلاح إلهي ضدهم، لأن الخلطة نفسها مستحيلة من أساسها»(٤٢).

الخلطة فاسدة جداً. الشريعة لا تشرع تحت سلطة الإقطاع وإنما هو الإقطاع الذي يشرّع حتى لو ادعى أنه يشرّع باسم الشريعة. فنحن غير ملزمين بتصديقه. والثورة على الإقطاع تمت باسم الشريعة، وهي التي حررت الإنسان المسلم من ذل الإقطاع قبل إنسان أوروبا بألف سنة. لم ينوجد في العالم الإسلامي «حق الليلة الأولى»، ولا بيع الذين ولدتهم أمهاتهم أحراراً، ولا كان الفلاح المسلم يعتقد أن

من فمك أدينك يا إسرائيل(*)

مصطفى الفيتوري
كونية المحمودي
ليبيا

إن قراءة ما كتبه محمد جلال كشك في «الناقد» تضع الإنسان في حيرة بالغة وتدفعه إلى طرح تساؤلات عديدة عن جدوى الحوار ومعناه، وقبل هذا كله: كلية الأحكام وشموليتها وسهولة إطلاقها، فالمقال بأسره مكرس للهجوم على الأستاذ الصادق النيهوم بسبب ما ورد في كتابه «الإسلام في الأسر» وبطريقة تلغي مبدأ الحوار، ويستهدف الهجوم الشخصي أكثر مما يتعرض لآرائه وأفكاره التي طرحها في كتابه موضوع مقالة

وبالتالي التعامل مع كتابه، وآرائه من وجهة نظر مسبقة لدى الكاتب حول ذلك النظام، وعبر ذلك يحاول الكاتب «مشكوراً» اقناعنا بأن ما كتبه «وما سيكتبه» النيهوم لا يخرج عن كونه تنظيراً سياسياً و(فتوى) يحتاجها النظام في البلد المعني لتأكيد شرعيته، وأن النيهوم يتقدم ليوفر كل ذلك!! ولا يستطيع الكاتب (عملاً بمبدأ من فمك أدينك يا إسرائيل» أن يقدم لنا دليلاً واحداً أو حجة واحدة وردت في كتاب النيهوم تفيد أو تؤكد اتهامه بالتبعية أو لعبه دور (مفتي السلطان) على حد تعبير السيد كشك.

ويتجاوز الكاتب محاولة إلصاق التبعية بالنيهوم إلى ما هو أشنع حين يحاول أن يتهمه بالعمالة حيث يقول: «... فأنت تعلم أن كل الغرب الصليبي وعملاء كافة الأجهزة سيهبون للدفاع عن حقك في الكفر»!!

ويلحق ذلك كله باتهام النيهوم بأنه ـ في كتابه ـ ينظر أيضاً إلى اليهود على أنهم بناة حضارة وسباقون إلى التمدن!

سوى عجزنا ونرفض أي جديد أو «محاولة» لتقديم أي شيء طالما كان المصدر عربياً!!

أما على الصعيد الديني فلم يكن حال النيهوم ـ في نظر السيد كشك ـ بالأفضل، فهو أي النيهوم ـ «كافر» وهذه تهمة لا ندري من أين أتى السيد كشك بها!! ومن أعطاه الحق في إطلاقها على الآخرين؟ وكيف لمثقف يقيم في واشنطن منذ سنين أن يقع في المحظور نفسه الذي يقع فيه دعاة تسييس الإسلام من تنظيمات مختلفة تمارس تكفير وحق قتل الآخرين لمجرد الاختلاف معهم في الرأي؟!!

ويقلّب الكاتب الأمر على أوجهه «فيكتشف» ـ جزاه الله خيراً ـ أن النيهوم يدعو لدين جديد «... غير الإسلام الذي يتبعه المسلمون واتبعوه..». ولا يكتفي بذلك بل يحرض على حياة الأستاذ النيهوم قائلاً: «إن النيهوم مغرض في حق الإسلام المتعارف عليه» في تجن صارخ على حرية التعبير وفي قفزة كبيرة في عالم الأحكام الجاهزة تبلغ ذروتها حين يكتشف الكاتب أن لا قوة لديه للتحريض على

إن ما أثارته «الناقد» عبر آراء النيهوم وسواه حول الإسلام وعلاقته بالسياسة لم يسبق له مثيل من حيث جرأته على تحريك واقع شبيه ببركة آسنة من جراء الركود، والتحريم المطلق المحيط بها!

إنه لمن المؤسف حقاً أن نتعامل مع آراء وتجارب الآخرين منطلقين من وجهة نظر مسبقة محكومة بقناعات شخصية تلغي الفكر، وترفض مبدأ الحوار، والأكثر أسفاً هو أن يحاول البعض استغلال مطبوعة كـ«الناقد» ـ اكتسبت مكانتها الأدبية والفكرية بفضل كونها تتسع لكل الآراء.

وختاماً حبذا لو يتحفنا السيد كشك بمعاني جمله (الأنيقة) من قبيل «حاوريني يا طيطة» وهل يحتاج صاحب الفكر إلى جمل من هذا النمط؟.

عن «الإسلام في الأسر»(*)

نوال السعداوي(**)

التقيت لأول مرة رياض الريّس في لندن، خلال شهر آذار (مارس) ١٩٩٢، وأهداني بعض الكتب التي نشرها مؤخراً، ومنها كتاب «الإسلام في الأسر» للصادق النيهوم. وقد سررت لقراءتي هذا الكتاب، الذي لم أسمع عنه إلاّ اليوم، مع أنه منشور منذ العام الماضي. لكن يبدو أن أهم الكتب العربية أصبحت تنشر اليوم خارج الوطن العربي، في لندن، باريس ونيويورك، وغيرها. وبالتالي لا تصل إلى الملايين من الرجال والنساء والشباب في الوطن العربي، إلاّ بأعداد قليلة، وحين تسمح الرقابة!

تقول شيئاً، وإنما مجرد حجر يلقيه في وجه معارضيه، وهذا أمر أدانه في كتابه مراراً فكيف يعود إليه ويستخدمه؟

لا شك أن معظم الردود كانت خطباً بلا نقد حقيقي لأهم ما جاء في الكتاب، وكانت هناك أيضاً بعض الكلمات كالأحجار، مثل كلمة «الغوغائي»، وهي بعيدة كل البعد عن حقيقة المؤلف، الذي بذل جهداً يستحق الاهتمام.

ومن خلال كل ذلك برز سؤال هام لم يستطع أحد الإجابة عليه وهو: كيف يمكن للشعوب العربية أن تملك السلطة الجماعية وتتحول من قطيع ساكت غائب الوعي والإرادة إلى قوة بشرية منظمة قادرة على محاسبة حكوماتها وإسقاطها عند اللزوم؟

ولا أظن أن الإجابة على مثل هذا السؤال هي مهمة المؤلف وحده، ولكنها في رأيي مهمة جميع أصحاب العقول في بلادنا العربية رجالاً ونساء وشباباً ومراهقين. وهي مهمة العقول التي تعيش وسط الناس وتتعرف على آلامهم وآمالهم.

ويقول الصادق النيهوم إن السبيل الوحيد لكي يضمن العرب

العلاقات الاقتصادية والتجارة والتبادل والحوار والأحاديث والاتفاقيات حول البيع أو الشراء أو الزواج أو العمدة أو الحكومة أو شيخ الجامع أو غيره. أي أنها اجتماعات سياسية لكن ينقصها التنظيم والوعي.

وقد أعجبني دفاع المؤلف في كتابه عن حقوق المقهورين من النساء والمراهقين والشباب والأطفال، وكنت أتوقع منه أن يبحث عن المكان أو الوسيلة التي تجمع هؤلاء، فهل هو «الجامع» الذي يحتله اليوم العسكر ورجال الدين؟!

ولا يكفي أن نغير اسم «المسجد» إلى اسم «الجامع» ليخرج منه العسكر ورجال الدين. والأفضل أن نبحث عن مكان آخر أكبر اتساعاً، تتجمع فيه فئات أكثر من الناس، ولا يكونون فيه تحت سيطرة العسكر أو رجال الدين.

لكن هل المشكلة هي المكان فحسب؟!

وأنا أتفق تماماً مع الصادق النيهوم في أن جوهر الإسلام أو «العدل

١ ـ القوة الإلهية عن طريق رجال الدين.

٢ ـ القوة الدولية عن طريق التعاون مع الأجانب.

٣ ـ قوة البوليس والعسكر أو الجيش.

ويمكن لهذا المثلث أن ينهار إذا انهار ضلع واحد منه ومن هنا تلك التعمية المستمرة لهذا التحالف الثلاثي، الذي تجمعه المصالح، رغم ما يشاع عن وجود تناقض، تروِّج له وسائل الإعلام.

وتأتي أهمية كتاب الصادق النيهوم (رغم الاختلاف معه في بعض الأجزاء) في أنه يكشف بشجاعة وصدق عن الكثير من أمراضنا الثقافية والسياسية والاجتماعية، وهذا في حد ذاته إنجاز كبير في هذه الأيام التي تتغطى فيه أمراضنا وعيوبنا بورق الصحف والأحجبة.

ويبقى السؤال الهام بلا جواب: كيف تتحقق الديموقراطية المباشرة التي ينادي بها الصادق النيهوم؟ ومن الطبيعي أن الديموقراطية المباشرة أكثر صدقاً وتعبيراً عن إرادة الناس من الديموقراطية غير

لكن ما الفرق بين مكان ومكان إذا كانت القواعد التي تحكم اللعبة واحدة؟!

وما الفرق بين أن يجتمع الناس في الجامع أو السوق أو البرلمان أو مجلس الشعب أو مجلس الأمة أو مجلس النواب أو مجلس الشيوخ أو مجلس الأمناء أو أي مجلس آخر ما دامت قواعد اللعبة واحدة؟ وما دام الذين يمسكون المال والسلاح والمصحف والميكروفونات والراديو والتلفزيون هم هم لا يتغيرون وإن تغيرت الأسماء والوجوه؟!

إن المشكلة كبيرة، لكنها قابلة للحل، إذا بدأ الصادق النيهوم وغيره من المفكرين والمثقفين العرب تطبيق أفكارهم المكتوبة على الواقع الحسي داخل بلادهم. حينئذٍ يتفاعل الفكر مع العمل ومع الناس الأحياء (رجالاً ونساء) في حركتهم الحية اليومية، وبصرف النظر عن المكان في الجامع أو السوق أو مجلس القرية أو المدينة، أو أي جمعية أخرى.

المقال الرابع

نحن في الأسر(*)

مهتدي غالب
سورية

في كتابه «الإسلام في الأسر»[1] ومقالاته في مجلة «الناقد» حاول الأستاذ الصادق النيهوم إعادة قراءة الإسلام كما هو حقيقة، وليس بما شابه خلال مسيرته الحياتية التي أدت أخيراً إلى أن ينكفىء على نفسه ويتقوقع، بحيث غيّب الإسلام الحقيقي وبقي ظله، ولا أريد هنا أن أنتقد ما كتبه الصادق إنما أريد عرض وجهة نظري بخصوص بعض الموضوعات التي تعرض لها، وهي:

أولاً ـ إمكان الخطاب السياسي للإسلام.

أعرب عن إعجابي بجهده ودأبه المستمر على قراءة الإسلام، الشريعة الحقيقية والمنهج لقراءة الحياة، وليس قراءة رجالات الإسلام والإسلام المليء بنصوص الاجتهاد التي فتقت أذهان المسلمين عن آراء جعلت الإسلام يتقوقع في الأشياء الصغيرة، فصغرته عوض أن يكون عظيماً وخالداً وشاملاً، إن إسلام المسلمين يبحث في شكليات الإسلام والحياة أو في العادات التي اكتسبها المسلمون مع مرور الأيام، وهي غريبة كل الغرابة عن الإسلام، فليس كل من تجلبب والتحى ملسماً ورعاً مهما ارتكب من رذائل ومحرمات حرّمها القرآن العظيم، لقد ابتعدنا نحن المسلمين عن مضامين الإسلام الحياتية وغرقنا في شكليات الإسلام والحياة.

■ أولاً ـ إمكان الخطاب السياسي للإسلام

لنتساءل: ما هو كتاب الإسلام؟ ما هي نظرية الإسلام في الحياة؟ من هم المسلمون الحقيقون؟ وحينها نصل إلى قراءة وافية لإمكان الخطاب السياسي للإسلام.

بقائها، أما الدين، فهو مع الضعفاء يبحث عن تقويتهم بالرحمة والحكمة، وكل الناس أمامه سواسية بالنتيجة.

لم تكن هناك «حكومة إسلامية» بمعنى أنها تحكم بموجب: «دستور العدل الإلهي الشامل» القرآن الكريم وقامت على أسس إسلامية صحيحة إلاّ في فترة وجود الرسول العظيم محمد(صلعم) (، ولا أريد أن أدخل هنا في متاهات تاريخية تؤكد ما أقوله. ولسنا بحاجة لنبش غبار التاريخ، إذ يكفينا دليل واحد وهو: أن ثلاثة من الخلفاء الراشدين، ماتوا قتلاً وغيلة؟! فأي دستور عدل إلهي شامل يبيح القتل! إنما النظام الذي عرفه ويعرفه العرب المسلمون هو النظام الفردي رغم وجود «مجالس شورى ـ برلمانات.. إلخ» تتعدد أسماؤها وهي في الهم واحد، إذ إن لا حل ولا ربط بيدها.. بل هما في يد فرد يقوم على الحكم وأتى إليه عن طريق غير ديموقراطي.. حتى لو كان وصوله عن طريق هذه المجالس.

■ ثانياً ـ هل كان الخليفة العظيم عمر بن الخطاب عادلاً ومطبقاً لدستور العدل الإلهي الشامل؟!

الإلهي الشامل كما فهمه هو كفرد، لا يمكن أن يكون ديموقراطياً بالمعنى الحقيقي للكلمة.

فالحاكم العادل لا ينتظر أن يأتيه مظلوم ليحق له الحق. وهذا ما لحظناه ونلحظه لدى كل الحكام والحاكمين حتى ولو كانوا من أكثر الناس طغياناً مثل: هولاكو أو نيرون أو غيرهما. وإن كان عمر ابن الخطاب عادلاً في المدينة المنورة ومكة فما هي الحال في بقية الأمصار؟! إن عمر بن الخطاب حاول أن يصنع حكماً ديموقراطياً إلاّ أنه بناه على أساس فردي وهو ما نسميه: «ديكتاتور عادل»، ولو قارنا المواقف التي ظهرت فيها عدالة عمر مع المواقف التي ظهرت فيها عدالة معاوية أو السفاح، لوجدنا أن مفهوم العدالة هو هو لم يتغير. هذا إذا جردنا كلاً منهم من طريقة وصوله إلى الحكم والمحافظة عليه؟! إنه عادل بكل شيء عدا ما يهدد وجوده في الحكم، وفي كتب التاريخ قصص كثيرة عن عدالة معاوية والسفاح وحتى الحجاج لا تخرج عن كونها عدالة فردية غايتها الدعاية.

لا أحاول هنا الإنقاص من عدالة عمر الذي تكفيه عدالة صرخته

لأنه دستور الله الخالق الغفور الرحيم، والعدالة الاجتماعية تقتضي أن ينال كل مخطىء عقاباً يوازي خطأه حتى لو تاب وندم على ما فعله!

ثم من الذي سيطبق هذا الدستور الإلهي الشامل؟ إن كان من قبل البشر المخلوقين؛ ففهمهم لهذا الدستور لن يصل إلى فهم واضعه «خالقه»، فالقرآن هذا الدستور الإلهي الشامل والذي أوجده الخالق لا يمكن لمخلوقين أن يطبقوه كما نزل في غياب «النبي» الذي تلقى هذا الوحي «الدستور» ومهما بلغ اجتهاد علماء الفقه وغيرهم، فإنهم لن يصلوا ولو حاولوا إلى فهم الوحي والموحى إليه، لرسالة الوحي. وإن كنا سنعتمد دستور العدل الإلهي الشامل في فهمنا القاصر له، فإن فهمنا نحن وعلماء الفقه دائماً يأخذ زاوية واحدة من القوانين الإلهية، لأن هذا الفهم محدود بالزمان والمكان والظروف التي نعيشها، وبالتالي فهو خاضع للتغيير والتبدل، والدستور الإلهي الشامل زماناً ومكاناً غير قابل للخضوع لرغبات أو اجتهادات المجتهدين فهو ثابت من حيث الشكل اللغوي

أساساً العلاقة بين الخالق ومخلوقاته، وهذه العلاقة تبني الإنسان القادر على التعامل مع أخيه الإنسان بفهم مشترك للحياة نابع من علاقة كل منهما بالخالق.

■ رابعاً ـ مفهوم العدالة = الديموقراطية في الإسلام

اعتبر الكثير من المؤرخين العرب والمسلمين وغيرهم أن تعدد المذاهب والطوائف في الإسلام هو نقطة ضعف وعدم استقرار في مبادىء الإسلام، طبعاً حين نصل إلى التكفير والاتهام بالإلحاد والزندقة المتبادلين، سيكون هذا التعدد ضعفاً، إلاّ أن بقاء واستمرارية الإسلام كدين سماوي قادر على أن يشمل الوجود الأرضي بمفاهيمه يدين لهذا التعدد، والتعددية نقطة قوة ومرونة في الإسلام وأصوله، فهو احتوى ثوابت، ولكن هذه الثوابت يحركها المسلم حسب فهمه لها، وبالتالي كان هذا التعدد في الرؤى والفهم لـ«دستور العدل الإلهي الشامل»، هو الذي أعطى الإسلام حيوية أزلية ومستمرة، وهو رائع وذروة الديموقراطية والعدالة إذا لم يأخذ بمفهوم: «لكي أكون أنا عليَّ إلغاء الآخر»، وهكذا تعدد يؤسس

في هدم الكثير من الرؤى والمفاهيم التي كانت أساساً للمضامين الحضارية في الإسلام.

أما تعدد الرؤى إلى النظام السياسي الإسلامي فهو حق، فكل مذاهب الإسلام وطوائفه مقرّة بدستور العدل الإلهي الشامل وبمضامينه الحضارية، والخلاف هو على النظام الاجتماعي أو الدولة التي ستقام على أساس هذا الدستور، وهذا الخلاف لا يجيز لأي طرف إلغاء الطرف الآخر، ولنتصور معاً كم يكون مجلس الشورى الإسلامي عادلاً وقوياً حين يشمل ويحتوي كل المذاهب الإسلامية معاً من أقصى ما اصطلح على تسميته «اليمين» إلى أقصى «اليسار»، من المغرقين في العقل إلى المغرقين في النقل، من المغرقين بظاهر الإسلام إلى الغائصين في باطنه.

إن المسلمين اختلفوا على فهم الدستور الإلهي الشامل، وهذا الاختلاف في الرؤى هو الذي أبدع فلسفة العرب والمسلمين، فكان نقطة مضيئة في تاريخ الإسلام، وإن وصل في مرحلة ما إلى الاقتتال، أما الآن وفي عصر الاتصالات والحوار الثقافي والثقافة

الإلهي الشامل ما يثبت ذلك، حين خاطب الموحي الموحى إليه بهذا المضمون الحضاري إلهام الموجود في القرآن العظيم ومنها: «وما أنت عليهم بمسيطر» و«لا إكراه في الدين».

إذاً علينا أن نتخلص من أن ما نراه نحن هو الحق، وما يراه الآخر هو الباطل «وهذا ما يحصل حتى في مجال الأحزاب السياسية»، إن ما يراه الآخر يضيف إلى رؤيتنا رؤية جديدة تستطيع أن تضيف إلى رؤيتنا شيئاً آخر.

هذه الرؤية الجديدة الشاملة والعادلة والمطبقة للمضامين الحضارية لدستور العدل الإلهي الشامل هي التي ستجعلنا نعيد قراءة الإسلام بكليته وشموليته لكل مذاهبه، وبالتالي الخروج بنظام اجتماعي أو دستور إسلامي حقيقي يستمد مضامينه الحضارية وقوته من الدستور الإلهي الشامل.

ولقد أدرك نبينا العظيم محمد هذه الرؤية فحافظ على تعدد الآراء ولم يقمع الرأي الآخر، وبنى دولته على أساس حرية الرأي الآخر وحقه في المشاركة في بناء هذه الدولة، وحافظ خلفاؤه على بعض

الشامل، مطبقة من خلال النظام الاجتماعي الذي بناه الرسول الأعظم محمد بن عبد الله من خلال فهمه الشامل لهذا الدستور، أما ما حدث فيما بعد من شروخ فردية أدت إلى تفكك هذا النظام واستقلال كل لبنة بما تراه صحيحاً، والقمع وردة الفعل عليه، فجر الإسلام كنظام اجتماعي من الداخل، وأدّى إلى انهيار دولته لأنها ابتعدت عن المضامين الحضارية لدستور العدل الإلهي الشامل.

وما أراني قادراً على اتهام أي مذهب أو طائفة أو فرع من فروع الإسلام بالكفر والإلحاد، لأن الخالق هو القادر على أن يميّز ويحاسب ويعاقب رؤية هذا الطرف على صراطه المستقيم، ولا علاقة لي بذلك إلاّ من حيث علاقة هذا الآخر بي «أي علاقة دنيوية اجتماعية»، أما العلاقة: «الأخروية» أو الروحية فلماذا لا تترك لمبدع هذا الدستور الإلهي الشامل يحكم فيها؟! إنما تدخلنا في صلاحيات الخالق جعلنا نتناسى مضامين دستوره، وأغرقنا في متاهات أدّت إلى التمزق والتشتت، فالإسلام بصورته الحالية البعيدة جداً عن المضامين الحضارية لدستور العدل الإلهي الشامل، غير قادر على إقامة أي عدالة لأن معظم [illegible] غير عادلين،

الجامع، فما الذي سيطبقه أبناء قوميتهم من معتنقي باقي الأديان السماوية؟ هل نقيم نظام الكنيسة؟ وبالتالي نكون ساهمنا في شق صف أبناء الدولة الواحدة أو الأمة الواحدة! وكلنا يعرف أن الدول العربية جمعاء لا تخلو من أقلية أو أكثرية تدين بغير الديانة الإسلامية، والديموقراطية إذا كانت عادلة وشاملة تكفل حق كل أبناء الأمة وتتيح لهم أداء واجبهم، وإن كانوا يعتنقون ديانة مغايرة للإسلام أو حتى معارضة لها.

ج ـ أليس من السهل على الانتهازيين والوصوليين أن يخترقوا هذا النظام بسهولة أكثر من أي نظام آخر؟ وهم القادرون على التلون كما تشاء الألوان، وخصوصاً إذا كانوا على صلة مباشرة مع بقية أبناء الأمة؟!

د ـ إن مشكلتنا الأساسية نحن كمسلمين وكعرب تكمن في الهوة التي تفصل بين ما نحمله من أفكار وعقائد وقيم نظرية، وما نطبقه على واقعنا المعاش؟! وهذه العلاقة بين

المجتمع، ونتمسك بروح القبيلة التي تعتبر شيخها، مهما كان عادلاً أو جائراً، هو الملاذ الوحيد والمدافع الوحيد عن حق قبيلته ولا يتنازل مطلقاً عن هذا المكسب.

وأخيراً..

إننا نرى أن النظام المتاح أو الممكن للتغلب على ما تراه وما نراه جميعاً من معضلات سياسية واجتماعية واقتصادية ودينية أيضاً هو النظام الديموقراطي. كيف؟ علينا أن نبحث في جزئيات بناء هذه الديموقراطية، وتكوين نظرية سياسية واجتماعية واقتصادية لها فغياب الرأسمال لدينا لا يعني غياب الرأسمالية، وغياب التصنيع والعمل لا يعني غياب الطبقة العاملة، إن مجتمعنا العربي يسير أو سار على طريق حول فيه كل القوى العاملة المنتجة إلى طبقة أو شريحة من الموظفين التابعين حكماً لجهاز الدولة ونظامها، فهم مسيرون وتابعون بإرادتهم أو بدونها، إذ يرتبطون بلقمة العيش والحد الأدنى من مستوى المعيشة، فيقفون عاجزين عن إبداء رأيهم صراحة حتى لو كان نظام الجامع موجوداً، إذ يعتبر هذا الرأي

المجتمع تضيف إلى وجهة نظرنا إضاءات إيجابية، حينها تتلاقى الأفكار والآراء والمصالح والتطبيق، وحين نفكر جميعاً معاً، لا بد أن نبدع نظاماً ديموقراطياً نابعاً منا جميعاً ولنا جميعاً.. ونحن ككتلة بشرية واعية وقادرة على خلق المعجزات، والمعجزات التي ننتظرها ونسعى إليها هي نظام قادر على بوتقتنا جميعاً.. لأننا كلنا أجزاء هذا المجتمع، ونحن أمة واحدة.. وهذه الأرض تتسع لنا جميعاً.. المهم أن نفكر بعقلية تقول: إن المجتمع مكوّن من أفراد معاً يبنون المجتمع ولن يستطيع أي فرد بمفرده أن يقيم مهما كان عبقرياً مجتمعاً حراً يسوده العدل والمساواة.

المقال الخامس

صوت صارخ في البرية(*)

يوناثان كتّاب
فلسطين

لقد قرأت بشغف واهتمام مقالات الدكتور الصادق النيهوم والتي تعرفت عليها لأول مرة من خلال كتابه «صوت الناس/ محنة ثقافة مزورة»، ثم من بعض المقالات في مجلة «الناقد» والتي تعرفت عليها من خلال استفساري عن كتابات الصادق النيهوم ومن ثم قراءة كتابه الأخير «الإسلام في الأسر»[1].

ورغم اقتناعي بصحة تحليله وانتقاده لما آلت إليه الأمة العربية

١ ـ أين هو مكان غير المسلمين من هذه الديموقراطية؟ وكيف يمكننا ضم الخمسة عشر مليون مسيحي ونيّفاً في الأمة العربية إلى هذا النظام الجديد؟ أم إنهم سوف يبقون على الهامش؟

٢ ـ ما هي الآلية التي تتحول بموجبها الديموقراطية المباشرة، والتي يمكن تصورها في جامع واحد يجمع أهل حي معين مرة كل أسبوع للتداول في أمورهم الاجتماعية، إلى قرار عام يتخذه المواطنون بمجملهم في مدينة صغيرة أو كبيرة كالقاهرة مثلاً، أو في إقليم أم في دولة، ناهيك بمجموعة الدول العربية وربما الإسلامية أيضاً؟ إن الديموقراطية المباشرة كان من الممكن تطبيقها في مجتمع أولي بدائي صغير، لكن مع توسع رقعة الدولة الإسلامية، لربما كان من الحتمية أن تتحول الأمور إلى مركزية، أشار إليها بالتفصيل الدكتور الصادق النيهوم، حين شرح كيف أخلّ الأمويون، ومن بعدهم بقية الحكام العرب والمسلمين بمبدأ الديموقراطية الجماعية. لقد كان لهذه الديموقراطية ما يشوبها قبل

واحد وأمام منبر واحد، فهل يتوقع فعلاً أن يقرر المسلمون المجتمعون في جامع مدينة الكويت أو في جامع أبو ظبي مثلاً، الشيء نفسه الذي يقرره المسلمون المجتمعون في الخرطوم أو جنوب السودان أو في قرية شيعية في جنوب لبنان أو موريتانيا مثلاً؟ وإذا قرر مسملو دول النفط خلاف ما يقرره مسلمو موريتانيا والصومال (وهذا ما يجب أن نتوقعه لأنهم يعيشون تحت ظروف اجتماعية واقتصادية مختلفة) فهل يضمن اجتماعهم في ديموقراطية مباشرة، كل في جامع، أي صيغة مشتركة لحل مشاكلهم؟

٣ ـ كيف نضمن سلامة هذا الاجتماع من الديماغوجية والتي بوساطتها يتمكن الأقوياء أو الخطباء المفوهون، أو من يحسنون استغلال مخاوف أو مشاعر الآخرين من الوصول ما يرغبون به أصلاً، حيث لا يختلف الوضع في الديموقراطية المباشرة عن الوضع الذي نجده في وسائل الإعلام المسخرة لصالح هذا النظام أو غيره وهذه المصلحة

فسواء كنا نعني حرية الفرد أو حقوق الأقلية أو حقوق الصغار أو الشيوخ أو المرأة أو غير المسلمين، أو كنا نتحدث عن غيرها من حقوق الإنسان التي يجب أن تضمن دستورياً، وتقيّد وتحدد الحكومة قضائياً، عبر إيجاد جهاز وآلية قانونية لضبط تصرفات الحكومة، وكائنة من كانت، فإن مجرد تحويل السلطة إلى الجامع في ديموقراطية مباشرة، بحد ذاته، لا يضمن بالضرورة حقوق هؤلاء المستضعفين.

تعقيب المؤلف

الأبعاد الخفية(*)

السيد يوناثان كتّاب

نظام الجامع ليس بديلاً عن العمل الحزبي، بل قاعدة معدة لضمان فعالية العمل الحزبي بالذات، من دون الإخلال بحق الأغلبية في اتخاذ القرار النهائي. فالمشكلة في نظام الأحزاب، كما ولد في دول الغرب، أنه نظام قام لتلبية مطالب رأس المال الذي وفرته الثورة الصناعية واستيطان القارة الأميركية، تحت ظروف تاريخية خاصة جداً، لا يمكن تكرارها حتى بالصدفة. ولهذا السبب، لم يتمكن نظام الأحزاب من ضمان حق الأغلبية

محددة، وليس في وسعها أن تتخذ قراراً لا يوافق مصالح الغربيين، من دون أن تتعرض لعقاب مروع. ولهذا السبب يموت اليهود دفاعاً عن أسهم بريطانيا وفرنسا في قناة السويس. وتتطوع مصر لحماية شيوخ النفط، وليس أطفال غزة. وتعمل كوريا الجنوبية مثل حصان طروادة لتمرير رأس المال الأميركي تحت حماية شركات وهمية، لاستنزاف العالم الثالث باسم «المعجزة الاقتصادية».

حول هذه النقطة، نستطيع أن نختلف إلي ما لا نهاية. فمن حقك أن تصر أنني مخطىء. ومن حقي أن أقول، إنك لا ترى أبعاد الصورة الخفية. لكننا نستطيع أن نحسم الخلاف عملياً، إذا اتفقنا على أن الوقاية خير من العلاج، وأن أفضل ضمان لحماية العمل الحزبي من النفوذ الأجنبي أو المحلي، هي أن يختص الحزب بالإدارة فقط، فيما يظل التشريع وديعة بين أيدي الناس، بحيث لا يستطيع حزب أو طبقة، أن يصدر قانوناً، أو يلغي قانوناً، أو يتخذ قراراً يتعلق بمصير الأمة، من دون أن يحصل على موافقة الأغلبية، في استفتاء مفتوح، تحت حراسة وسائل إعلامية حرة.

رؤية مفصلة جداً لمعنى الغدل والحق معاً. إنه ليس مواطناً محايداً، تستطيع أن تستميله بوسائل الدعاية أو الإغراء، بل مواطن منحاز إلى العدل سلفاً، مما يجعله أفضل الخبراء في مسائل التشريع، ويمنحه موقع القاضي الذي يطمئن إليه جميع القضاة.

مشكلة هذا المواطن ـ في رأيك ـ أنه مسلم أصولي، من شأنه أن يفرض على المجتمع، شريعة تتبنى التفرقة بين الأديان، وتدعو إلى حجاب المرأة، وتبيح الزواج بأربع، وتعتمد التشرذم بين مذاهب الفقه، والعودة إلى تقاليد القرن السابع باسم المحافظة على السنّة النبوية. وهو اعتراض حقيقي، وثابت بالتجربة في كل ما فعله الأصوليون حتى الآن، ومصدر قلق بالنسبة إلى مسيحي مثلك، ومسلم مثلي، على حد سواء. لكن ذلك يعني ـ فقط ـ أن خلاصنا يكمن في إحياء دور الجامع بالذات.

فهذا الرجل الأصولي الذي نشكو من تخلفه على جميع الجهات، مجرد نتيجة تلقائية لغياب الشرعية عن واقعنا. وما دام الإسلام قد فشل فى إقرار حق المواطن فى الحرية والعدل، فلا مفر من أن

المقدس الذي لا طائل من ورائه سوى أن يظل بديلاً شرعياً عن العلم بالذات.

في ضوء هذا الواقع، لا بد أن أوافقك على القول، بأننا لا نستطيع أن نضمن سلامة اللقاء في الجامع، من هجمة أصولية تحيله إلى جبهة لفرض تقاليد القرن السابع على مجتمعنا وقوانيننا، باسم حرفية النص القرآني، أو باسم المحافظة على السنّة النبوية. لكن ذلك لا يعني أن نقبل الحكم قبل المداولة، خاصة أننا أصحاب حق واضح، وأننا نملك إلى جانبنا نص القرآن الذي جعل العدل شرطاً لتطبيق الشريعة، بموجب مبدأ «مسؤولية الناس عما كسبت أيديهم». وهو شرط يستحيل الوفاء به من دون إقرار حرية الرأي، وضمان حق النقد والحوار، لكل مواطن، وكل مواطنة.

أخيراً، اسمح لي أن أعود فأذكر بالحقيقة التي نسيها جميع المشاركين في الردود هنا. وهي أن [الجامع] ليس هو [المسجد] الذي يؤمه المسلمون وحدهم، بل هو مقر إداري موجه لإقامة العدل وليس لإقامة الشعائر. إنه مؤتمر ترتاده كل طوائف المجتمع بغض النظر عن انتماءاتها العرقية والدينية، مهمته أن يجمع الناس

الفصل الثامن

الرد الأول

ماذا أبقيتم للمرحوم هتلر(*)

عبد الحميد الخلف الإبراهيم
سورية

أعلن هنا خطيّاً إعجابي بسميح القاسم فهو شاعر وكاتب ذكي وطريف وجاد. وممتع وعميق في آن.

ولعل أكثر ما يعجبني في سميح القاسم سماحته العربية وقسماته الفلسطينية.

ثم إن سمة مشتركة بيننا تجعلني أحسّ وكأنه صديق حميم رغم أننا لم نلتق إطلاقاً، وأعني سمة الهوس الإسلامي الحقيقي والعاقل.. بل إنه هوس عاقل أو إنها عقلانية مجنونة تدفعنا إلى

وكل ما في الأمر أن خطأ غير مطبعي في مقاله الأخير؟[1] لفت نظري بشكل فاقع وصارخ، ودفعني إلى الذهاب لأقرب مرآة في البيت لأتمتّع بملامح الدهشة الشديدة التي اعترتني والتي يندر أن تصيبني في هذا الزمن المدهش النادر (أنا لم أذهب إلى المرآة ولم أتمتع ولعل سميح القاسم لم يذهب ولم يتمتّع أيضاً ولكنه كلام شعراء!).

بلا طول سيرة فقد ردّ أخي سميح القاسم على أخيه الصادق النيهوم آخذاً عليه أنه جعل «الأكراد والدروز» ضمن الأقليات العرقيّة في الوطن العربي. وقال أخي سميح القاسم (سميح القاسم ليس أخي فهو أكبر من أن أدّعي أخوّته ولكني استعمل عباراته:

> [إن صيغة «العرب والدروز» أو «العرب والمسيحيون» واردة بحضور ملحوظ في الإعلام الإسرائيلي، وقد تكون واردة في إعلام الروم والفرنجة حيث يظن القوم (لا يظنون ولكنهم يريدون) أن العرب هم المسلمون والمسلمون من أهل السنّة فقط، كما يبدو، لأنهم في هذه الأيام يتحدّثون بغزارة عن «الأكراد والشيعة» في العراق وكأنهم وحدتان قوميتان، حتى ليجوز في عرف هؤلاء الحديث غداً عن القومية السنيّة!!].

> هذه الأسرة ثابتة وموثّقة ومؤصلة لتسعة قرون فقط لا غير. والأغلبية الساحقة من الدروز الذين أعرفهم يعرفون هم أيضاً أنهم من العرب العاربة. وهناك عائلتان أو ثلاث من العرب المستعربة أسوة بأسر لا تُعد ولا تحصى في أمتنا العربية التي تُعد وتحصى].

وتابع أخي سميح:

> [إن مسألة الانتماء العرقي والقومي هي مسألة علمية موضوعية بيولوجية أنثروبولوجية، ولا تستطيع الرغبات أو الهواجس أو العواطف أن تغيّرها أو أن تبدّلها تبديلا...](!!!!!!).

يا أخي سميح: لا أحد يشك في عروبة الدروز فإن عروبة «بني معروف» معروفة وموثّقة ومؤصّلة لثمانية عشر قرناً فقط، عند القاصي والداني والعدو والصديق والغابط والحاسد والحاضر والغائب.. وإن أخاك الصادق النيهوم أخطأ حين جعل الدروز كالأكراد أقلية قومية!

إن الدروز عرب أقحاح ولكنهم ـ بالقياس إلى الأكثرية السنيّة من العرب ـ أقلية دينية أو مذهبيّة (وإن كنت أنا إلى اليوم أجهل أسرار دينهم أو مذهبهم الإسلامي على الرغم من وجود أصدقاء حميمين

بلاد التركمان. وقردستان بلاد القرود.. ولا فضل لعربي على كردي إلاّ بالتقوى. ومن حق الأكراد أن تُرفع عنهم الوصاية وتزاح عنهم الانتدابات، ويكون لهم حق تقرير المصير الذي كتب عنه الرفيق لينين ـ رحمه الله ـ الكثير الكثير.

وعلى الأكراد داخل البلاد العربية ـ إن لم يكونوا عرباً مثل صلاح الدين الكردي ـ أن يعودوا إلى وطنهم الأم كردستان، ليساهموا في تحريره مغتنمين فرصة النظام العالمي الجديد، إن وجدوا فيه من يعاملهم كبشر لا كوسائل لتحقيق المخططات الأميركية فقط؛ وعلى كل كردي لا يشعر بالعروبة أن يفعل ذلك حتى لو كان الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي!

وكذلك شأن الأقليات العرقية الأخرى كالأرمن والشركس والتركمان والشاشان.. فقد انتهى الانتداب الروسي أو كاد، على أوطانهم. وعليهم ـ إن لم يكونوا عرباً كصلاح الدين الأرمني أو الشركسي.. إلخ ـ أن يرحلوا إلى أوطانهم المحررة حديثاً. أما إذا كانوا يشعرون بعروبتهم ويمارسونها فعلاً فإن أحداً ـ كما أظن ـ لن

الملايين من الأسر التي لا تجد في (أنساب ابن الكلبي) ما ينسبها إلى اليمن السعيد أو العراق التعيس؟!

هل ستقترح على الجامعة العربية سحب الاعتراف من الأسر التي لا تعلّق في صدر البيت شجرة نسب تلحقها بعدنان أو قحطان؟!

لا أظن العروبة يا أخي سميح السميح، إلاّ شعوراً ثم سلوكاً يصدّق هذا الشعور.. وأنا شخصياً أنتمي إلى أسرة تركمانية لا تمتلك شجرة نسب عربية. ولكني لا أعتقد أن أحداً في هذه الأسرة بحاجة إلى (شهادة حُسن سلوك) من أحد ليثبت عروبته. أما إذا كنتم تصرّون على المسألة البيولوجية فمن حقّنا أن نسأل: ماذا أبقيتم للمرحوم هتلر؟ ثم ماذا تقولون في سيبويه والفرّاء وابن جني والزمخشري؟ ثم ماذا تقولون في عماد الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي وخالد بكداش وأرتين مادويان؟!

وقال معمر القذافي في حوار مع طلبة كلية الطب بالجامعة الليبية يوم الاثنين ٤ من ربيع الثاني ١٣٩٣هـ ـ الموافق ٧ من أيار/ مايو ١٩٧٣: (أول من أدخل من المسلمين في الوطن العربي الحركة

ممكن نجمع أمة ونجمع عشرين مليوناً ونعمل بهم أمة كرديّة.. هذا اتجاه قومي)[٢].

والقذافي محقّ في كلامه فإن قوماً ممن لا ينتمون بيولوجياً إلى الأمة العربية، قادتهم نعرتهم الأقلوية إلى التعبير عن رفضهم للقومية العربية، باللجوء إلى أمر مضاد للوجه الآخر للعروبة، بل للوجه الأساسي للعروبة: أي الإسلام (وهذا بالطبع لا ينفي العروبة عن العرب غير المسلمين).

وظنّ قوم آخرون أن الإسلام ينافي العروبة فرفعوا راية الإسلام الشعوبي!!

وجاء أخي سميح أخيراً ليقول: (إن الانتماء.. القومي.. مسألة بيولوجية..).

من حق المذاهب الدينية والتيارات السياسية، أن تتحاور وتتراجح على هواها. لكن ليس من حق أحد القول: إن الملك بوش بن عبد الكلاب ليس أميركياً وليس من حق فرانسوا ميتران القول: إن جورج حبش ليس مسيحياً. وليس من حق الصادق النيهوم القول:

الرد الثاني

تجني النيهوم(*)

عدنان بركة
سورية

أرجو أن تسمحوا لي كقارىء متتبع لما تكتبه مجلة «الناقد» أن أبدي بعض الملاحظات على ما جاء في مقالة الصادق النيهوم. فلقد قرأت هذه المقالة وغيرها من مقالات هذا الكاتب وأعجبت بما فيها من أطروحات قد أتفق مع بعضها، ولكنني أختلف معه حول بعضها الآخر.

النقطة الأولى تتعلق بعرضه لمفهوم القومية (Nationalism) يطرح السيد النيهوم حول هذه النقطة مفهومين، فيقول إنها تعني (قومية) في قاموسنا السياسي المعاصر، وهذا أمر مُقرّ ومعترف به من قبل

الفلسفي المختصر مبدأ أيديولوجي سياسي ينعكس في أفكار وتصورات من التفوق القومي والتفاضل بين الشعوب، والانعزالية القومية والعداء والكراهية بين الأمم[٤].

والمنهل يرى بأنها نزعة قومية[٥]، بينما يؤكد المُنجد أنها مبدأ سياسي اجتماعي يفضل صاحبه كل ما يتعلق بأمته على سواه مما يتعلق بغيرها من الأمم[٦]. بعد هذا العرض يمكن القول إنه لم يلحظ ولو مرة واحدة أن هذه الكلمة (القومية) تعني الشعوبية. الكاتب يقول إنها (يمكن أن تعني الشعوبية) فعلى ماذا يستند الكاتب خصوصاً عندما يقول عن مفكري النهضة إنهم لم يعرفوا (ترجمة بديلة سوى كلمة الشعوبية) فلم يلحظ في كتابات الكواكبي وسلامة موسى والأفغاني وغيرهم ما يشير إلى هذه الشعوبية حسبما يرى كاتبنا. وأخيراً أحب أن أذكر السيد النيهوم بأن بعض المفكرين السياسيين العرب يقولون إنها قد تعني (الوطنية) ومن هنا يقع الالتباس لدى العرب بين ما هو وطني وما هو قومي[٧].

النقطة الثانية وهي الأكثر خطورة في هذه المقالة إذ إن السيد

الانفصال). أتفق مع السيد النيهوم بأن العرب المسيحيين لم يجدوا أي تفريق بينهم وبين العرب المسلمين، ولكننا نختلف حول القسم المتبقي ذلك أن الكاتب وقع بمغالطة تاريخية، أثنية دينية عندما جمع الأكراد والزنوج والدروز والأمازيغ معاً وجعل لهم لغات وقوميات خاصة بهم، بينما يتميز الدروز عن هذا الجمع العرقي. إننا لا نهدف إلى التقليل من شأن قوميات الآخرين ولا الانغماس في أشكال من التعصب والنظرة الضيقة بقدر ما نهدف إلى إبراز حقيقة ربما كان الكاتب يجهلها، وهذا أمر مغفور له. فهو لم يكلف نفسه عناء العودة إلى المصادر التاريخية واكتفى بنقل المرويات الشفهية التي تصله من جهات تفتقر إلى الحد الأدنى من المعرفة، وحشر نفسه دون قصد في خانة أولئك الذين يقولون ب(عرب ودروز).

إنني أحب أن أوضح للكاتب ولغيره عروبة الدروز ودورهم القومي في التاريخ فالكاتب قد سمع بوجود قبائل عربية اسمها تنوخ[٨] وإليها ينتسب أبو العلاء المعري الذائع الصيت. ولقد قام الخليفة

كهلان بن سبأ، وهو عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان[٩].

وسكان جبل لبنان الدروز من سلالة تلك القبائل التنوخية العربية التي سكنت بتاتر وخلدة، وبنوا الشويفات، وسكنوا المتن ومنهم الأمراء اللمعيين. وقسم منهم سكن جبل الشوف وبنوا قرى كثيرة، منها البنية، وكفر متّى، وعرمون، وعبية (ومن لا يعرف قصر عبية الذي بناه الأمير فوارس التنوخي).

وكذلك فإن المعنيين عرب دروز ويعودون بنسبهم إلى الأمير معن من العرب الأيوبيين[١٠] بن ربيعة الفرس بن نزار بن معد بن عدنان.

أما بالنسبة إلى وجود لغة قومية يتكلمها هؤلاء فلعمري إنه لا يوجد للدروز سوى لغة وحيدة وهي اللغة العربية، وأعتقد بأن الدروز أحسن العرب نطقاً لها في عصرنا الحالي.

يحشر الكاتب الدروز مع الأقلية القومية ويراهم مع باقي الأقليات بأنهم مصدر دائم للتمرد ودعوات الانفصال، تُرى هل يعتبر

في كتابه تاريخ الثورة العربية أنهم سارعوا إلى العقبة للمشاركة في هذه الثورة وكان لهم دور كبير في عملية دخول الملك فيصل إلى دمشق. وهم الذين رفعوا العلم العربي في دار الحكومة بدمشق عندما وصلها فيصل، وشكيب إرسلان داعية العروبة والإسلام (من أصل تنوخي) منهم وهو معروف بدوره في المغرب العربي.

إن تمرد الدروز ضد فرنسا أمر معروف دون شك فقائد الثورة السورية الكبرى، منهم، وأظن بأن الصادق النيهوم قد سمع به. ولينظر الكاتب كيف أن مؤرخاً مثل فلاديمير لوتسكي يضع رسماً لقائد هذه الثورة على غلاف كتابه[١٢].

يقول لوتسكي في كتابه هذا:

> «وتحول جبل الدروز آنذاك بفضل نضاله الصلب وتضحيات سكانه من أجل سيادة سوريا كلها ووحدة أراضيها وأمانيها القومية العربية إلى جبل العرب كل العرب رافضاً كل التقسيمات والتسميات الطائفية التي أوجدها هذا الانتداب»[١٣].

وبيان الثورة الأول بقيادة سلطان الأطرش يقول:

> «يا أحفاد العرب الأمجاد»

السورية الذي يعتمده لوتسكي في كتابه السالف الذكر يقول على لسان قائد الثورة:

> «لقد نهب المستعمرون أموالنا واستأثروا بمنافع بلادنا وأقاموا الحواجز الضارة بين وطننا الواحد، وقسمونا إلى شعوب وطوائف ودويلات وحالوا بيننا وبين حرية الدين والفكر والضمير».

وأخيراً أحب أن أشير إلى قائد الحركة الوطنية اللبنانية الشهيد كمال جنبلاط وإلى دوره المعروف في العمل الوطني اللبناني والعربي، وإلى عصيان وتمرد دروز الجولان ضد الغاصب الصهيوني في ١٤ شباط ١٩٨٢ وذلك بعدما أصدرت إسرائيل في شهر كانون الأول ١٩٨١ قراراً بضم الجولان وتطبيق الهوية الإسرائيلية على عرب الهضبة.

إن الصادق سيغير رأيه لو قرأ بيانهم في ١٤ شباط[١٥] وتعرف عن كثب على عصيانهم. بعد هذا لا أعتقد أن الصادق النيهوم وغيره يمكنه أن يشكك في عروبة الدروز ونسبهم ودورهم في رفع لواء الحرية. وحبذا لو يكون النيهوم قادراً على ذلك.

وفي نهاية مقالته يقول: (وسوف يكتشف العرب أن كلمة الجامع هي الترجمة العربية الضائعة لكلمة برلمان). ترى هل سينطبق هذا الكلام على كل العرب بمن فيهم المسيحيون؟ إن كلام الصادق عن دور الجامع يشبه من الناحية الشكلية مثالية ميشيل عفلق في تصوره للأمة. ثم كيف يمكن للجامع أن يولد القوة الدستورية القادرة على تصفية الإقطاع ومراكز القوى؟ وهل جماهير الجامع هي التي ستطلق الثورة الصناعية وتقيم الدولة القومية الموحدة والديموقراطية؟!

إنني لست ضد الجامع وبإمكاني أن أتصور الدور الذي يمكن أن يلعبه إيجاباً فيما لو ارتبط الجامع وجماهيره بمتطلبات عصرنا. وسلباً فيما لو بقي مع جماهيره يلعب دوراً طقسياً ألفه منذ القرون الأولى للإسلام وكرسه الإسلام السياسي السلفي السلطوي.

الرد الثالث

حمم البركان(*)

ناطق البياتي
العراق

شكراً للنيهوم، الذي كسر طوق «الناقد» ولا نقول تقليدها في حصر موادها بالكتّاب الذين تكلفهم رسمياً فقط... وبما أن عنوان المقالة هو عن «الديموقراطية» تلك المفردة التي يسيل لها لُعابي كلما سمعتها وكأنها قطعة حلو لا يُراد لها أن تدغدغ حاسة الذوق لدينا، وبما أن «الناقد» تُعنى بإبداع الكاتب وحرية الكتاب، وبما أن مقالة الأستاذ الصادق ستثير جدلاً... لذا وجدت نفسها تضع ملحوظة صغيرة في الزاوية السفلى وبالخط الناعم إلى يمين المقال تطلب الرد وأطلقت العنان

سكان المزرعة لأرى وأسمع «البركان».. فقد زاد الرجل الطين بلة حينما قال: إن المواطن العربي مثل أي مواطن آخر في العالم ـ بسيط التركيب ومطالب هذا المواطن هي أيضاً مثله بسيطة التركيب وأخذ يقص علينا ـ الأمن ـ العمل ـ المواصلات ـ المؤسسات الصحية ـ المدارس والمؤسسات التعليمية ذات المناهج العلمية ـ صحافة وأجهزة إعلام حرة ـ حرية ـ حرية التعبير والنقد ـ حرية التجمع والاشتراك ـ وأنهى هذه الخلطة البسيطة التركيب كما وصفها قائلاً: «هذه هي مطالب مواطننا العربي». ألم أقل لكم إنها مطالب بسيطة التركيب؟!... مَنْ قال لك أيها البركان أن المواطن العربي بسيط التركيب؟ فوالله لم أجد ولم أر أكثر تعقيداً من المواطن العربي في حياتي ـ هذا المواطن يا سيد بركان لا زال بعد أكثر من ألف عام على ظهور الإسلام يختلف مع أخيه المواطن على تفسير وتأويل آية من آيات القرآن. وهذه المطالب التي تسميها بسيطة هل هي بسيطة فعلاً؟! إنها شروط المدينة الفاضلة التي تنادي بها يا سيدي ـ مدينة جدك أفلاطون التي لم تولد بعد.. إنها الشروط التي يتمناها أي إنسان على وجه هذه المعمورة..

وكيف تصف مجتمعين حاملين أرقى حضارات العالم بأنهما على درجة عالية من التخلف؟ جازاك الله خيراً..

لم يُفلح بركانك إلاّ في الحُمتين الأخيرتين ١٣ و١٤ فقد كانتا باردتين. قبل أن أنتقل إلى «الصادق النيهوم» لا بد أن أذكر «البركان» بأن ما من شيء استفزني في مقالك سوى كلمة «الجماهير العربية» التي رددتها أكثر من مرة فمعذرة فإني لا أطيقها، ألتمس إليك أن تستخدم أي عبارة أخرى مع احترامي لل جما...... العر......

مقالة «الصادق» تحمل افتراءً وتناقضاً في بعض جوانبها وتجاوزاً في بعضها الآخر... ولكنه على أية حال جعلنا نقرأ ونفكر ونكتب..

١ ـ لقد حصر «الصادق» الديموقراطية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب وفاته أن الخلفاء من بعده عملوا بهذا المبدأ لا سيما الخليفة علي بن أبي طالب. فمفهوم الديموقراطية هو واحد قديماً وحديثاً، فخواص الماء ومكوناته هي نفسها منذ الأزل.

اللغوي بل إن في القرآن سورة الشورى وسورة الأحزاب فهما دليل على ما أقول.

٣ ـ نعم إن الحكومات العربية لا تستند إلى الشريعة وهنا لا نضع اللوم على الشريعة نفسها بل على الحكومات.

٤ ـ نعم إن القرآن هو دستور العدل الإلهي الشامل والحديث مكمل له وأنا شخصياً أرى الاجتهاد أمراً ضرورياً وعملياً للتعامل مع متطلبات الحياة.

٥ ـ الذنب ليس ذنب القرآن في تحقيق أو عدم تحقيق العدالة وإنما ذنب الذين تركوا الكتاب (القرآن).

٦ ـ إن هذه النصوص «القرآن» تستحق التمجيد لأنها نصوص متكاملة مُتراصة في وصف وتحليل نُظُم اجتماعية، اقتصادية، سياسية، روحية وإنها متكاملة لأنها إلهية ولا يأتي شيء ناقص من شيء كامل وحاشا الله أن يكون ناقصاً. «وإنك لتلقى القرآن من لدُن حكيم عليمْ» سورة النمل الآية ٦

الطقوس إلاّ لتشذيب وتهذيب النفوس والتقرب من المعبود زُلفى..

٨ ـ أما المعجزات فهي من عند الله خص بها عباده المخلصين، وهم الأنبياء، فمعجزة موسى عصاه وأنه كلّم الله، ومعجزة عيسى أنه تكلم في المهد صبياً، وحملته أمه ولم تك بغياً، ومعجزة محمد(ص) القرآن الذي عجز العرب ومنهم البلغاء على الإتيان ولو بآية واحدة من مثله. وكذلك الأنبياء الآخرون كل خصه الله بمعجزة.. أما الخرافات فلا وجود لها في الإسلام: «بسم الله الرحمن الرحيم علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان» الآية ١ إلى ٤ من سورة الرحمن. فالخرافات إن وجدت فهي من صُنع صنيع لترويج تجارة أو سياسة أو مراد.

٩ ـ أما حق المواطن في الإشراف على الحكم فهو أمر ليس له علاقة في أركان الإسلام وإنما جاء ضمن الفلسفة الإسلامية ولا أجد نظاماً ديموقراطياً أعطى الإنسان حقه

بالفقهاء كما أن التطبب مناط بالأطباء. أما الأحكام أو الفتاوي التي ذكرتها في المبدأ الأول بشأن معاملة العبيد والجواري وقطع اليد إلى غير ذلك فهي أحكام موجودة في القرآن فالفقيه لم يأت بشيء من عنده. أما بشأن الصحافة والاطلاع على ما يجري في دهاليز الحكومة فهذا أمر له وجهان.. فيا سيدي لا يخفى عليك أن السياسة حاولت أن تبتعد عن الدين ليس في الشرق بل في الغرب أيضاً. فقد كانت سلطات كثيرة في يد الكنيسة بل السلطة هي الكنيسة بمفهوم آخر ولا يمكن للحكومة أن تتخذ قراراً دون الرجوع إلى الكنيسة فإما أن ترفضه أو تباركه... وهذا ما حدث ويحدث في الشرق وعند العرب بشكل خاص، إذ حاول الحكام التقليل من تأثير الدين ورجال الدين وإبعادهم عن الحكم ليتسنى لهم الحفاظ على كراسيهم وجاههم.

المسألة بشكل وجيز هي أن الدين والسياسة ضدّان أو

أن الرسول(ص) والخلفاء من بعده كانوا رجال دين وسياسة واقتصاد فأين التضارب في هذا؟!

فالفقيه هنا إذاً لا يُفتي بغير ما أُنزل من القرآن أو ما جاء به الحديث الشريف وهذه هي عقليته ولا أعرف هل يكون الفقيه مواكباً لعصرنا إذا ما لبس «الجينز»؟!

والقول الحق هو إن الفقيه «ذو عقلية القرن الهجري الأول» والفقيه «العصري» كلاهما لا يجدان مُتنفساً ولا صوتاً في عصر الكراسي..

١١ ـ الإسلام فكر يؤمن بالشورى «البرلمان»، ولكنه لا يؤمن بتعدد الأحزاب. ومن قال إن الديموقراطية لا تتحقق إلاّ بتعدد الأحزاب؟!

هل كان محمد، ديكتاتورياً؟! هل كان يُعلق صوره على جدران الكعبة؟ أو في شوارع مكة؟ وهل كان يُطالب الناس بالتمجيد والتغني به؟ كان محمد يرفع شعاراً واحداً هو شعار «لا إله إلاّ الله».

يُكفر الدين المسيحي وكذلك يفعل الدين المسيحي تجاه الدين الإسلامي، كل يرى في معتقده الخلاص والصحة والتكامل ولا يرضى لأي دين آخر بنسخه، يستثنى من ذلك الدين الإسلامي فإنه الدين الوحيد الذي يرى موسى(ع) نبياً ورسولاً مرسلاً إلى فئة من الناس يُهديهم إلى ما جاء به. وكذلك يرى أن المسيح عليه السلام نبياً ورسولاً مرسلاً إلى فئة من الناس يهديهم إلى ما جاء به. ولم يقتصر على ذلك بل إنه ـ أي الدين الإسلامي ـ يؤمن بالأنبياء والرسل الذين بشروا من قبله «إبراهيم، ويعقوب وإسحق...». إن الدين الإسلامي لا يؤمن بأي شكل من الأشكال بالعنصرية أو العرقية أو اللون وما شابه ليس على لسان القرآن فحسب بل على لسان الرسول والفقهاء أيضاً، بل إنه ساوى بين السيد والعبد، والأبيض والأسود، فبلال كان حبشياً وصُهيب كان رومياً وسلمان كان فارسياً... قال: «سلمان منا أهل البيت» وقال أيضاً: «لا فضل لعربي على عجمي إلاّ بالتقوى».

يا سيدي ما نحن بحاجة إليه الآن هو مصالحة مع أنفسنا أولاً ومع الله ثانياً... عندها إذا خرجت الفتوى من العراق لقيت صداها في الحجاز وكبر لها الأزهر وباركها المغرب العربي قبل مشرقه، وأن نترك خلافنا المزمن «شيعة وسنّة» فالشيعي الصحيح هو السُنّي الصحيح، والسني الصحيح هو الشيعي الصحيح.

﴿وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً﴾[٢].

١٦ ـ وأخيراً أرى أن الإسلام والعرب الآن لا يملكون سوى ممر وحيد واسع مضيء سهل وحافل بالخير يقودهم إلى الصراط المستقيم هو إعلان كلمة «لا إله إلاّ الله» وتُكبر المآذن وتنادي للصلاة من يوم الجمعة فإنه عيد المسلمين ولقاؤهم والإكثار من الصلاة والإكثار من قراءة القرآن فالحروف التي أقسم بها الله في سوره والحروف التي استهل بها آياته لو جمعناها وحذفنا الحروف المكررة منها لكونت لنا جملة هي: «نصرٌ حكيمٌ قاطعٌ له سرٌ».

العبرة ليست في المكان(*)

بسام بليل
سورية

«آخر حكومة ديموقراطية عرفها العرب هي حكومة عمر بن الخطاب».. هكذا استهل الصادق النيهوم مقالته المعنونة «الافتقار إلى لغة الديموقراطية»[1]. ولكي نحكم على أهمية النتائج التي وصل إليها الكاتب في هذه المقالة كان لا بد من أن نتأكد من صحة المقدمات التي سلم بها «النيهوم» تسليم النقل لا تسليم العقل، وإقرار البداهة لا إقرار اليقين.

فهل كانت حكومة عمر آخر حكومة ديموقراطية..؟ وما هي مظاهر

دولة للتأكد من نهجها الديموقراطي، بل يجب دراسة الكيفية التي تعمل بها أجهزة الدولة، والكيفية التي تتصرف بها الطبقات المختلفة حيال بعضها، ومعرفة الطرف الذي يملك السلطة الحقيقية للدولة فعلاً، لتقويم المحتوى الاجتماعي لهذه الدولة تقويماً صحيحاً.

لذلك فإنه يجب على الباحث ألاّ يحكم على حكومة عمر بكونها ديموقراطية لمجرد اقتران لقب الفاروق بعمر، أو لمجرد لبسه المرقع من الثياب، وركضه في الشوارع حاملاً كيساً من السويق على ظهره أو مطاردته لبعيرين ضالين من إبل الصدقة في حر الهاجرة رغم وجود من يكفيه مؤونة هذا العمل. ذلك أن للديموقراطية مفهوماً وهدفاً غير الذي ذكرنا من تصرفات عمر وممارسته اليومية. فإذا ما توصلنا إلى معرفة مفهوم الديموقراطية وهدفها، وتأكدنا من اشتمال الشريعة الإسلامية عليها، تسنى لنا الحكم على حكومة عمر انطلاقاً من مدى امتثاله للدستور الإسلامي المتمثل بالقرآن والواجب الاتباع في أية حكومة إسلامية، من خلال استعراض لمحات من الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية إبان تلك المرحلة. ولما كان

بإنصاف المستضعفين ومشاركتهم في الحكم، فأين حكومة عمر بن الخطاب من هذه المفاهيم؟

كلنا يعلم أن الخلافة قد آلت إلى عمر استخلافاً من أبي بكر الصديق «إني قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا»، فكانت مبايعته بعيدة عن الشورى، ومباينة لمبدأ الاقتراع الجماعي، لذلك فإنه حري بمن وصل إلى سدة الحكم بهذه الطريقة أن لا يكون مديناً للرعية بخلافته، ولا مسؤولاً أمامهم بعقدهم الجماعي بتوليه، خاصة إذا كان يرى مع ما سبق أنه الأجدر بهذا المنصب، والأقدر على أعبائه، كما في خطبة عمر:

> «أيها الناس إني قد وليت عليكم ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم، وأقواكم، وأشدكم استضلاعاً بما ينوب من مهم أموركم ما وليت ذلك منكم».

وحقيق في من يرى في نفسه هذه المقدرة أن يستغني بقدرته عن الآخرين، ويركن إلى رأيه دون المستشارين، وهو يرى أنه من الرجال الذين ترد إليهم الأمور فيسددونها برأيهم، وليس من الذين

الخلفاء، وطغيان فرديته وثقته بنفسه على كل ما هو ديموقراطي في تفكيره.

ولما يتمتع به عمر من مواهب عقلية، واستقامة، وعدالة، فقد استطاع أن يوفر التوازن لفترة حكمه على الرغم من فرديته، بأن اجتهد برأيه واستخار الله بعمله وقدرته أن يلهمه العدل ويعينه على الصواب، فوفق إلى حد كبير من حيث النتيجة، وإن جانب الديموقراطية من حيث الوسيلة، ذلك أن ما كان يهم عمر في الحقيقة هو إرضاء الخالق لا المخلوق، وخوف مسخطة الله لا مسخطة العبد، لأن مصدر الشرعية في حكومة عمر لم يكن الشعب وإن كان رضي بهذه الحكومة، وإنما الإرادة الإلهية وسلطان القوة. وقد تجلّت وجهة نظر عمر في هذا الشأن، لا سيما فكرة الشرعية المستمدة من الإرادة الإلهية في الكثير من خطبه وأقواله وقراراته. فقد جاء في إحدى خطبه:

«فإن عمر أصبح لا يثق بقوة ولا حيلة إن لم يتداركه الله عزّ وجل برحمته وعونه وتأييده».

وفي هذه الخطبة نرى عمر واثقاً بقوته المؤيدة من الله تعالى وحده

في حال معصية الحاكم للخالق فقط، أي في حدود مخالفة الحاكم لما يخالف الشريعة وإن اقترن حكمه بقوة الإكراه، أو كان وصوله إلى الحكم بتفويض من رجل ذي شوكة، أو بتولية الحاكم نفسه.

أما الثيوقراطية في قرارات عمر فقد تجلت في تضييقه لمفهوم الشورى، وتعيينه لمجلس الستة وعدم رغبته في استخلاف علي رغم ما يراه من فضائله وأحقيته لقناعته بأن هذا الأمر عائد لله وحده كما في قوله:

> «أجمعت مقالتي أن أنظر فأولي رجلاً أمركم هو أحراكم أن يحملكم على الحق وأشار إلى علي، فرهقتني غشية فرأيت رجلاً دخل جنة فجعل يقطف كل غضة ويانعة فيضمه إليه ويصيره تحت، فعلمت أن الله غالب على أمره».

وكذلك في موقفه ـ برأي بعض المفكرين ـ من عدم إقطاع الأراضي الزراعية وإبقائها بين يدي أصحابها الأصليين في الأقاليم المفتوحة، انطلاقاً من رأيه المتصلب في إبقاء هذه الأرض فيئاً

يتدخل في كل كبيرة وصغيرة حتى في اختيار الناس لأسمائها، كما في إنكاره على المغيرة تكنيته بأبي عيسى، وإنكاره على صهيب تكنيته بأبي يحيى، لكراهيته التسمي بأسماء الأنبياء. فأي مناخ ديموقراطي هذا الذي كان يعيش الناس فيه في حكومة عمر وهو على ما هو عليه من هذه المهابة والشدة التي يقول فيها الرسول: «إن الشيطان ليخاف منك يا عمر» وقوله: «أشد أمتي في أمر الله عمر».

وهذا المزاج الغضبي الذي يقول فيه خادمه أسلم: «إذا غضب فهو أمر عظيم» ذلك أن جبروت عمر في الجاهلية وتعصبه لدين قومه قد تحول وقد فتح الله قلبه للإيمان إلى تشدد بالحق، وقسوة في تطبيق العدل، فكان عادلاً مستبداً، مؤمناً قوياً، صلبياً حازماً، فظ العلانية مع حسن السريرة، سيّيء الظن مع إمعان النظر، يحاسب على سقطات الألفاظ، ويسأل عما في الضمائر يحدوه إلى كل ذلك طبائع متأصلة لم يمحها الإسلام، وعهد جديد وتحديات مرحلة أخذت بداية الشكل المؤسسي للدولة بما يستدعيه ذلك من

الأمر كما قال علي وعثمان وطلحة والزبير وسعد لعبد الرحمن بن عوف وكان أجرأهم على عمر: لو كلمت أمير المؤمنين للناس فإنه يأتي الرجل طالب الحاجة فتمنعه هيبتك أن يكلمك في حاجته حتى يرجع ولم يقض حاجته.

وهذا الأحنف يقول: كنت مع عمر بن الخطاب فلقيه رجل فقال: يا أمير المؤمنين انطلق معي فأعدني على فلان فإنه قد ظلمني، فرفع الدرة فخفق بها رأسه فقال: تدعون أمير المؤمنين وهو معرض لكم حتى إذا ما شغل في أمر من أمور المسلمين أتيتموه أعدني.. أعدني، فانصرف الرجل وهو يتذمر، ثم رجع إلى نفسه فدعا الرجل وطلب منه أن ينتصف لنفسه ولكن بعد أن سبق غضبه حلمه، وسبقت عقوبته عدله، وكرس في قلوب الناس الخيفة منه.

وهذا طلحة يقول لأبي بكر وقد استخلف عمر: «استخلفت على الناس عمر وقد رأيت ما يلقى الناس منه وأنت معه فكيف إذا خلا بهم؟ وأنت ملاق ربك فسائلك عن رعيتك..!».

بعض المفكرين بأنها أكبر من أن تكون لها خلفية شخصية أو دافع فردي، ملمحين إلى قول عبيد الله بن عمر: «لأقتلن رجالاً ممن شرك في دم أبي» يحمل تعريضاً صريحاً بالمهاجرين والأنصار، ويشير إلى وجود تذمر واستثقال من طول فترة عمر، حتى قال القائل: إن مات عمر سنولي فلاناً.

هذه الملاحظات التي تشير إلى النزعات السلطوية المبكرة في فكر عمر وتصرفاته، قيض لها من المفكرين الإسلاميين من كرسها في دعوة الأمة إلى طاعة السلطان في إطار الانصياع إلى الإرادة الإلهية، أو نوع من من أنواع القناعة والرضا والصبر والتواكل كما عند بعضهم، وليجعل بعضهم الآخر من هذه النزعة السلطوية وقوة الإكراه جوهر الحكم اللذين لا غنى للبشر عنهما للعيش بسلام ودون تفكك وانفصام. وعند هذا الحد يختلط الحق بالباطل، والعدل بالظلم، والحرية بالاستبداد، في غطاء من المبررات الشرعية، ودرء الفتنة ومصلحة الرعية، وزعم الأداء إلى الله الذي يوجب على الرعية الأداء إلى السلطان وتمجيده وطاعته، في استسلام

هذه الحالة لا نكون أمام مشكلة ديموقراطية، وبالتالي لا عبرة في أن يكون المسجد أو البرلمان هو المكان المناسب للممارسة الديموقراطية، مع تحفظنا لجهة تطور أنظمة الحكم وما يقتضيه هذا التطور من مؤسسات حقوقية ودستورية، أما في غياب الديموقراطية فإن المساجد تغدو مكاناً للقمع السياسي والترويج لسياسة الحاكم، ومركزاً من مراكز الفتوى والتبرير، شأنها شأن أية مؤسسة من مؤسسات الحكومة الديكتاتورية.

ففي زمن عمر بن الخطاب، هذا العادل المستبد، سمع قائلاً يقول: إن مات عمر سنولي فلاناً... فساءه ذلك، ورأى فيه جنوحاً في تفكير الرعية، وشططاً في التعبير عن الرأي تأباهما فرديته الطاغية، فلما كانت الجمعة جلس عمر على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن بلغني أن قائلاً منكم يقول: لو مات أمير المؤمنين بايعت فلاناً، فلا يغرن امرءاً أن يقول: إن بيعة أبي بكر كانت فتنة، فقد كانت كذلك، ولكن وقى الله شرها... إلخ. فكانت مصادرة صريحة لحرية الناس في التعبير عن رأيها لا سيما فيما يتعلق بأمور

فأين هذه الديموقراطية من قوله جل من قائل: ﴿وإبراهيم الذي وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى، وأن ليس للإنسان إلاّ ما سعى﴾[٢].

وهذا حِجر بن عدي يدفع رأسه ثمناً لديموقراطية المساجد وقد أنكر على زياد وعلى عمرو بن حريث ما قالاه في مسجد الكوفة، فيسيره زياد إلى معاوية ليقتل صبراً. فالعبرة إذاً ليس في المكان الذي تمارس فيه الديموقراطية، وإنما العبرة في مَنْ يمارس السلطة وكيف بالإمكان نقل هذه السلطة إلى الشعب.

وبالتالي فإن الفشل في ممارسة الديموقراقية ليس سببه فشل تجربة تعدد الأحزاب، أو استلهام الديموقراطيات الغربية، وإنما سببه الجماهير التي أسلمت قيادها، واتبعت قائدها، يحدوها إلى ذلك موروث طويل من الطاعة البهيمية التي أغرت الحكام في استثمار قوتهم إلى درجة الطغيان حتى ليصدق فينا قول عمر بن الخطاب:

«إنما مثل العرب مثل جمل أنف اتبع قائده فلينظر قائده حيث يقوده».

كل ذلك في غياب للأساس الاجتماعي والثقافي للديموقراطية

الرد الخامس

قاتل الله الفلوس!(*)

محمد فروان العيسى
سورية

في رد على النيهوم كتب السيد بسام البليبل مقالة سود بها وجه «الناقد» ليثبت لنا أن النيهوم مخطىء في وصفه لحكومة عمر بن الخطاب بالديموقراطية تحت عنوان: (العبرة ليست في المكان)[1]. والحقيقة أن رد البليبل ينطوي على الكثير من التناقضات ليس مع نفسه وحسب وإنما مع منطق الأمور. وقبل أن أخوض في الموضوع، عليَّ أن أعترف أيضاً أن رده ينطوي على كثير من الصحة لو أنه قال لنا إن المعايير التي سيحاسب عليها عمر هي المعايير التي نتحاسب عليها اليوم. إلاّ أن هذا الكلام ثابت

من ردي هذا دفاعاً عن عمر بن الخطاب لأنه لا يحتاجه. ولا هجوماً على أبي بكر لأنه يجلّ عن ذلك. ولا لشتم معاوية ومدح علي لأن مشاكلهما عاشت معهما وماتت معهما، ولأن التاريخ قد حسم هذه الأمور والزمن قد تجاوزها وأخذت منا الكثير من الكلام والعرق والدم. فما معنى أن نتفق أو نختلف اليوم على موضوع تجاوزه الزمن حسمه التاريخ منذ ما يقارب الألف وأربعمئة عام. ومع هذا فلا ضير من التفاتنا إلى الوراء، على أن نأخذ عبرة أو نقتدي بعلم أو نسقط حادثاً قد يقترب أو يبتعد قليلاً عن بعض ما نعيشه في حياتنا الحاضرة. أما أن نلتفت إلى الوراء لنمدح فلاناً ونقدح في فلان فهذا يعني أن آثار الخلاف الذي اندثر ما زالت في بعض العقول الآسنة والقلوب المريضة.

لا أختلف مع البلبيل في أن النيهوم مخطىء في وصفه لعمر بن الخطاب بالديموقراطي وفق معايير اليوم ولا أتفق معه على أن لا ديموقراطية عمر مثلباً عليه يستوجب التشهير به. وأقول التشهير لأن هذا واضح بين سطور البلبيل في وصفه لأبي بكر وعلي.. إلخ

الدولة ومعرفة الطرف الذي يملك السلطة الحقيقية للدولة فعلاً لتقويم المحتوى الاجتماعي لهذه الدولة تقويماً صحيحاً».

يبدو من هذا الكلام أن البليبل مصرّ على محاسبة عمر بن الخطاب وفق القوانين والأنظمة والدساتير التي يعيش وفقها في قرنه العشرين، وكأن عنوان رده على النيهوم (العبرة ليس في الزمان) ـ قد طوّح بـ (١٤٠٠ سنة فقط) وطواها كما يطوي الطير جناحه ليثبت لنا جريمة عمر الذي لم ينتظر الاستعمارين الفرنسي والبريطاني ليتعلم منهما قمع الناس بوسيلة الديموقراطية وصناديق الاقتراع التي تعمل في قمع الناس بكيفية أفضل من العصا أو (الدّرة). لا أريد لأحد أن يفهم من هذا الكلام أنني ضد الديموقراطية. فالديموقراطية وسيلة إنسانية ناجحة للوصول إلى أسمى هدف إنساني رائع ألا وهو العدل. ومن الممكن أن تستخدم على اعتبارها وسيلة كالسلاح في إحقاق الحق وفي اغتصاب حقوق الآخرين. ومن هنا فإني أعتقد أنه يحق لنا أن نسأل استاذنا البليبل إن كانت الديموقراطية وسيلة أم غاية. فإذا كانت غاية وهي ليست كذلك، فإن عمر لم يبلغ هذه الغاية وفق ما نعرفه اليوم عن

الانحياز، أم أنك كنت تريد أن تضع عنواناً لردك (العبرة ليست في الزمان) فنسيت؟ ثم عن أي دستور تتحدث يا سيدي البليبل؟ وعن أي كيفية لعمل أجهزة الدولة؟ وعن أي مالك للسلطة الحقيقية للدولة وعن أي طبقات؟ وكأنك ترى في بدايات القرن الأول الهجري دولة القرن العشرين بكل تعقيداتها وحكوماتها ودساتيرها وقوانينها وتشعب مصالحها. ولا ترضى بدستور عمر للحكم على هذه الدولة، بل تريد النظر إلى الكيفية التي تعمل بها أجهزة هذه الدولة ومطابقة هذه الكيفية والدستور، وكأن عمر بن الخطاب قد عكف على صياغة الدستور وصاغه على هواه وأخرجه للناس ومارس الحكم بكيفية لا تتفق إطلاقاً وما جاء في هذا الدستور. فأجهدت نفسك لتلصق به تهمة اللاديموقراطية وهو غير بريء منها حقاً. ولكن كيف بنا يا صاح والدستور هو القرآن الكريم وسيرة الرسول وحديثه. وكيف بنا وعمر لم يشذ قيد أنملة عن هذا الدستور الذي يسمى بمجمله الشريعة الإسلامية التي أكدت لنا أنها ديموقراطية حيث تقول:

«فإذا ما توصلنا إلى معرفة مفهوم الديموقراطية وهدفها تأكدنا من

الآية. وإذا تجاوزنا في تفسيرها أسباب النزول فإنها ضمن هذا الإطار تنطبق على المهاجرين الذين طردوا من بيوتهم وأبعدوا عن ذويهم وعلى رأسهم عمر. ومع هذا يظل عمر مذنباً لأنه لم يأخذ بقرآن أرسطو حتى يسلط الفقراء ليتوافق مع مفهومه للديموقراطية. ثم كيف استنتجت أن عمر ليس من جمهور الفقراء. ثم إذا وليناك أمرنا وحاسبنا معك ابن الخطاب وفق مفهوم أرسطو للحكومة، فإن أرسطو يقسم الحكومة إلى نوعين اثنين لا ثالث لهما (الحكومة الصالحة لمصلحة المحكومين) و(الحكومة الفاسدة لمصلحة الحاكمين) فإلى أي نوع من أنواع الحكومات تنتسب حكومة ابن الخطاب يا رعاك الله؟! مآخذ أخرى عجيبة يأخذها السيد البليبل على عمر من حزم وشدة وثقة عالية بالنفس وابتغائه لمرضاة الله. وهي لعمري مآخذ صحيحة أرجو من الله أن يبتلي بها جميع حكامنا وشعوبنا إلاّ، لأنها تشينه كما شان بها عمر. أما أخطر المثالب على عمر قوله:

«الرعية مؤدية إلى الإمام ما أدى الإمام إلى الله».

وذلك حسب رأي البليبل الذي أنبأنا بإعجابه بخطبة أبي بكر التي

إن عمر قد جاء إلى السلطة بانقلاب عسكري. وإني لأستغرب كيف استطاع الأستاذ أن يرى في هذه المقولة تأكيداً لديكتاتورية عمر، في حين أنه يفهم منها أنها تحريض للمسلمين عليه إذا جانب أوامر الله في العدل والحق والمساواة بين الناس وخدمتهم في كل ما يستطيع به نفعهم وتطبيقه للشريعة الديموقراطية حسب رأي الأستاذ البلبيل. اللهم إلاّ إذا كانت أوامر الله غير الشريعة؛ أو كانت الشريعة غير ديموقراطية على عكس ما أكد لنا الأستاذ. وفي هذا يكون عمر ممن اتبعوا الشريعة التي أمر الله بها وهي لا ديموقراطية! فلم يقبلها الناس فأحكم عمر السيف برقابهم ومزق أنينهم حجب الدهور، فرق لهم قلب البلبيل وأخذ يستنهض الهمم لمحاربة ديكتاتورية عمر والتخلص من فرديته الطاغية خصوصاً وأنها لا تتوافق والنظام العالمي الجديد.

أما الثيوقراطية في قرارات عمر، فقد تجلت في:

> «تضييقه لمفهوم الشورى وتعيينه لمجلس الستة وعدم رغبته في استخلاف علي...».

هكذا، من الثابت أن عمر قد عيّن مجلس الستة كما أشار الأستاذ

«قال رجل لعلي نسمعك تقول في الخطبة: اللهم أصلحنا بما أصلحت به الخلفاء الراشدين المهديين فمن هم؟ فاغرورقت عيناه فقال: «هم حبيباي أبو بكر وعمر. إماما الهدى. وشيخا الإسلام. ورجلا قريش.. إلخ».

ثم ما الغضاضة إذا أبدى أحد الرعية برغبته في مرشح للحكم أو عدم رغبته، إذ إن هذه المسألة أصبحت مطروقة بعد أن طُعن عمر ولزم الفراش غير قادر على الحركة ولم يعد حاكماً (أليس إبداء الرغبات ممارسة ديموقراطية. أم أن عمر ملام في كل الأحوال لأنه عمر!).

أما عن تضييقه لمفهوم الشورى فلنستمع إلى علي وهو يرد عليه حيث يقول الطبري(٢) عن الشعبي قال:

«أتى الناس علياً وهو في سوق المدينة وقالوا له: أبسط يدك نبايعك. فقال: لا تعجلوا فإن عمر كان رجلاً مباركاً وقد أوصى بها شورى».

فهل كان علي لا يعرف ما يقوله ويفعله عمر الذي لم يرغب باستخلافه؟ أما عن مجلس الستة فإنه يا سيدي مجلس شورى وإن

«لم يتفق الناس على بيعة كما اتفقوا على بيعة عثمان. ولاّه المسلمون بعد تشاورهم ثلاثة أيام وهم مؤتلفون متحابون متوادون...إلخ».

يقول البلبيل:

«ومن قرارات عمر الثيوقراطية عدم إقطاعه أراضي الفتوح».

قل أن نعالج هذه المسألة أود أن يسمع الأستاذ رأياً لمستشرقة بولونية في عمر ثم رأياً لها في مسألة الأرض حيث تقول في كتابها(٤):

«لم يكن إسلام عمر نصراً للعالم الإسلامي وحده بل كان نصراً وخيراً وبركة للإنسانية كلها».

ثم تقول في مسألة الأرض(٥):

«إنها من أهم المسائل التي اختلفوا عليها اختلافاً شديداً ولولا حكمة عمر وسياسته وشدته في الحق وزهده لوقعت خصومة شديدة لا يعلم عاقبتها إلاّ الله».

ثم تقول(٦):

«وكان رأيه هو المصلحة العامة التي قطعت الخلاف ورضي بها الجميع».

خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾[٩]. والقصة يا سيدي أن الفاتحين تمسكوا بنص الآية: ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾[١٠]. وتمسك عمر بنص الآية: ﴿يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول﴾[١١]. فقالوا له استشر. فاستشار المهاجرين واختلفوا، إذ رأى قسم منهم أن توزع على الفاتحين ورأى بعضهم أن توقف على المسلمين الحاضرين فقال لهم عمر:

«إني لم أزعجكم (أستشيركم) إلاّ لكي تشتركوا معي في أمانتي التي حملتها فإني واحد منكم ولست أريد غير الحق». فقالوا قد، نسمع يا أمير المؤمنين فقال: «قد رأيت أن أحبس الأرض مع أصحابها وأجعل عليهم فيها الخراج وفي رقابهم الجزية يؤدونها فتكون فيئاً للمسلمين ولمن يأتي بعدهم. أرأيتم هذه المدن العظام. لا بد لها من رجال يلزمونها. أرأيتم هذه الثغور. لا بد لها من الجيوش التي تحميها ولا بد لهؤلاء جميعاً من النفقات والأموال». فقالوا: «الرأي رأيك».

> «أما المشاورات التي يجريها عمر فلا تخرج عن إطار العرف الذي يمتد إلى عهد النبي».

هكذا يقول الأستاذ البلبيل الذي أعماه قصده عن أن يسمي الأشياء بأسمائها. فالمشاورات التي لا يجريها عمر شريعة (ديموقراطية) والتي يمارسها عبارة عن عرف لا أكثر لأنه إن سُمّي شريعة فسوف يجنح بعمر باتجاه الديموقراطية، ويجب أن يكون عمر لا ديموقراطياً وهو كذلك حقاً. وأعتقد أن من أجلّ مآثره أن ديموقراطية البلبيل لم تنطبق عليه حتى حين كان يجري مشاورات شبيهة بما كان يجريه الرسول حيث كان اسمها عرفاً. وكأن الدولة كانت منتظمة بقوانين وأعراف ودستور وأحكام الشريعة معلقة، والرسول يتصرف وفقاً للعادات والأعراف فتبعه عمر على دين العرف. بعد هذا يقودنا الأستاذ البلبيل إلى حيث يقول:

> «فقد كان للخليفة وحده حق اتخاذ القرارات النهائية من حيث المبدأ مع ما عرف عن عمر من فردية طاغية ومزاج غضبي وعلانية فظة بحيث لا يخشع ولا يتراجع إلاّ إذا ما ذُكر بالله أو حوجج بقول الرسول واستبان له الحق. وهذه أمور لا تتأتى في

وعن أبي هريرة قال:

«قال الرسول: (إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه)».

فأين الفردية الطاغية والمزاج الغضبي والعلانية الفظة من سفير للتفاوض ومفاخر في الفخر ومجادل في المنافرات، يدخل السكينة على قلب من يسمعه ويفحمه بالحق بشهادة رجال لا كالرجال؟ أما عن القرارات النهائية واتخاذه لها فهذا صحيح لا جدال فيه. فماذا يصنع الحاكم إن لم يتخذ القرارات النهائية؟ حقاً كان عمر يتخذ القرارات النهائية بعد المشاورات وتقليب الأمر على كل الوجوه، إذ إن الشريعة كانت مجلس الأمة وقراراتها ملزمة للحاكم والمحكوم، وعليهم أن ينفذوها طقوساً للدين وأعمالاً للدنيا لا تخرج عن الإطار العام لأحكام هذه الشريعة. والسؤال الذي يجب أن نطرحه على أستاذنا الكريم هو: هل كانت هذه القرارات مخالفة لأحكام هذه الشريعة وخارجة عن إطارها؟ وهل كانت أعمال عمر وقراراته لا ترضي الناس ولا شريعتهم أم كانت موافقة لأهواء الناس وشريعتهم وفشل عمر في تنفيذ هذه الأعمال؟...

الطرف عن فظاظته لأنني أعتقد أنها من نمير، وظلت العلانية في طرح الأمور، فإن العلانية على حد علمي إحدى الممارسات الديموقراطية إلاّ في الاقتراع فإنه سري. ومن مثالبه (عمر) أنه (لا يخشع) وهو فعلاً كذلك و(لا يتراجع) وهو فعلاً كذلك، إلاّ إذا استبان له الحق أو حوجج بقول الرسول أو ذكّر بآيات الله فما هذا الحاكم الذي يخشع ويتراجع عندما يستبين له الحق ويذكر بآيات الله بديكتاتور!! إذ يجب أن لا يخشع ولا يتراجع، حتى إن استبان له الحق أو حوجج بأحكام الشريعة واستبان له الجنوح وذلك لتنطبق عليه ديموقراطية البلبيل. إذ إن الوقوف بجانب الحق والرجوع إلى شريعة الله وسنّة رسوله والانصياع لهما والتشدد في تطبيقهما ديكتاتورية فجة والعياذ بالله. وأن يكون الحاكم مهاباً ومتشدداً في تطبيق الدستور الذي لا يكفي أستاذنا النظر إلى مواده ليحكم على نهج الحكومة. مع أنه قرر أن الدستور الإسلامي دستور ديموقراطي.

بعد هذا يورد الأستاذ حديثين للرسول ليستشهد بهما على ذم هذه السجايا في عمر فيصبح حديث الرسول: (إن الشيطان ليخاف منك يا عمر) دليلاً على ديكتاتورية عمر وحديثه: (أشد أمتي في

إلى (قلب مفتوح للإيمان متشدد بالحق. قاس في تطبيق العدل) ليصبح (عادلاً مستبداً مؤمناً قوياً. صليباً حازماً. فظ العلانية. حسن السريرة سيىء الظن مع إمعان نظر يحاسب على سقطات الألفاظ... إلخ) ولكن هذه الخصال (مبعثها في شخصية عمر أخلاقه الجاهلية التي لم يمحها الإسلام) وقد ذكرني هدوء صاحبي بالهدوء، فهدأت قليلاً وعدت معه إلى تلك الأيام. فدخلت مجلس عمر حيث كان الرعية يدخلون مجلسه بلا استئذان لأنه ديكتاتور..!! فرأيته يلتفت إلى قاتل أخيه زيد بن الخطاب ويقول له: أتدري يا فلان فيقول له الرجل ماذا يا أمير المؤمنين فيقول له عمر: (والله لا أحبك أبداً) فيسأله الرجل: (أوتستطيع أن تمنعني لذلك حقاً من حقوقي) فيجيبه أمير المؤمنين (لا والله لا أستطيع) فيقول الرجل للمستبد الذي لم يغير الإسلام أخلاقه (إنما تأسى على الحب النساء). وأظن أن الأستاذ البلبيل يعلم أن (الجبروت الجاهلي) عمر لولا الإسلام لأكل هذا الرجل وهو حي. ومع هذا فإن الأستاذ الكريم يغفر لعمر شيئاً من ديكتاتوريته، لأن تحديات المرحلة والبداية بتشكيل مؤسسات الدولة تستدعي المركزية وإن كان لعمر

رجلاً من طرازه بين الرجال، وعادلاً لم يعرف العدل من ربّعه على عرش المبادىء السامية سواه. سمه ما شئت من الأسماء وابحث ما وسعك البحث والاستقصاء، فإنك لا تعدو أن تجد عمر مثال الديموقراطية من حيث الجوهر. ومثال من لاذ بدين ومشى على هدى شريعته. ولا غرابة أن نبخس الرجل حقه في زمن عزّت الرجولة فيه. وأن نَسِمَ عادلاً بالجور في زمن عزَّ فيه العدل. اللهم لا تأخذنا بما فعل السفهاء منا. قاتل الله الفلوس.

فهرس موضوعات

ق

هـ

و

ي